

الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم

مقالات
سعد الحصين

جمع وترتيب
رداد بن عبدالله الرداد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حفظ حقوق التأليف والطبع قانون وضعي،
وما يتعلق بالشرعية لا يجوز نجيده ولا احتكاره،
ونشره ابتغاء وجه الله عبادة صالحة.

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

مقدمة

«إن الحمد لله، نحمده، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة» [خطبة الحاجة من صحيح مسلم (ح: ٨٦٧-٨٦٨)].

وقد رغب عدد من الإخوة في الله وفي الدعوة إليه، جمع بعض المقالات التي كتبها - حين ينبعث الداعي لها - نصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، فلم أجد ما يمنع من ذلك، لأنها كتبت - أصلاً - ليقراها الناس فتتحقق إحدى الحسينين: أن تصيب فتذكر وتقبل، أو تخطئ فأنبه إلى الخطأ وأرد عنه، على أنني لست من هواة النشر لذاته ولا لمنفعته الدنيوية - بفضل الله عليّ ومنته - فقد رفضت طلباً من إحدى المطبوعات الدينية لكتابة مقال دوري مدفوع الثمن ورددت ثلاثة شيكات وصلتنى منها ومن مطبوعة أخرى، فلست - ولا أريد أن أكون - كالنائحة المأجورة أو الصحافي المأجور ممن يتكسب باللسان أو القلم.

ولقد أدركت - بعد سنوات من إتمامي دراستي الشرعية في مكة المباركة عام ١٣٧٦هـ، وعملي الإداري في وزارة المعارف بالرياض - أدركت نعمة الله عليّ هذه البلاد وهذه الدولة المباركة بتميز الأولى: باحتضان رسالة الله التامة الخاتمة، وعلى الثانية: بتجديد هذه الرسالة والعودة بها إلى أصلها مجردة من البدع والشبهات والأهواء منذ تعاهد على ذلك الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد ابن سعود رحمهما الله.

وأدركت نعمة الله عليّ بالانتماء إلى هذه الرسالة وهذا التجديد وهذه البلاد وهذه الدولة التي أُسِّست من أول يوم على الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة إليه على بصيرة من نصوص الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأوائل في هذه النصوص؛ بنشر الاعتقاد الصالح والعبادة الصالحة، ومحاربة الشرك - بالمقامات والمشاهد والمزارات - وما دون ذلك من الابتداع في الدين.

ورأيت أن من شكري لله على هذه النعم العظيمة ألا أكتفي بمجرد الانتفاع بها، بل أن أضيف إليه ما ييسّر لي من المساهمة في حفظ هذه النعم بالتذكير بها وتجديدها بالعودة بها إلى أصلها. ولما كنت أخدم البلاد والدولة مديراً عاماً للتعليم الثانوي بدأت بمحاولة إصلاح هذا التعليم بإزالة الحواجز والقيود المستوردة - التي تعوق عملية التعلم وتناقض فطرة الله لخلقه وقدره عليهم - في أربع مدارس ثانوية بالملكة المباركة سمّيت (المدارس الشاملة)، ومدرسة خامسة (ابتدائية ومتوسطة)، لم يلصق بها اسم يميزها، ومنح الله المدارس الشاملة نجاحاً - لم أتوقعه ولا غيري توقعه - قاد وزارة المعارف إلى النظر في تطويرها ونشرها وانتهت محاولتها بإلغائها، ولا تزال المدرسة الخامسة تنتظر.

وحين وافقت وزارة المعارف على طلبي التفرغ للإشراف على محاولتي في الإصلاح التعليمي، وجدت من الهمة والوقت ما يسّر الله لي به الالتفات إلى الدعوة إلى الله؛ فبدأت بنشر مقالات في مجلة الدعوة (السعودية) كانت متأثرة بالأسلوب الصحفي وأساسه: الإثارة، ومع ذلك وضع الله النفع في عدد منها أكثر مما أستحق وتستحق، وتلقت إلى ساحة الدعوة إلى الله فوجدتها مقطعة الأوصال بين الجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلامية: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ووجدت

أن (جماعة التبليغ) أقرب الجماعات والأحزاب إلى خُلُق الدعوة الصالحة من تواضع، وترفع عن طلب المنفعة المادية، ومن تضحية بالوقت والجهد والمال، فرافقتها بضع سنين، حتى تبين لي مخالفتها منهاج النبوة في أكثر وأسوأ من ابتداء الخروج ثلاثة أيام في الشهر وأربعين يوماً في العام وأربعة أشهر في العمر، بل في الإعراض عن نشر أفراد الله بالعبادة والإعراض عن التحذير من البدع وأشنعها أو ثان المقامات والمشاهد التي نشأت واستقرت بينها، بل واحتضان قادتها البدع ومن أخطرها: البيعة الصوفية كالجماعات والأحزاب الدينية كلها.

ويوم صدر قرار وزارة المعارف بتطوير (المدارس الشاملة)، تبين في تفاصيل القرار خروجاً عن منهاج محاولتي الإصلاح وعودة إلى لزوم ما لا يلزم من القيود والنظم المستوردة؛ فبادرت إلى الاستجابة لدعوة كريمة ملحة بانتقالي للعمل في خدمة الدعوة والدعاة بدأها الشيخ عبدالله بن منيع نائب الرئيس العام لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة وعضو هيئة كبار العلماء، وكررها الوالد الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - المفتي العام ورئيس هيئة كبار العلماء، فاخترت خدمة الدعوة والدعاة في بلاد الشام أكثر من عشرين عاماً.

أما هذه المقالات فتركز الاهتمام على التذكير بمنهاج النبوة في الدين والدعوة والحث على الالتزام به، ونبذ ما ابتدع من المناهج الفكرية وتعدد الجماعات والأحزاب، والتحذير من الانتماء إليها أو الاقتداء بها، مثلاً لتحكيم ما أنزل الله في كل أمر، ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم

أكثر الحركات والأحزاب الموصوفة بـ(الإسلامية) في هذا الجيل اتخذت كلمة (الحكم بما أنزل الله) شعاراً لها، ونعم الشعار القولي إذا وافقه العمل؛ فهو بعمومه أصل أصول الدين والغاية التي خلق الله لها الثقلين، وأعظمه: الاعتقاد بوحداية الله في استحقاق العبادة وفق وحي الله تعالى إلى رسله في الكتاب والسنة. قال الله تعالى على لسان يعقوب عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [يوسف: ٦٧]، وقال الله تعالى على لسان يوسف عليه الصلاة والسلام: ﴿إِنَّ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠]، وقال الله تعالى لخاتم أنبيائه ﷺ: ﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾ [المائدة: ٤٨]، وقال ابن كثير في تفسيره ج ٢، ص ٧٥: (أي: فاحكم يا محمد بين الناس عربهم وعجمهم، أميهم وكتابيهم، بما أنزل الله إليك في هذا الكتاب العظيم . . . ﴿وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، أي: آراءهم التي اصطلحوا عليها وتركوا بسببها ما أنزل الله على رسله).

ولكن الحركيين والحزبيين باتباعهم رأيهم وفكرهم الموصوف بالإسلامي ضيقوا المعنى الواسع الشامل للحكم بما أنزل الله فقصروه على فقه المعاملات، وخصّوا به الحكام، تبعاً لفكر الاستاذ/ سيد قطب - رحمه الله - الذي ظن أن «أخصّ خصائص الألوهية هي الربوبية والقوامة والسلطان والحاكمية» [في ظلال القرآن ج ٤، ص ١٨٥٢]، وقد أتى المفكر والمقلد من قبل جهلهم بالمعنى اللغوي والشرعي للكلمة الطيبة: «لا إله إلا الله»، وبالتالي: خلطهم بين معنى الألوهية ومعنى الربوبية في الاعتقاد والعمل، تجاوز الله عنا وعنهم.

وكما خرجوا عن منهاج الحكم بما أنزل الله في أمر التوحيد؛ خرجوا عن منهاجه في أمر الشرك فوسَّعوه تبعاً لسيّد - رحمه الله - ليشمل أموراً ليست من الشرك في شيء: السياسة والتقاليد والعادات والأزياء التي ظن سيّد - رحمه الله - أن اتباع البشر فيها: (مزاولة للشرك في أخص حقيقته، ومخالفة لشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله في أخص حقيقتها. . ولو توجه العبد إلى الله في ألوهيته وحده، ودان لشرع الله في الوضوء والصلاة والصوم وسائر الشعائر) [التفصيل ج ٢، ص ٢١٤، في ظلال القرآن].

وكعادة البدع أنسى التوحيد والشرك (الحديث) أكثر شباب الأمة التوحيد الذي جاء به كل رسل الله: أفراد الله بالعبادة، والشرك الذي نهى عنه كل رسل الله: تعظيم المقامات والمزارات والأنصاب التي تتخذ مساجد قديماً وحديثاً. والحق الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أن الحكم بما أنزل الله فريضة عين على كل مسلم حاكماً كان أو محكوماً، «وكل راعٍ ومسؤولٌ عن رعيته»، كلٌ بحسبه من المسؤولية الشرعية.

والحق الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أن الحكم بما أنزل الله شاملٌ لكل ما أوحى الله إلى عبده ورسوله ليبينه للناس وليحكم به بينهم أولاً وقبل كل شيء في الاعتقاد، ثم في العبادات، ثم في المعاملات، لا العكس كما وهَمَ منتجو الفكر الإسلامي ومستهلكوه.

والحق الذي هدى إليه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ؛ أن أوامر الله تعالى تتفاوت بين فرض العين وفرض الكفاية والنافلة، وأن نواهيه تعالى تتفاوت بين الكبيرة الموبقة - وأعظمها الشرك بالله في عبادته باتخاذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يُدعون فيها مع الله تقريباً إليه واستشفاعاً بهم إليه، تعالى الله عن ذلك

علوًّا كبيراً - وبين الصَّغيرة من اللَّمَمِ ، وأن من الحكم بغير ما أنزل الله المساواة بين الفرض والنافلة في الأمر ، وبين الكبيرة والصغيرة في النهي ، بل إن من الحكم بغير ما أنزل الله تفريق الأمة في الدين أحزاباً وجماعات على مناهج في الدين أو الدعوة تخالف منهاج النبوة الذي شرعه الله لجميع من أرسلهم إليهم ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩] ، وهو ما يقع فيه الحركيون والحزبيون هداًنا الله وإياهم لأقرب من هذا رشداً .

وصلّى الله وسلّم على عبد الله ورسوله وعلى من اتبع سنّته .



الولاء والبراء الشرعي والحركي

(١)

في هذا العصر الذي احتل فيه الفكر الموصوف بالإسلامي مكان الوحي والفقهاء في الدين، واحتل المفكرون الموصوفون بالإسلاميين مكان علماء الشريعة ودعاتها؛ ترتفع راية للولاء المنحرف للحزب والفكر وقادته، والبراء المنحرف من أهل الدعوة إلى التوحيد والسنة وولادة أمورهم.

وأكثر ما تنشر هذه الراية العمياء عندما يُفحم أحد قادة الحركيين أو أفرادهم بالنصوص من الوحي والفقهاء فيه الدالة على أولوية الدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدعة في كل مكان وزمان - الأمر الذي تجهله أو تتجاهله جميع الأحزاب والجماعات الموصوفة بالإسلامية - فيتشبث كالغريق بسؤال لا يتغير ولا يتبدل: (وأين الولاء والبراء)؟ بمعنى يحتوي على مقدمة صحيحة وهي: أن الولاء والبراء جزء من الإيمان، ونتيجة فاسدة هي: أن شغل منابر الدعوة وأفئدة الغوغاء بالتحليلات السياسية الظنية عن تعلم الدين الحق وتعليمه والدعوة إليه، والفتنة بين الرعاة والرعية، واغتياب ولادة الأمر من العلماء والأمراء؛ هو من المنهج الشرعي للدعوة، بل من أسس الاعتقاد الصحيح، ومن الولاء والبراء الشرعي.

والولاء في كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الدين في القرون المفضلة هو لله ولرسوله وللمؤمنين - المتبعين لا المبتدعين - ولا ينافيه التعامل مع غير المؤمنين المتبعين بالعدل والإحسان بل هي سنة النبي ﷺ مع الجميع في التجارة والزراعة والإجارة ونحوها.

والبراء في كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الدين في القرون المفضلة ، براءة من أعمال الشرك والابتداع في الدين ولو انتسب أهلها إلى الإسلام ، ولا يجيز ذلك ظلمهم والاعتداء عليهم بما يسميه الجهلة جهاداً في سبيل الله « والله أعلم بمن يجاهد في سبيله » ، قال الله تعالى : ﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ ﴾ [البقرة: ١٩٠] لا المسافرين الآمنين في الطائرات والحافلات ولا المشاة الآمنين في الطرقات ولا الموظفين الآمنين في المكاتب : ﴿ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠] .

ومن أوضح الأمثلة على الولاء والبراء الحركي المنحرف عن شرع الله : عددمن المثقفين (الإسلاميين) الجهلة بشريعة الله يَهْجُرُونَ جماعة المسلمين في بلادهم ومنها أرض الشام المباركة (بل في أرض الحرمين التي ميّزها الله مِنْ قَبْلُ ومن بعد بجمع أهلها على الكتاب والسنة ، وهدم أوثان الأحجار والأشجار والمزارات والمشاهد ، وإزالة منكرات البدع من المساجد ، ومظاهر الانحراف في الاعتقاد والعبادة والمعاملة) ، ويهاجرون (كأنما نفتهم الأرض الطيبة المقدسة كما تنفي النار خبث الحديد ، أو كما تنفي مكة والمدينة في فتنة الدجال المفتونين من سكانها) إلى بلاد وجماعات يصفونها - هم - بأنهم صليبيون وعلمانيون وكفار لا يُؤْمَنُ مكرهم ، وإلى بلاد وجماعات انحرفت وضلّت منذ قرون عن الاعتقاد الصحيح والسنة الصحيحة وعن منهاج النبوة جملة وتفصيلاً .

ويبقى المخلفون منهم - كما يقضى التكتيك الحركي - يأكلون خير البلاد الطيبة ، ويكفرون نعمة الله بها عليهم ، ويُرجفون بالإشاعات ، وينشرون الباطل من القول والفكر ، ويحاولون إثارة الفتنة بين المسلمين وبين من ولاهم الله أمرهم ، ولا قضية لهم إلا المال وعدم المساواة فيه ، يصدق عليهم قول الله تعالى :

﴿فَإِنْ أَعْطُوا مِنْهَا رِضْوَانًا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨]، ولا شبهة لهم إلا تعامل ولاية الأمر في بلادهم مع غير المسلمين؛ يأمر الناس بالبر وينسون أنفسهم، وينهون عن منكرهم أول من يقع فيه؛ وكأنما يبيعون غيرهم البر، ويبيعون أنفسهم الإثم والعدوان لا بالتعامل بل باللجوء والولاء .
ويحذر الله عباده من الولوغ في الفتنة: ﴿يَغْوِنَكُمْ الْفِتْنَةُ وَفِيكُمْ سَمَاعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧] .

ويحذر الله عباده تصديق الخبر قبل ثبوته: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦] .
ويحذر الله عباده قبول أو نقل قالة السوء: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ [النور: ١٢]، ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦] .

ويحذر الله عباده من الإذاعة أو العمل بأخبار الأمن والخوف قبل ردها إلى ولاية الأمر من العلماء والأمراء: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣] .

فهل من سامع؟ نرجو الله أن يردهم إلى دينه رداً جميلاً، وأن يلتزم الجميع بأمر الله فيما يقولون وما يعملون، وبالسياسة الشرعية في الدعوة إلى الله، وبالنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم، ولعل الله أن يهدي الجميع لأقرب من هذا رشداً.

الولاء والبراء الشرعي والحركي

(٢)

الولاء؛ لله ولرسوله وللمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۖ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

والبراء؛ من أعداء الله ورسوله وشرعه، وهم الكافرون والمشركون بالله في عبادته مهما كان انتمائهم وشعارهم.

فمناط الولاء: الجمع بين صحة المعتقد - بإفراد الله بالعبادة -، وصلاح العمل - باتباع السنة -، وفي هذا جماع الخير كله، وقد مدح الله ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ في أكثر من خمسين آية، وفي معناها ما يصعب حصره.

ومناط البراء: الشرك في الاعتقاد - بدعاء غير الله معه تقرباً إليه -، والابتداع في العمل - بعبادة الله على نحو لم يأذن به الله -، قال الله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

وسبب الجهل بهذه الحقيقة الناصعة في حاضرتنا: أن جميع الحركات الفكرية - الموصوفة بالإسلامية - نشأت في بلاد يحتلها ويحكمها غير المسلمين من يهود أو نصارى أو وثنيين أو ملحدين؛ فانحرفت عقيدة الولاء والبراء إلى مسار ضيق بحصرها في فئة واحدة من البشر، هم الحكام.

وسوّّل الشيطان لدعاة الفكر المحدثين أن (التكتيك المرحلي) يقتضي التركيز على معاداة الحاكم والسكوت عن أخطاء الرعية: الشرك فما دونه، بحجة أن

أولئك كفار، وهؤلاء مسلمون - يقولون لا إله إلا الله محمد رسول الله -، وما خالف العقيدة والسنة في أقوالهم أو أفعالهم فهو ناتج عن جهل يسهل تغييره ووراءه إيمان عميق تغطيه العادات والتقاليد، والمرحلة الحاضرة تستدعي جمع الصفوف وراء فكرة واحدة يتفق عليها الجميع: إجلاء المحتل الكافر من ديار المسلمين.

ولما خرجت جيوش الاحتلال من البلاد المسلمة والكافرة بانتهاء دور الاحتلال العسكري الأجنبي، وجدت الحركات الفكرية على اختلاف شعاراتها أن ليس في صالحها تغيير الهدف - الهدف الذي جمع الناس حولها - فحوّلت العداء إلى الحاكم المسلم، ولو أنه يقول: لا إله إلا الله، محمد رسول الله.

أما الولاء فقد حصره كل حزب إسلامي في نطاق: قاداته وأتباعه والموالين له. ومن باب أولى بقي كذلك.

ولو كان (الحزبيون الإسلاميون) يحكّمون ما أنزل الله - شعارهم الحركي - لعرفوا من الآيات المحكمة في كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ الصحيحة الصريحة:

١- أن عقيدة الولاء والبراء في شريعة الله منافية للتعصب الفردي أو الحزبي أو القبلي أو الجغرافي، قال الله تعالى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ﴾ [الفتح: ٢٦]. وأنها - ككل عبادة أخرى - لا بد أن تتصف بالإخلاص لله وحده والطاعة لله ولرسوله، لا تشوبها أي شائبة من الهوى وقصد الدنيا، قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾ [الشورى: ٢٠].

٢- أن الله تعالى أمر بطاعة ولي الأمر المسلم ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]. وبيّنت السنة أن طاعة ولي الأمر المسلم فرض عين لا يسقطه ظلمه أو جوره أو فسوقه أو فجوره؛ فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها»، والأثرة: الاستئثار بالأموال والمتاع الدنيوي، والأمور المنكرة: هي في الدين، قالوا: يا رسول الله، فما تأمرنا؟ قال: «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لکم».

وروى مسلم في صحيحه عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا يستنون بسنتي»، قلت: كيف أصنع إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك». وروى البخاري ومسلم في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات؛ فميتة جاهلية».

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية» فكيف بمن يخرج عن طاعة أميره المسلم، ويفارق جماعة المسلمين، ويهاجر من ديار الإسلام إلى ديار الكفر في هذا السبيل؟

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر رضي الله عنه: قال لي رسول الله ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون - أو يمتنون - الصلاة عن وقتها؟» قلت: فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل فإنها لك نافلة»؛ لم يأذن رسول الله ﷺ لخيار الأمة - فضلاً عن سفهائها - بإظهار مخالفة ولي الأمر المسلم حتى لو أخر صلاة الجماعة عن وقتها، ومعلوم أن الصلاة إذا أخرت عن وقتها

عمداً بطلت .

٣- أن الاستثناء الوحيد من عموم الأمر بطاعة ولاة الأمر : تنفيذ الأمر بمعصية الله ، كما ثبت في الصحيحين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية ؛ فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة» . ومع ذلك لا يجوز له الخروج عن الطاعة مطلقاً فيما ليس فيه معصية ، كما قال الله تعالى في طاعة الوالدين : ﴿وَأِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان : ١٥] ، وكما نهى الله المؤمنين عن اتباع سبيل الكافرين ، وأباح التعامل معهم ، وأمر بالعدل فيهم ، والإحسان في مجادلتهم ، ونهى عن الاعتداء عليهم .

ومع ظهور المعاصي في بلاد المسلمين : الشرك فما دونه ؛ لم يؤمر أحدٌ باقترافها .

٤- أن تفريق جماعة المسلمين إلى فرق وأحزاب وجماعات وطوائف - بحجة توحيد الصف والكلمة ، وتحكيم ما أنزل الله - أمر يخالف الشرع المبين والعقل المستقيم ؛ فالتفرق منافي للتجمع والاتحاد ، وقد نهى الله عنه في محكم كتابه ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا أَلَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الانعام : ١٥٩] ، وكل منتم إلى جماعة خاصة أو حزب أو طريقة أو فرقة - وإن وصفت زوراً بالإسلامية - فهو متشيع لها ولأميرها ومنهاجها منعزل بذلك عن جماعة المسلمين . وليس التشيع المنكر خاصاً بالأخذ عن آل البيت وحدهم ؛ بل هم خير من يُشيع لهم لو كان التشيع لبشر - غير معصوم - شرعاً .

٥- أن الدعوة إلى الله على بصيرة - كما شرعها الله لرسله ولأتباعهم من

بعدهم - عامة لجميع أهل الأرض : رعاة ورعية ، شباباً وشيوخاً ، ذكوراً وإناثاً ، مسلمين وكافرين ؛ يدعون - أولاً وقبل كل شيء وعلى كل حال - إلى أفراد الله بالعبادة ، والتحذير من الشرك وأهله وذرائعه ، ثم إلى العبادات العملية والمعاملات والأخلاق الشرعية ، ويذكرون بآلاء الله ، ويرغبون في رضاه وثوابه ويخوفون غضبه وعقابه .

ومن يعرف واقع المتمين إلى الإسلام اليوم ويتحرى العدل ؛ يعترف بأن أكثر الرعايا أسوأ من أكثر الرعاة في الشرك والمعاصي وتحكيم قوانين البشر وأهوائهم .
وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتبعي سنته .



الدعوة إلى الله بالموعظة اليقينية لا بالقصص الظني^١

أنزل الله كل كتبه وأرسل كل رسله وشرع كل شرائع دينه موعظة لخلقه ؛ قال الله تعالى عن رسوله موسى وكتابه التوراة : ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَنْبُوتِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾ [الأعراف: ١٤٥] ، وقال الله تعالى عن رسوله عيسى وكتابه الإنجيل : ﴿ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [المائدة: ٤٦] ، وقال تعالى عن خاتم رسله وكتابه القرآن : ﴿ وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ ﴾ [البقرة: ٢٣١] ، بعد ذكر أحكام الطلاق في سورة البقرة . قال أكثر المفسرين الأوائل القدوة : الحكمة هي السنة ، وقال بعضهم : الحكمة الدين ، وقال آخرون : الحكمة الشرع ، والمعنى واحد .

وقال تعالى في بيان كفارة الظهار : ﴿ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَنْ يَتَمَاسًا ذَلِكُمْ تَوْعَظُونَ بِهِ ﴾ [المجادلة: ٣] ، وقال تعالى عن قول الإفك : ﴿ يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] ، وقال تعالى عن كل أمره ونهيهِ : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ ﴾ إلى قوله : ﴿ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل: ٩٠] ، وقال الله تعالى عن موعظة لقمان لابنه : ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لَابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ [لقمان: ١٣] ، ﴿ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ ﴾ [لقمان: ١٧] .

وكان الأمر بإفراجه بالله بعبادة والنهي عن الشرك بالله في عبادته أول ما دعا إليه رسل الله - صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين - في مواضعهم لأقوامهم استجابة لأمر الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ

وَأَجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿النحل: ٣٦﴾، ثم التزام ما أمر الله به من حقوق التوحيد، واجتناب ما نهى الله عنه مما هو دون الشرك، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وعلى هذه السنة ثبت فقهاء القرون المفضلة، لا يرون الموعظة إلا الدعوة إلى الله على بصيرة من الكتاب والسنة؛ تذكيراً بالله، وحثاً على فعل ما أمر به، ونهيًا عما نهى عنه، وتعليماً لأحكام شريعته في الاعتقاد أولاً ثم العبادات ثم المعاملات.

ثم خلفت من بعدهم خلوف يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون؛ وبخاصة بعد أن ذرّ قرن الفكر - الموصوف زوراً بالإسلامي - بعودة جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده من باريس، ودعوتهما إلى (تحرير الفكر من قيد التقليد)، وكانت بداية الانحراف - في هذا العصر - عن الوحي والفقه فيه إلى الفكر والظن والعاطفة، وهان على كثير من المسلمين - مهما كان مبلغهم من العلم وجوداً أو عدماً - القول على الله والحكم على شرعه حسب فكرهم واقتناعهم أي: حسب هواهم، وقد حذر الله عباده من سوء هذا المنقلب فقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣].

وتبعاً لذلك تحول أكثر مشاهير شباب الدعاة عن منهج النبوة في الدعوة إلى الله من الموعظة الحسنة بآيات الكتاب المبين والصحيح من سنة الرسول الكريم كما فهمها سلف الأمة المعتد بهم لتثبيت الاعتقاد، وتعليم أحكام الإسلام، وتحييب الخالق إلى خلقه، وترغيبهم في ثوابه وترهيبهم من عقابه؛ إلى ما أتجه الفكر غير المعصوم من تلاعب بالألفاظ وتحليلات ظنية لأخبار ظنية عن الحوادث والطوارئ السابقة واللاحقة، وتحولت الدعوة إلى الله من موعظة شرعية للفرد أو

للجماعة إلى محاضرات وندوات ولقاءات ومهرجانات يختلط فيها الحق بالباطل، والآية المحكمة والمتشابهة والحديث الصحيح والضعيف والموضوع بالقصص والشعر والأمثال والفكاهة وفنون اللغة الدارجة، يغلب عليها الاهتمام بالآدني دون الأعلى وبالمهم - أو غير المهم - دون الأهم.

ولأن النفس أماراة بالسوء إلا ما رحم ربي، ولأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم، ولأن الأهواء تتجاري بالعواطف كما يتجاري الكلب بصاحبه، ولأن أكثر الناس لا يؤمنون ولا يشكرون ولا يعلمون ولا يفقهون كما بين الخالق المعبود سبحانه وبحمده، فإن أكثر المسلمين - بعد أن غير الدعاة القصاص فطرتهم - صاروا يُقبلون عليهم وينفرون من الدعوة على منهاج النبوة؛ فازداد عدد القصاص ونقص عدد الواعظين؛ مما يذكر بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦] على الرأيين في مرجع الضمير من قوله: ﴿فَزَادُوهُمْ﴾، فالجناية: على الدعوة، والجاني: القاص والمعجبون به معاً، وقد بدأ الانحراف من الوعظ إلى القصص مبكراً، ولكن فقهاء الصحابة رضي الله عنهم ومن تبع منهاجهم وقفوا له بالمرصاد وبينوا ضلاله ونهوا عنه؛ تجد ذلك مفصلاً في:

- ١- كتاب القصاص والمذكرين، لابن الجوزي - ت ٥٩٧ - رحمه الله .
- ٢- عدد من مؤلفات ابن تيمية - ت ٧٢٨ - رحمه الله، تصدى للقصاص فيها .
- ٣- كتاب الباعث على الخلاص من حوادث القصاص، للحافظ العراقي - ت ٨٠٦ - رحمه الله .
- ٤- كتاب تحذير الخواص من أكاذيب القصاص، للسيوطي (ت ٩١١) رحمه الله تعالى .

وإليك طَرفاً مما تضمنته هذه المؤلفات تعريفاً بالقُصَّاص وتحذيراً منهم وردّاً إلى الله . قال محقق (تحذير الخواص) الشيخ محمد بن لطف الصَّبَّاح: القصص في الاستعمال فنّ مخاطبة العامة بالاعتماد على القصة . . وقد أشار ابن الجوزي إلى هذا فقال : (فالقاص هو الذي يُتبع القصة الماضية بالحكاية عنها والشرح لها)، قلت : وشرُّ منها الحكايات الجديدة والإشاعات ، وأخبار وسائل الإعلام ، والنشيد والتمثيل والفكاهة .

وروى ابن ماجه بسند حسن عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال : (لم يكن القصص في زمن رسول الله ﷺ ولا زمن أبي بكر ولا زمن عمر)، ورواه أحمد والطبراني عن السائب بن يزيد بنحوه . وفي رواية عن ابن عمر : (إنما كان القصص حيث كانت الفتنة) .

وروى الطبراني بسند جيد عن عمرو بن دينار أن تميماً الدَّارِيَّ استأذن عمر في القصص فأبى أن يأذن له - مرتين - ، وفي الثالثة قال له : (إن شئت) وأشار أنه الذبح . وروى الطبراني عن خباب بن الارت رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «إن بني إسرائيل لما هلكوا قصّوا» .

وروى الطبراني عن عمرو بن زرارة قال : وقف عليّ عبدالله بن مسعود وأنا أقصّ فقال : (يا عمرو ، لقد ابتدعت بدعة ضلالة ، أو أنك أهدي من محمد ﷺ وأصحابه!) . قال عمرو : فلقد رأيتهم تفرّقوا عني حتى رأيت مكاني ما فيه أحد .

وأخرج عبد بن حميد في تفسيره عن قيس بن سعد قال : جاء ابن عباس حتى قام على عبيد بن عمير وهو يقصّ ، فقال له : ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ [مريم: ٤١] ، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ﴾ [مريم: ٥٤] ، ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ﴾ [مريم: ٥٦] ذكّر بأيام الله ، وأثنى على من أثنى الله عليه .

وأخرج ابن أبي شيبة عن جرير بن حازم عن محمد بن سيرين قوله :
(القصص أمر محدث أحدثه هذا الخلق من الخوارج) .

وأخرج أحمد في (الزهد) عن أبي المليح قال : ذكر ميمون القُصَّاص فقال :
(لا يخطئ القاص إحدئ ثلاث : إما أن يُسمن قوله بما يُهزل دينه ، وإما أن يُعجب
بنفسه ، وإما أن يأمر بما لا يفعل) .

وقال ابن الحاج في (المدخل) : (مجلس العلم : الذي يُذكر فيه الحلال والحرام
واتباع السلف رضي الله عنهم ، لا مجالس القصاص فإن ذلك بدعة ، وقد سئل
مالك رحمه الله تعالى عن الجلوس إلى القصاص ، فقال : ما أرى أن يُجلس إليهم
وإن القصص لبدعة) .

وروي عن يحيى بن يحيى (عالم الأندلس في عصره) : (سمعت مالكا يكره
القصص فقل له : يا أبا عبدالله ، فإن تكره مثل هذا فعلام كان يجتمع من مضى؟
قال : على الفقه) .

وفي تاريخ ابن جرير في حوادث سنة ٢٧٩ : (نودي في بغداد : ألا يقعد
على الطريق ولا في مسجد الجامع قاص ولا صاحب نجوم ولا زاجر . وفي سنة
٢٨٤ نودي في المسجد الجامع : يُنهى الناس عن الاجتماع إلى قاص ، ويُمنع
القُصَّاص من القعود) .

وختم الحافظ العراقي كتابه (الباعث على الخلاص من حوادث القصاص)
بقوله : (فيجب على ولاة أمور المسلمين منع هؤلاء من الكلام مع الناس) .

وذكر الحافظ ابن الجوزي في أول كتاب (القُصَّاص والمذكَّرين) من أسباب
كراهية السلف القصص :

- ١- أنهم إذا رأوا ما لم يكن على عهد رسول الله ﷺ أنكروه .
 - ٢- أن القصص لأخبار المتقدمين يندر صحته .
 - ٣- أنه يشغل عما هو أهم منه من تدبر القرآن ورواية الحديث والتفقه في الدين .
 - ٤- أن في القرآن والسنة من العظة ما يغني عن غيره مما لا يتيقن صحته .
 - ٥- أن عموم القصاص لا يتحرون الصواب .
 - ٦- اغترار العوام [وأشباههم من المثقفين والمفكرين والحركيين] بما يسمعون من القصاص ؛ فلا ينكرون ما يقولون ، ويخرجون من عندهم فيقولون : قال العالم ؛ فالعالم عند العوام من صعد المنبر .
 - ٧- أن القصاص يأخذون الحديث شبراً [بلا تمحيص] فيجعلونه ذراعاً .
- قال محقق (تحذير الخواص) الشيخ د . محمد بن لطف الصباغ أثابه الله في مقدمته : (يتمثل تأثير القصاص السيء على العامة في أن حقيقة الإسلام قد شوّحت في أذهانهم فاعتقدوا البدعة سنة والسنة بدعة ، وأصبحت الأكاذيب عندهم ممزوجة بنصوص الدين الثابتة . . . فكان العوام ودعاة الابتداع أبدأ معارضين لكل مصلح صادق من الدعاة والعلماء . . . وأثر فريق من العلماء المسالمة فسكتوا خوفاً من القصاص وسلطانهم - على العامة - وإثارة للعافية . . . وترى القصاص - رغبة في قبول السامعين لهم - يسارعون في ابتغاء مرضاة العامة أكثر من حرصهم على تقويمهم وتعليمهم ، وأضحى القاص كالمغني [والممثل والمهرج] لا همّ له إلا إطراب السامعين . إن هؤلاء القصاص قوم مهمتهم الكلام ، وغايتهم أن يستحذوا على إعجاب السامعين) .

والواقع أن دعاة القصص والشعر والفكاهة والتهريج والتهيج - وهم أشهر وأكثر الدعاة اليوم عفا الله عنا وعنهم - حولوا الموعظة بل وخطبة الجمعة المفروضة إلى ما يشبه برامج - ما يطلبه المستمعون - في الإذاعات العربية ؛ لرغبة الأغلب في الهزل ورغبتهم عن الجدّ، فقدّم القصاص لعامة الناس ما يرضيهم - لا ما ينفعهم مما شرّعت الموعظة لتحقيقه - في مقابل شهرتهم وإذاعة صيتهم والإقبال على مجالسهم، مما يذكر بقول الله تعالى عن الضالين والمضلين من الإنس والجن: ﴿رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: ١٢٨]، جنبنا الله وإياهم مصيرهم، وردّنا وردّهم إلى منهاج النبوة - في الدين والدعوة - رداً جميلاً.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبده وخاتم رسله نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته .



الدعوة إلى الله بين اليسر والعسر

في لقاء صحفي^(١) مع أحد مشاهير الدعاة - الموصوفين بالإسلاميين - طُلب منه بيان شروط الدعوة إلى الله التي يجب تحقيقها في الداعي إليه . وتأثراً بالخلق الصحفي من جانب ، وبالفكر - الموصوف بالإسلامي - من جانب آخر ، لجأ إلى المبالغة والتعسير والتشديد ، مخالفاً شرع الله لدينه وعباده الصالحين - وخيرهم الدعاة إليه على منهاج النبوة - قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾ [القمر: ١٧] في وصف أعظم مصادر شرعه ، وقال تعالى عن هديه لعباده : ﴿ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ ﴾ [البقرة: ١٨٥] ، وقال رسول الله ﷺ : «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا» [متفق عليه] .

ولأن الدعوة إلى الله عبادة لا يجوز الحكم فيها بغير شرع الله في كتابه وسنة رسوله وفقه الأئمة الأول ؛ رأيت وجوب التنبيه على بعض أخطائه في اللغة والأحكام ، والتفريق بين الوحي الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وبين الفكر البشري مظنة الخطأ :

١- لم يوصف الداعي إلى الله في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في كلام أئمة العلم في القرون المفضلة بأنه (داعية) ، وإنما انتشر هذا الوصف في الأجيال المتأخرة عندما اغتصب العلم والدعوة من لم يؤهل لأي منهما ؛ قال الله تعالى في وصف أعظم الدعاة إليه : ﴿ وَدَاعِيَا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴾ [الاحزاب: ٤٦] ، وتصحيح اللغة من واجبات المسلم إذا تعلق الأمر بشرع الله ، فقد نهى النبي ﷺ عن تسمية العنب كرمًا [متفق عليه] ، ونهى عن قول : (ما شاء الله وشئت) ، كما

(١) في المجلة العربية مع الشيخ / مناع قطان رحمه الله .

صحّ من رواية أبي داود، وردّ على خطيب القوم قوله: (ومن يعصهما فقد غوى) [رواه مسلم]. ولو قدر العرب لغتهم حق قدرها لعادوا بها إلى أصلها في الكتاب والسنة.

٢- لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ولا في كلام أهل العلم في القرون المفضلة وصف الداعي ولا الدعوة ولا العلم ولا العمل الشرعي بأنه (إسلامي) أو أنها (إسلامية) حتى جاء أهل الفكر في هذا العصر المتخلف - بقلة علمهم وضعف اتباعهم - فاخترعوا هذه الأوصاف لتستر نقصهم في العلم والعمل، بل لتتخذ وسيلة لتسويق الفكر والتجارة والتحزب - أي التفرق في الدين - باسم (الإسلام) افتراء عليه.

٣- اشترط داعي الفكر على الداعي إلى الله: (الفهم الشامل للإسلام في أصوله ومصادره ومقاصده)، واستدل على ذلك بقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: ١٠٨] مفسراً البصيرة - خلافاً لأئمة التفسير - بأنها: (شيء فوق العلم والمعرفة)، ولو أخذ الدعاة برأيه هذا لتوقفت الدعوة إلى الأبد؛ فمن ذا الذي يحيط بالعلم والمعرفة الشرعية فضلاً عما فوق ذلك لو جاز للمسلم أن يدعيه؟ وما هو مقياس ما فوق العلم والمعرفة لو وجد؟

٤- أضاف شرطاً تعجيزياً آخر لا يمكن قياسه: (فهم روح الدين). ووصف الدين بـ(الروحانيات) أجنبى عن الإسلام وترجمة حرفية لوصف أعجمي لدين باطل. وتقسيم الدين إلى روح وحسّ أو مظهر أو مادة اختراع آخر في هذا العصر من وسوسة الشيطان للبعد عن الوحي والركون إلى الفكر مثل تقسيمه قبل هذا العصر إلى حقيقة وطريقة.

٥- أما أئمة التفسير فقد عرفوا البصيرة في الآية الكريمة بأنها الحجة والعلم

والبرهان واليقين، وكلها أمور يمكن قياسها ووزنها بميزان الوحي من كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الهدى في دين الله .

٦- واشترط (المفكر) على الداعي إلى الله أن يكون (محيطاً بأحوال من يخاطبهم على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والنفسية وما يكون لديهم من مشكلات وآلام) ولا أحسبني في حاجة إلى تأكيد استحالة تحقيق ذلك، ولو فرض أن أحد الدعاة أحاط بما يسمى علم الاجتماع وعلم النفس وبالطب على اختلاف فروعه فسينقصه علم الغيب وهو الله وحده .

٧- واشترط (المفكر) على الداعي إلى الله : (أن يكون على معرفة كاملة بمتغيرات العصر، فلا يخاطب العصر الذي يعيش فيه بأحوال ومشكلات عصر سابق)، ومع استحالة القياس الثابت للمعرفة الكاملة، فإن هذا الشرط يناقض سنة الله تعالى في إرسال خير الدعاة وقودتهم : الرسل، ويناقض سنة رسول الله ﷺ في منهاج الدعوة وتوجيه الدعاة . قال الله تعالى : ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل : ٣٦] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة : ٥] .

وبين الله عز وجل في أكثر من سورة أن كل رسول قال لقومه : ﴿يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف : ٥٩] بالنص أو بالمعنى، على اختلاف الزمان والمكان والحال، وبدأ رسول الله ﷺ رسالته وأنهاها بأمر الله، وبعث دعائه بالتحذير من أوثان وأصنام القبور والمقبرين واتخاذها مساجد، وهي أكبر كبيرة وموبقة ومعصية يواجهها الدعاة منذ نوح عليه السلام حتى اليوم . وثبت في صحيح مسلم من حديث أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها، قولها : (ما أخذت ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ إلا من في رسول الله ﷺ، كان يقرؤها كل جمعة على المنبر

إذا خطب الناس)، رغم تغير الأحوال وكثرة الأحداث والطوارئ.

ومن تتبع خطب النبي ﷺ الثابتة عنه، وخطب خلفائه وأصحابه وتابعيه وفقهاء الأمة في القرون المفضلة وجد أنها لا تُعنى بالطوارئ والأحداث والتحليلات السياسية و(متغيرات العصر)، لأن شرع الله - وخطبة الجمعة منه - لا يتغير بتغير الزمان والمكان والحال، ولا يُصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها، وأهم ما يهم المسلم في أي عصر: الاستعداد للموت وما بعده، وهو مضمون سورة ﴿ق﴾، وإعداد المسلم لهذا المستقبل المؤكد يكون - في الدعوة إلى الله على بصيرة - ببيان التوحيد ونقيضه الشرك، ثم ببيان أحكام الشريعة والموعظة عامة، وخطبة الجمعة عبادة توقيفية مثل كل عبادة، وهي قدوة الدعوة وأعلى درجاتها.

٨- وفرّق (المفكر) بين الخطبة والمحاضرة، وأكد العناية بالعواطف والمشاعر بكلام صادر عن الفكر لا عن الشرع، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، ومن الهدى عرفنا العلم الشرعي والخطبة الشرعية وحلقة الذكر، ومن الظن والهوى جاءت المحاضرة وحديث العواطف والمشاعر ومتغيرات العصر والفتنة بالتحليلات السياسية.

هدى الله الجميع، وردّهم ردّاً جميلاً إلى كتابه وسنة رسوله وفقه شريعته، وأعادهم من نزغات الشيطان ونفثه. وصلى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين.

حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام

الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا تصح إلا وفق شرع الله وسنة نبيه ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نصرت: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، وقال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾ [يوسف: ١٠٨].

هذا تقرير واضح محكم من الله العليم الحكيم أن الدعوة إلى الله من خير الأعمال التي يتقرب بها العبد إلى الله، وأن لها سبيلاً واحداً هو سبيل محمد ﷺ، ولكن السبل تفرقت بأكثرتنا عن سبيل الله في دينه ومنه الدعوة إليه. فما حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام، وبالتالي تعدد مناهجها في الدين والدعوة؟

١- توجد إجابة واضحة صريحة في فتوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برئاسة الشيخ / عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، وعضوية نائبه في الإفتاء الشيخ / عبدالرزاق عفيفي (وهو كاتب أصل الفتوى بخط يده)، والشيخ عبدالله ابن غديان، والشيخ عبدالله بن حسن بن قعود، برقم ١٦٧٤ في ٧/ ١٠/ ١٣٩٧، وما ورد في هذه الفتوى: (لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعاً وأحزاباً... فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم، قال الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ إلى

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٣، ١٠٤]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْراً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

أما إن كان ولي أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووزع بينهم أعمال الحياة الدينية والدنيوية فهذا مشروع) انتهى النقل .

٢- وفي مجموع فتاوى الشيخ / عبدالعزيز بن باز ج ٥ ص ٢٠٢ - ٢٠٤ فتوى مماثلة تجيب بوضوح وصراحة عن هذا السؤال ، وفيها : (إن نبينا محمداً ﷺ بين لنا درباً واحداً يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو صراط الله المستقيم ومنهج دينه القويم ، قال الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣] . . فالواجب على المسلم توضيح الحقيقة ، ومناقشة كل جماعة ، ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا محمداً ﷺ ، ومن تجاوز هذا أو استمر في عناده فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة ؛ حتى يتجنب الناس طريقهم ، وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣] ، ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في البلد المسلم مما يحرص عليه الشيطان أولاً ، وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً) انتهى النقل .

٣- وفي فتاوى الشيخ / محمد ناصر الدين الألباني ، جمع عكاشة بن عبد المنان الطيبي ، ص ١٠٦ فتوى مماثلة ، وفيها : (لا يخفى على كل مسلم عارف بالكتاب والسنة وما كان عليه سلفنا الصالح رضي الله عنهم أن التحزب والتكتل في جماعات مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء ، بل ذلك مما نهى عنه ربنا عز وجل في أكثر من آية في القرآن الكريم) انتهى النقل .

٤- وللشيخ / محمد بن صالح بن عثيمين فتوى مماثلة منشورة في كتاب (الصحة الإسلامية . . ضوابط وتوجيهات) إعداد علي بن حسين أبو لوز ، ص ١٥٤ ، وفيها : (ليس في الكتاب ولا في السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب ، بل إن في الكتاب والسنة ذمًا لذلك ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ [المؤمنون : ٥٣] ، ولا شك أن هذه الأحزاب تنافي ما أمر الله به ، بل ما حث الله عليه في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٩٢] . انتهى النقل .

٥- وللشيخ / صالح بن فوزان الفوزان من هيئة كبار العلماء فتوى مماثلة ، وفيها : (التفرق ليس من الدين ، لأن الدين أمرنا بالاجتماع وأن نكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد وعلى متابعة الرسول ﷺ ، يقول الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ [آل عمران : ١٠٣] . انتهى النقل من كتاب : (مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري على ضوء الكتاب والسنة) إعداد : د. عبدالله الرفاعي ، ص ٤٤ ، ٤٥ .

وتفصيل هذه الفتاوى مجتمعة في كتاب : (الجماعات الإسلامية بين العاطفة

والتعقل) للشيخ/ سعود بن مـلـوح العنزي، ص ١٠٣ - ١١٢، مضافاً إليها فصل
عن مضارّ وآفات التحزب والتفرق في الدين ص ٦٣ - ٦٩ مقتبس من كتاب
(حكم الانتماء) للشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد من هيئة كبار العلماء، من ص
١٣٥، ومجموعه فتوى مفصلة بتحريم تعدد الجماعات والأحزاب الدينية.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد - الذي وحدنا الله على منهاجه من الوحي
ويريد الشيطان أن يفرقنا بمناهج غيره من الفكر - وعلى آله وصحبه وأتباعه .



مناظرة أهل الكتاب

الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لها طريق مستقيم واحد لا يجوز تغييره ولا تبديله ولا العدول عنه مهما تغير الزمان والمكان والأحوال: وحي الله في كتابه، وسنة رسوله، وسبيل المؤمنين في القرون الخيرة ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]، وإن عدل عنه أكثر الأفراد والجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلامية والمتسببة إلى الدعوة: ﴿قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

واقْتداء بمنهاج النبوة والرسالة يجب أن يتجه اهتمام الداعي إلى الله لإصلاح المتتبعين إلى الإسلام أولاً - فهم رأس المال كما يقول الشيخ بكر أبو زيد - قبل أهل الكتاب والمشركين قال الله تعالى لنبيه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

وأكثر المتتبعين إلى الإسلام بعد القرون الخيرة خالفوا آخر وأهم وصايا النبي ﷺ فيما رواه أحمد عن أبي عبيدة رضي الله عنه: كان آخر ما تكلم به النبي ﷺ: «... واعلموا أن شرار الناس الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، وما رواه مسلم عن جندب رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ قبل أن يموت بخمس وهو يقول: «ألا وإن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد، ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك»، وما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها، قالت: قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت: فلو لا ذلك لأبرز قبره غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً، وقالت: يحذر مثل الذي صنعوا.

ونافس المنتسبون للإسلام والسنة - اليوم ومنذ قرون - اليهود على قبور أنبيائهم ، ونافسوا النصارى على المقامات المنسوبة للخضر ، ونافسوا فرق الضلال على مزارات ومشاهد شعيب والحسين وزينب ، وأسماء - يصعب حصرها - ما أنزل الله بها من سلطان ، وما هي إلا أساس أوثان وأنصاب وأصنام المشركين من عهد نوح فيما رواه البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما : (أولئك [أوثان قوم نوح] أسماء رجال صالحين ، لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً) ، وفيما رواه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرض موته عن أضرحة وصور القديسين في كنائسهم : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً وصوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

واليوم برز لمناظرة أهل الكتاب ومجادلتهم من لم يعرف منهاج النبوة في الدين والدعوة ولا ظهر منه إنكار للشرك وما دونه من البدع التي يتقرب بها إلى الله أكثر المنتسبين إلى الإسلام ، وانصرف إلى دراسة التوراة والإنجيل للرد على أهلها أكثر مما انصرف لتدبر كتاب الله والعمل به وتبليغه للجميع .

وهذا النهج انحراف عن منهاج الشريعة وسنن جميع الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين في الدعوة إلى الله على بصيرة كما أمر الله : البدء بالدعوة إلى أفراد الله بالعبادة أولاً وقبل كل شيء - حتى يوحدوا الله - ، ثم إلى تحكيم المسلم شريعة الله في العبادات ثم المعاملات ، وبيان ما أحل الله وما حرم ، وتحبيب الخالق إلى خلقه : ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾ [البينة: ٥] ، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] ، والحكمة هي السنة : ﴿ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [النساء: ١١٣] ، ﴿ وَادْكُرْ

مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿الاحزاب: ٣٤﴾ .

وقد خصَّ الله أهل الكتاب بنهي المسلمين عن مجادلتهم أو مناظرتهم إلا بالتي هي أحسن - مع دخولهم في عموم الآية الأخرى - : ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٦] .

وليس من الإحسان سبّ كتبهم واتهامها بفساد اللغة والتناقض في القصص وأنها من عند غير الله كما يفعل أبرز مجادليهم اليوم ؛ فقد نهى الله عن سبّ آلهة المشركين حتى لا يسبوا الله : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الانعام: ١٠٨] ، وصدق الله : لقد دفع سبّ المسلم التوراة والإنجيل إلى سب النصراني القرآن واتهامه بمخالفة قواعد اللغة العربية والتناقض في القصص ودعوى الإتيان بمثله في بعض المناظرات المتأخرة^(١) .

والالتزام بشرع الله في الدعوة ببيان فضل الإسلام وتصديقه لما قبله من الرسائل خير من سبّ الأديان ، وقد تبين لمكاتب دعوة الجاليات في المملكة صحة ذلك عملياً ، والله أعلم وأحكم .

وصلّى الله وسلّم على محمد وآل محمد .



(١) مثل مناظرات الاستاذ/ أحمد ديدات من جنوب أفريقيا للقسيس الفلسطيني الاصل شروش وغيره .

الإعجاز العلمي للقرآن

لابد أولاً من افتراض حسن النية في كل من يحاول اجتذاب الناس إلى دينهم مهما ظهر من مجافاته طريق الصواب ، فقد قال الله تعالى عن أضل عباده : ﴿إِنَّهُمْ أَتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ٣٠] ، ولكن لابد من إظهار انحرافه عن منهاج النبوة حتى لا يغتر به الآخرون .

ومن أسوأ الأمثلة على ذلك : ربط كلام الله اليقيني بالنظريات الحديثة في الكون والحياة ، وكلها ظنية قابلة للتغيير والتبديل .

يعيد بعض الباحثين^(١) بداية هذا الانحراف إلى ما يلي :

١- محاولة بعض المفسرين الماضين سد الثغرات المتهمة في قصص الأنبياء بالتفاصيل المأخوذة من التوراة والإنجيل ؛ غافلين عن حكمة اقتصارها في كتاب الله على مواطن العظة .

٢- الاحتجاج بشعر العرب على القرآن - بدلاً من الاحتجاج بالقرآن على اللغة - : كما احتج الأشاعرة على تأويل الاستواء بالاستيلاء : (قد استوى بشر على العراق) ، وتأويل الكرسي بالعلم : (ولا يُكرسى علم الله مخلوق) ؛ صرفاً للفظ عن ظاهره .

٣- الاحتجاج بالرأي المخالف لمنهاج السنة في فهم الآية انتصاراً للمذهب : كما احتج الخوارج على ضلال عثمان وعلي رضي الله عنهما بقول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال: ٢٥] مؤكدين رأيهم بحديث

(١) للتفصيل يراجع كتاب (بدع التفاسير) ، لرمزي نعاية آثابه الله .

موضوع: أن رسول الله ﷺ قال لعثمان: (بك تفتح)، ولعلي: (أنت إمامها وزمامها وقائدها تمشي فيها مشي البعير).

وكما احتج الإمامية على حصر الولاية في علي رضي الله عنه - والأئمة من نسله - بقول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة: ٥٥]، وأنها نزلت في علي رضي الله عنه إذ سأل سائل وهو رাকع في صلاته، فأومأ إليه بخنصره فأخذ خاتمه منه.

ولعل أول من وقع في شبهة الإعجاز العلمي في القرآن: الغزالي (ت ٥٠٥) في (إحيائه) إذ ادعى أن القرآن يحوي سبعة وسبعين ألف علم، بعدد كلماته مضاعفة أربع مرات؛ بادعائه أن لكل كلمة ظاهراً وباطناً وهداً ومطلعاً، وفي كتابه (جواهر القرآن) يخصص الفصل الخامس لبيان احتمال القرآن على جميع العلوم أو الفنون الدنيوية.

وكما فتح الغزالي الباب للخلط بين التصوف والإسلام؛ فتحه للخلط بين الفكر والفقه في نصوص الوحي، فجاء من بعده الرازي (ت ٦٠٦) فزاد الطين بلة. ثم استفحل الأمر فجاء ابن أبي الفضل المرسى (ت ٦٥٥) فاستخرج الهندسة من قوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلِّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ﴾ [المرسلات: ٣٠]، والجبر والمقابلة من الحروف في أوائل السور مثلاً.

وفي هذا العصر الذي بهر أبصار المسلمين وبصائرهم بنظرياته ومخترعاته، وإذا كان الكواكبي (ت ١٣٢٠) هو السابق للابتداع في التفسير بمثل عزوه التصوير الفوتوغرافي إلى قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]؛ فإن لواء الابتداع في هذا الأمر

معقود للشيخ / طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨) ففي مؤلفه : (الجواهر في تفسير القرآن - ٢٦ مجلداً) كثير من المضحكات المبكيات ، منها : استخراج تحضير الأرواح من قول الله تعالى : ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٧٣] ، وقوله تعالى : ﴿أَوَ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩] ، وقوله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠] ، واستنبط من الآيات أن يكون محضّر الأرواح ذا قلب نقي خالص كالعزير وإبراهيم وموسى .

وبهرت لغة العصر سيد قطب فوصف كلام الله (بالتصوير الفني ، والتصور الرباني ، والموسيقى الحادة التقاسم ، والموسيقى المطمئنة المتموجة) . ومصطفى محمود فتكلم عن (سمفونية الفاتحة) ، وعن (الشفرة والرمز والألفاظ المطلسمة) في القرآن . وفي محاولة كل منهما - الأديب والطبيب - تفسير القرآن ما يفوق ذلك افتتاتاً على اللفظ والمعنى ، وانحرافاً عن شرع الله ومنهاج خيار هذه الأمة .

وإذا لم يقف ولادة أمر المسلمين في وجه هذا الهجوم الشرس على تفسير كلام الله بغير علم ولا هدى ، من قبل الأدباء والوعاظ والوراقين وتجار الدين ، فليس من المستبعد أن يحدث في الإسلام ما حدث في النصرانية عندما أرادت اللحاق بركب العصر العلمي فأدخلت في تفسير الأناجيل دراسات في الفلك ، وفي الرياضة والعلوم الطبيعية والفنون التطبيقية ، ولما تغيرت النظريات مع الزمن - كما يحدث دائماً في النظريات الظنية - فقد الدين النصراني احترامه بين أكثر أهله .

وقد رأينا اليوم انصراف الشباب المسلم عن تفاسير الأئمة في القرون الأولى

- وهم أهل اللغة التي أنزل بها القرآن ، وأهل العلم الشرعي المستنبط من الوحي -
إذ أعشاهم البريق المؤقت للتفاسير العصرية عن التمييز بين الحقيقة والخيال وبين
العلم اليقيني والفكر الظني .

وإعجاز القرآن عرفه المسلمون الأوائل القدوة في فصاحته وبلاغته وحججه
البالغة وإخباره عن غيب لا يعلمه إلا من أنزله . وبدعة الإعجاز العلمي للقرآن لا
تعدو أن تكون إهانة للقرآن وإعلاء لنظريات الملحدون .
وصلّى الله وسلّم على محمد وآل محمد .

■ ■ ■ ■ ■

المعروف المنكر والمنكر المعروف

عند غربة الدين قد يرى أكثر المنتسبين إلى الإسلام - فضلاً عن غيرهم - ما هو معروف في شرع الله منكراً، وما هو منكر في شرع الله معروفاً، والبدعة سنة والسنة تشدداً وتنطعاً وتنفيراً. وصدق رسول الله ﷺ وعلى آله ومتبعي سنته: «بدأ الإسلام غريباً وسيعود كما بدأ غريباً، فطوبى للغرباء» [رواه مسلم]، والغرباء هنا: هم الذين يبقون على منهاج النبوة اليقيني في الدين والدعوة إليه إذا تحوّل عنه أكثر أهله إلى مناهج البشر الظنية، وتحولوا عن جماعة المسلمين الواحدة إلى الجماعات والأحزاب الدينية المتعددة ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣٢]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتُ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، وبين النبي ﷺ أكبر سبب يوصل المسلمين إلى هذا الدرك: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤوساً جهالاً، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا» [متفق عليه].

ومع وجود القلة من علماء الشريعة على منهاج النبوة اليقيني اليوم، والكثرة من طلاب العلم الشرعي الوظيفي على منهاج الفكر الظني - الموصوف زوراً بالإسلامي - فإن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء يستعجلان الوصول إلى حال الغربة في الدين بصرف أكثر المنتسبين إلى الإسلام عن علماء الشريعة الربانيين إلى المفكرين - الموصوفين زوراً بالإسلاميين - والكتاب والصحفيين، والممثلين والمهرجين، والقصاص من الواقعيين. وكما يوضع السكر على حبة الدواء المرّ، توضع المحسنات اللفظية والمزيّنات الفنية على الفكر ليظنه الجاهل وحيّاً من وحي

الله وشرعاً من شرعه وفقهاً في دينه .

وإذا كان من أقرب الأمثلة صلة بالدين : انصراف القصاصين والحركيين والحزبيين من دعاة العصر عن نشر توحيد الله بإفراده بالعبادة والتمسك بسنة رسول الله ﷺ، والتحذير من إشراك الأولياء مع الله في دعائه وسائر عبادته، ومن الابتداع في الدين - منهاج كل رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وكل رسالاته - فإن من أقرب الأمثلة صلة بالدنيا ما تنفثه أبواق التقليد اللفظي والعملي للمغضوب عليهم والضالين والملاحدين من الترغيب في عمل المرأة خارج بيتها - حتى لا يتعطل نصف المجتمع ! - والترهيب من عمل الأطفال - حتى لا تُسرق منهم الطفولة ! - زعموا !

وليتبين وجه الحق لا بد من رد الأمر إلى نصوص الوحي إذا وجدت، أو إلى العقل الأصيل الذي لم يحرفه التقليد البغائي عن فطرته :

أ - لقد أمر الله تعالى نساء نبيه ﷺ - قدوة المسلمين في كل مكان وزمان - في آية محكمة بالقرار في البيوت : ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [الاحزاب: ٣٣]، وحكم بأن مسئولية كسب المعيشة على الرجل : ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤] .

وقال رسول الله ﷺ لنساء المؤمنين : «صلاتكن في دوركن أفضل من صلاتكن في مسجد الجماعة» [رواه ابن خزيمة - صحيح الترغيب -] ؛ فكيف بما دون الصلاة من لهو، أو من عمل لم يضطرها الله إليه؟ وقال رسول الله ﷺ للرجال والنساء من أمته : «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته؛ فالرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته، والمرأة

راعية في بيتها وهي مسئولة عن رعيته» [متفق عليه].

ومن هذا الوحي اليقيني من كتاب الله وسنة رسوله يتبين لمن تدبره أن الله تعالى قسم العمل المعيشي بين الرجل والمرأة: عليه تحمل مؤونة أهله بكسب المعيشة خارج البيت، وعليها تهيئة أسباب المعيشة داخل البيت، وتحقيق فطرة الله لها وقدره عليها يوم خلقها: ﴿لَيْسَ كُنْ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٩] زوجها، وتربية أطفالها حتى يؤهلهم الله لتحمل تكاليف الحياة داخل البيت أو خارجه حسب الاختيار الحكيم الثابت لخالقهم وليس تبعاً لأهواء البشر المتقلبة القاصرة.

ولقد يسر الله كلاً من الرجل والمرأة لما خلق له [متفق عليه]، وميَّزه بصفات عقلية وجسمية وعاطفية مختلفة تناسب وظيفته في الحياة، بعد الوظيفة العظيمة المشتركة بينهما وهي: عبادة الله وحده لا شريك له بما شرعه من عبادات مفروضة أو مسنونة: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وإنما يظن الخرافصون بأن انصراف المرأة لشؤون بيتها وزوجها وأولادها تعطيل أو سجن لها؛ لجهل أو رفض لاختيار الله وفطرته وشرعه وأمره لها.

ومع انتشار البطالة ونقص الوظائف والمهن اليوم عن عدد المؤهلين للعمل من الرجال في مختلف أنحاء العالم؛ فإن الدعوة لعمل المرأة خارج بيتها تزيد في استفحال المشكلة الاقتصادية، وتنقل مسئولية المرأة عن الإدارة والرعاية والتربية البيتية إلى الخادومات والمربيات المستقدمات من بيئات غريبة جاهلة، وكما أنه: ﴿لَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾ [آل عمران: ٣٦]، فلن تكون الأجيال كالأم والزوجة.

ويمكر إبليس وتمكر النفس الأمار بالسوء - أعاذنا الله منهما - فيسولان لمسلمي العصر - باسم الإسلام - مخالفة فطرة الله للمرأة وشرعه لها بإخراجها من

أمن بيتها وجرّها إلى فتنة السوق بإنشاء المصارف والأسواق والملاهي النسائية، بل والمساجد النسائية المستقلة أو الملحقة بالمساجد العامة. وهي دعوة عملية لترك المرأة ستر بيتها للأغراض الدنيوية، أو الدينية التي لم تفرض ولم تُستحب لها.

لقد أباح الشارع للمرأة الصلاة في مسجد الجماعة (رخصة لا عزيمة، وخلافاً للأولى الذي رغبها النبي ﷺ فيه وهو صلاتها في دارها) خلف الرجال، دون عزلها عنهم كما يفعل المنتطعون اليوم.

ب - أهم ما يتعلمه الطفل - بعد دينه - تحمل مسئولية نفسه وغيره، بقدر تكليفه واستطاعته، والمدرسة اليوم غير مؤهلة لتعليمه ذلك بل هي - في الواقع - تعلمه الاعتماد على غيره في العلم والعمل.

فإذا هيأ الله له الإنتاج في سنٍّ مبكرة؛ فلا يجوز لنا رده إلى عادة الاستهلاك، وإذا هيأ له قدر الله عليه حث خطاه إلى مرحلة الرجولة المقبلة والاعتماد على نفسه - بعد الله - وإعانة أهله المحتاجين إلى عونه؛ فلا يليق بنا رده إلى مرحلة الطفولة ومدّها تعسفاً حتى ينهي دراسته، ليظل عالة على غيره، ويعيش في سنوات نموه حياة الكسل والبطالة المقنعة بين التلهي بالهاتف والجريدة والإذاعة والألعاب الآلية، وبين المآكل الناعمة قليلة التغذية من مطاعم الوجبات السريعة. وفرحة الطفل بعمله وإنجازته أكثر من فرحته بلعبه، وعلى من يهتم بالطفولة أن يحرص على تعليمه القراءة والكتابة والأرقام بعد نهاية عمله اليومي في كسب معاشه، وذلك خير للطفل وللأمة من ضياع سني عمره الأولى في التظاهر بالإعداد لمستقبل لا يعلم إلا الله حدود وقته ونوعه - فالموت هو المستقبل الوحيد المؤكد لابن آدم الطفل أو الشيخ -، وجبر النقص وتقويم الاعوجاج خير من

التقليد الشكلي بتركيز الاهتمام على من يوصفون حقيقة أو خيالاً بالموهوبين كمثّل أحدوثة الراعي الأحق الذي قيل إنه يطلق سِمَان الغنم في المرعى ويحبس عجافها بحجة التمشي مع قدر الله لها .

والطفل الضعيف - لأي سبب - هو الجدير بالاهتمام الخاص حيث تشتد حاجته إليه ، أما الموهوب - إذا كان متميزاً حقاً - فهو أقدر على الاهتمام بنفسه .

ولقد تبين لي من دراستي النظرية وممارستي العملية - في حقلي الشريعة اليقينية والتربية الظنية - أكثر من نصف قرن - في الداخل والخارج - ما يلي :

١- أن من خير ما يفترض أن تدرب المدرسة الطفل عليه : تحمل تكاليف الشريعة والحياة ، وحسن معاملة خلق الله من الناس والدواب والأنعام والجماد . ولكن الواقع يؤكد أن نصيبها من النجاح في تأدية هذه الأغراض العظيمة ضئيل جداً .

٢- وأن من خير ما يفترض أن تعلّم المدرسة الطفل : حب العلم والرغبة في تحصيله داخل التنظيم التعليمي وخارجه ، أو كما يقول المثل الخيالي : (من المهد إلى اللحد) . ولكن نصيبها من النجاح في تحقيق هذا الغرض لا يزيد عن سابقه .

٣- بل الحقيقة أن نظم الدراسة المستوردة ، ومنها طريقة التعليم ذات الاتجاه المحدد الواحد - من فم المعلم إلى أذن الطالب ، والسباق الظالم غير المتكافئ - تعلم الطالب - دون قصد - كراهية المدرسة والضجر من الدراسة والتطلع إلى توقف التعليم بانتهاء الحصة واليوم الدراسي ، أو بحلول العطلة المدرسية ، أو بالتخرج من المدرسة ، أو بترك الدراسة .

٤- أشهر العلماء والمبدعين في التاريخ لم يصلوا إلى الإنجاز والشهرة بسبب المدرسة، بل بالرغم منها، وكثير منهم تركها - في إحدى مراحل الدراسة - لمن يستعيضون بالشهادات والألقاب الدراسية عن العلم، كما قد يستعيض العسكري عن الشجاعة بالأوسمة والنياشين - في رأي ساحر (الأز) الخيالي عن الحال في أمريكا، وهي قدوة الأغلبية ولو لعنوها.

٥- مهمة المسلم في الحياة أعظم من كل اختراع صناعي ومن كل إبداع جمالي ومن كل هدف فني: الالتزام بشرع الله على منهاج النبوة علماً وعملاً ودعوة لإخراج نفسه وغيره من الظلمات إلى النور، قال الله عز وجل: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نصلى: ٣٣]، والمدارس العامة والخاصة لا تؤهله لذلك.

٦- أما الدنيا فالكافر أسبق إليها دائماً وهو أولى بها بل هو الأصل فيها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]. وقال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر» [رواه مسلم].

٧- ومن يسير في الأرض فينظر ويتفكر؛ يجد أن كل المنجزات القديمة المادية وثنية الأصل من إنتاج: الهندوس والأنباط والفراعنة واليونانيين والرومانيين والإنكا وغيرهم. والمنجزات الحديثة المادية: لغير المسلمين. وسيظل المسلمون - ما تمسكوا بدينهم - هم الأقل في متاع الدنيا وعلومها؛ فلم يلتفت الأوائل إلى علوم الدنيا اليونانية، ولم يلتفتوا إلى ترف الملابس والمسكن والمركب في العراق

وفارس والشام ومصر واسبانيا إلا بعد ضعف تمسكهم بالدين والدعوة إليه . قال رسول الله ﷺ : « ما الفقر أخشى عليكم ، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بُسطت على من قبلكم ، فتنافسوها كما تنافسوها فتهلككم كما أهلكتهم » [متفق عليه] .

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته إلى يوم الدين .



حقيقة المحبة الشرعية

حقيقة العبودية وحقيقة المحبة الشرعية : الالتزام بما جاء به محمد رسول الله ﷺ ؛ قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب: ٢١] ، ولا سبيل للمسلم إلى تحقيق حبه لله ، وتحصيل حب الله ومغفرته له إلا اتباع رسوله ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١] . ومن خالف منهاج الرسول ﷺ الذي اختاره الله ورضيه له ولا مته إلى يوم القيامة - كما فقهه وعمل به المؤمنون في القرون المفضلة - فلن يقبل الله منه ، مهما بذل من جهد وما ادعى من حب لله ولرسوله ولدينه ، بل ومهما بلغت رغبته في الخير والهدى من مبلغ ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥] . وقال تعالى : ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠] .

وقد غلت أم غابرة وحاضرة في إظهار محبة الدين أو الرسول أو من يُعتقد فيهم الصلاح ، وتجاوزت حدود شرع الله لعباده ، فاستحقت غضب الله ولعنته وعقابه ، قال الله تعالى : ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزِّيُّ بْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَتُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (٣٠) اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٠ ، ٣١] . وقبل اليهود والنصارى غلا البوذيون في (بوذا) ، وغلا الهندوس من قبلهم في (براهما) فعبدوهما . بل

زاد النصارى غلوهم في عيسى فجعلوه تجسيدا لذات الإله وثالث ثلاثة، وبالتالي : قالوا عن مريم عليها السلام : والددة الله ، وعن الله ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٤٣] ، فقالوا : الأب .

وقد حذر الله أمة الإسلام في كتابه وسنة رسوله من اتباع سبيل الكافرين والغلو في الدين ؛ قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧] ، وقال النبي ﷺ : «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم ، فإنما أنا عبده ، فقولوا : عبد الله ورسوله» [رواه البخاري] . وقال ﷺ : «لتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر ، وذراعاً بذراع ، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» [متفق عليه] ، وقال ﷺ : «إياكم والغلو فإنه أهلك من كان قبلكم» [رواه أحمد] .

وصدق الله عز وجل ، وصدق رسوله ﷺ ، لقد تبع أكثر خلف المسلمين - بعد القرون المفضلة - سنن من كان قبلهم من اليهود والنصارى والمشركين في أسوأ أقوالهم وأعمالهم ، بقيادة الفاطميين أولاً والعثمانيين أخيراً وبتسويل التصوف ووسوسته أولاً وأخيراً . ووجد أكثر من لم يمش في ركاب الضلال من المسلمين أن لا قبل لهم بمقاومته ، فقال لسان حالهم : لكم دينكم ولي دين .

وبما أنه لا يكون إسراف إلا ويكون معه حق مضيع ؛ فقد صاحب الغلو في ادعاء المحبة تضييع لرجاء الله وخوفه ، ولا يزال كثير من الدعاة والخطباء - فضلاً عن العوام - بعد اثني عشر قرناً ونصف قرن من موت (رابعة العدوية) يتبعون ما ينسب إليها من خرافة : (اللهم إن كنت أعبدك طمعاً في جنتك فاحرمني منها ، وإن كنت أعبدك خوفاً من نارك فأدخلني فيها) وكل ما يميز (رابعة) في أخبار

السير - لو جاز الاعتماد على التاريخ في أحكام الدين - أنها تائبة عابدة، ولم يدع أحدٌ أنها من أولي الأمر والعلم الذين تؤخذ منهم الفتوى في الشريعة مما يحملون من نصوص الوحي والفقه في الدين .

ولا تصدق دعوى المحبة الشرعية دون موازنة بين الرجاء والخوف ؛ قال الله تعالى: ﴿وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الاعراف: ٥٦]، و«الدعاء هو العبادة». وقال الله تعالى عن أنبيائه وملائكته وصالحى عباده الذين يتقرب الناس بدعائهم منذ انحرف قوم نوح عليه السلام عن صراط الله المستقيم إلى قيام الساعة: ﴿أَوَلَيْكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]. ولا يتم الإيمان دون الجمع بين المحبة والرجاء والخوف .

وقال المتسبون للإسلام والسنة في دعائهم النبي ﷺ - غُلُوا في حبه ومخالفة لهديه :- (يا أول خلق الله، ويا أول الأولين وآخر الآخرين). أما هو فقد قال - من وحي الله له :- «أول ما خلق الله القلم» [رواه أبوداود، والترمذي، والبيهقي].

واختاروا للصلاة عليه الصلاة النارية، وفيها وصفه بما لا يوصف به إلا الله : (الذي تنحل به العقد، وتنفرج به الكرب، وتُنال به الرغائب، وتُقضي به الحوائج). واختار لخير أمتهم ومن بعدهم - من وحي الله له :- «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم إنك حميد مجيد» [متفق عليه].

وقال شاعر المدائح المبتدعة مخالفاً أمر الله ورسوله :

وإن من جودك الدنيا وضرتها

ومن علومك علم اللوح والقلم

لو ناسبت قدره آياته عظماً

أحى اسمه حين يدعى دارس الرمم

وكذبوا قول الله وقول رسوله أنه بشر وأنه خلق من طين ومن صلب آدم؛ قال أبو الهدى الصيادي - الذي جعلته الخلافة العثمانية غير الراشدة وغير المهدية المرجع الديني الأول والأخير في عهد السلطان عبدالحميد -: (قبض العزيز جل جلاله من نور وجهه قبضة فخلق منها سيد الخلق ﷺ) . [قلادة الجواهر] .

وقال الرواس الحموي في كتاب (بوارق الحقائق) ص ١٩٣ :

وهو نور أزلّي طرزّه

صار في وجه وجود الكون شامة

طوي العالم في جَبَّتِه

وعلى العرش علت منه العمامة

وقال عوامهم في الموالد ما يشبه الذم مما لا يليق بمقام النبوة: خدّه أحمر مورّد . ريقه سُكّر مكرّر . بطنه طيّ الحرير . حين يشتد الزفير .

وجاء المفكرون والكتاب الموصوفون بالإسلاميين الذين استباحوا حمى العلوم الشرعية - وبخاصة التفسير والسيرة - وهم من غير أهلها؛ فقال بعضهم: (إن الله أعطى محمداً صفتين من صفاته ﴿رءوف رحيم﴾) . وما وعوا أنهم أخطأوا إن قصدوا الاشتراك في اللفظ؛ فقد قال الله عن الإنسان شاكراً أو كفوراً: ﴿سميعاً بصيراً﴾ . وارتكبوا شركاً لفظياً إن قصدوا الاشتراك في المعنى المطلق، فلا شريك لله في صفاته: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١] .

وقال بعضهم: إن محمداً خير من موسى عليهما الصلاة والسلام، فقد قال الله عن موسى: ﴿وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤]، وقال لمحمد: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، وأخطأوا لغة وشرعاً؛ فقد قال الله عمن هو دون محمد ﷺ: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢١]. وعصوا نهي رسول الله ﷺ لأمته عن المفاضلة بينه وبين نبي معين: «لا تخيروا بين الأنبياء - وفي رواية: لا تخيروني على موسى - فإن الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من تنشق عنه الأرض فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش؛ فلا أدري كان فيمن صعق أم حوسب بصعقته الأولى - وفي رواية: أو كان فيمن استثنى الله -» [متفق عليه].

قال رسول الله ﷺ في التحذير من مثل ما اقترفه هؤلاء العصاة: «هلك المتنتعون» ثلاثاً. [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «إن أبغضكم إليّ وأبعدكم مني يوم القيامة: الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون» [رواه الترمذي].

والإسلام والمسلمون في غنى عن الشطحات الصوفية الضالة والمقابلات اللغوية والفكرية المتنتعة، بوحى الله في كتابه الكريم وسنة نبيه المعصومة، قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [الفلم: ٤]، وقال رسول الله ﷺ عن نفسه: «أنا سيد الناس يوم القيامة» [متفق عليه]، وفي رواية ابن حبان: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وأول من تنشق عنه

الأرض، وأول شافع، بيدي لواء الحمد تحته آدم فمن دونه»، وقال ﷺ: «أعطيت خمساً لم يُعْطَ من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وجُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً وأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل، وأُحِلَّت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وأعطيت الشفاعة» [متفق عليه].

ومن لم يكفه ما جاء في كتاب الله وسنة رسوله فما استسلم لأمر الله وشرعه، ولا صدَّق في ادعائه حب رسول الله ﷺ، ولا وجد حلاوة الإيمان، ولن تجد له ولياً مرشداً «فمن رغب عن سنتي فليس مني» [متفق عليه].

وصلّى الله على محمد وآل محمد.



القول على الله بغير علم

بعد القرون المفضلة المتميزة بالاتباع والفقه في الدين، انحدرت الأمة في قرون التخلف إلى حضيض التقليد الجاهل والتعصب المذهبي، وانحرفت فئة من جهلة العباد إلى التآسي بعباد اليهود والنصارى، وانحرفت فئة من المفكرين المناهضين للتقليد إلى إخضاع النصوص الشرعية لشطحات الفكر الوثني، تصديقاً لما أخبر به النبي ﷺ أمته: «لتبعن سنن من كان قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع»، قالوا: اليهود والنصارى؟ وفي رواية: فارس والروم؟ قال: «فمن الناس إلا أولئك» [متفق عليه].

ولم يستثن الانحراف الفكري الفقه في كتاب الله ووحيه إلى رسوله ﷺ؛ فجاء من كبار مفكري الصوفية من يؤول الآية المحكمة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، بما يناقضها: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، أي: ستروا محبتهم لله عن غيرهم ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ﴾ يا محمد ﴿أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ بك لأنهم لا يأخذون إلا عني، ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ﴾ فليس فيها إلا محبتي، ﴿وَعَلَى سَمْعِهِمْ﴾ فلا يسمعون إلا مني، ﴿وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ [البقرة: ٦، ٧] فلا يرون إلا إياي. [الفتوحات المكية لابن عربي ج ١، ص ١١٥].

وبمثل هذا التحريف عن مواضع الكلم أول قول الله عن قوم هود: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمְطِرُنَا﴾، ظنوا بالله خيراً وهو عند ظن عبده به، فأخبرهم بما هو أتم وأعلى - في القرب - من المطر، ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ﴾، فجعل الريح إشارة إلى ما فيها من الراحة، ﴿فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الاحقاف: ٢٤]، أي: أمر يستعذبونه إذا ذاقوه. [الفصوص والحكم لابن عربي، ص ١٠٩].

وحين لا يبلغ الانحراف هذا المبلغ، تُدَنَسُ التفاسير - بعد عصر الصفوة - بالقصص الإسرائيلية، والروايات المكذوبة والسفسطة العقلية، من ذلك ما روي بغير سند صحيح عن فتنة داود عليه السلام، وقصة الغرانيق، وما أوَّلَ به محكم قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ عَلَيَّ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٢٠] قال السيوطي رحمه الله في تفسير الجلالين: (واختص العقل ذاته، فليس عليها بقادر).

وفي هذا العصر الذي رغب فيه العرب عن لغة الكتاب والسنة واحتضنوا لغة الجريدة والإذاعة، استبيح حمى التفسير فلم يتورع عنه المثقف الجاهل بشرع الله؛ استباحه الخطيب والواعظ والكاتب والطبيب والمهندس، وكل من هبَّ ودبَّ وهان عليه القول على الله بغير علم.

وصار من مسلّمات مفسري العصر، والمخدوعين بزيهم وألقابهم (مثلاً):

١- أن الله لا يؤمن من غضبه وعقابه إلا المصلحين، أما الصالحون فلا أمان لهم استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود: ١١٧]، فإنه لم يقل: وأهلها صالحون.

وغاب عن إدراكهم أن كلمتي: ﴿الصَّالِحِينَ﴾ و﴿المُصْلِحِينَ﴾ وردتا في كتاب الله بمعنى واحد؛ قال الله تعالى في غير الأنبياء من بني إسرائيل: ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [الاعراف: ١٧٠]. وقال تعالى في عدد من الأنبياء: ﴿وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٦]. وقال تعالى في الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر: ﴿وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. وورد وصف المصلحين بالصالحين - والعكس - في آيات كثيرة، ولكن التدبر

قليل؛ إذ شغل مكانه بالتنطع والتشدد والفيهقة، وبالحفظ والتجويد الذي لا يتجاوز الحناجر. نسأل الله المغفرة والهداية للجميع.

٢- أن الله لا يضيف إلى نفسه من العباد إلا الصالحين، استدلالاً بقول الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولم تتسع عقولهم لحقيقة أن الكل عباد الله صالحهم وطالحهم؛ قال الله تعالى: ﴿أَأَنْتُمْ أَضَلُّتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ﴾ [الفرقان: ١٧]. وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾ [سبا: ٣]. وورد المعنى بلفظ ﴿عبادك﴾ و﴿عباده﴾ و﴿عبادي﴾ في آيات وأحاديث كثيرة.

٣- أن الله قدّم السمع على البصر بياناً لأهمية الأول في مثل قول الله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ﴾ [يونس: ٣٧]، وقوله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢].

فلم يردعهم مثل قول الله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ [الاعراف: ١٧٩]، وقوله تعالى: ﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ [الكهف: ٢٦]، عن القول عليه بغير علم.

٤- أن الله قدّم البشارة على الإنذار في وصف الرسل، دليلاً على فضل الأولى - على الثاني - في منهاج الدعوة، مستدلين بقول الله تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ﴾ [الأنعام: ٤٨]، وقوله تعالى: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩].

وضاقت أفهامهم عن استحضر قول الله تعالى: ﴿إِنِّي لَكُمْ مِّنْ نَّذِيرٍ وَبَشِيرٍ﴾ [هود: ٢]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٣]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ

مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ الْغَيْبَ ﴿١١﴾ [يس: ١١]. والآيات مثلها كثيرة.

والسبب الأول في نقص المدارك أن العلم بشرع الله فقد الشمول والاحاطة والتدبر - الذي كان سمة للأئمة الأول ومن سار على نهجهم - ومُلئ فراغه بالألقاب الدراسية المغربية والزيّ المبتدع، (ومُسخت الجوامع) فتحولت جامعات لإعداد الموظفين.

ولأن المطابع ودور النشر والمكتبات التجارية تقول دائماً: هل من مزيد؟ فإن أدعياء العلم الشرعي مستعدون لاغتنام فرص الكسب من الغنائم الباردة: مزيج من النقل الحرفي والفكر الضحل، ثم يتوج الناتج بحفظ حقوق الطبع والتأليف، وحظر النقل والإقتباس، خلافاً للمثل المصري: (السارق من السارق كالوارث من أبيه).

ولأن شباب ما يسمى بـ(الصحوة الإسلامية) - بقوة حماسه وضعف بصيرته وقلة تثبته - مندفع لتشجيع واستهلاك كل ما يوصف بالإسلامي والإسلامية من كتاب وشريط وخدمة تجارية؛ فإن الوراقين والكتّاب والحركيين والحزبيين (الإسلاميين) مستعدون لاستغلال فراغه وعطشه وجِدته بكتب التفسير والسِّير، والخطب والدروس الفكرية، (وتجييرها) للمصلحة الفردية أو الحزبية.

والحصيلة النهائية: مساوئ كثيرة وخطيرة، أكبرها: القول على الله بغير علم في الحاضر، والمرونة على ذلك في المستقبل، إن لم يتدارك ولادة الأمر من المسلمين - علماء وأمرأ - هذا الأمر، ويردوه إلى سنة رسول الله ﷺ، وسنة خلفائه، وفقه صحابته وأئمة الهدى في القرون المفضلة.

وصلّى الله وسلم على محمد وآله.



إنما المساجد لذكر الله وحده

قبل سنوات دُعي عدد من المفكرين الموصوفين - خطأ - بالإسلاميين إلى مؤتمر لبحث ما سموه: (رسالة المسجد). وكالعادة تسابق المدعوون إلى الانتفاع بغنائم المؤتمرات العاجلة: السفر والإقامة المجانية، والتطلع إلى غنائم المؤتمرات الآجلة وأهمها: الوظيفة في المؤسسة - التي يُتوقع أن تنشأ كالعادة لتحقيق نتائج المؤتمرات وتوصياتها - لصالح الفرد أو حزبه:

أ- ولضمان الوصول إلى هذه الغايات حرص المفكرون - والفكر غير الوحي؛ فلا يجوز نسبته إلى الإسلام - على ما يلي:

١- استعراض مؤهلاتهم وخبراتهم والرمز لها بحروف تسبق أسماءهم، مما يذكر بقول بعض العابثين إن - أ - تعني: أحقق، و - د - تعني: دجال. ولئن نزهنا أكثرهم عن تهمة الدجل، فالحمق ليس ببعيد عن يحرص على استعراض لقبه الدراسي مما ترقع عنه علماؤنا الأعلام جميعاً رحمهم الله.

والمسلم - بل والكافر - لا يظن فكره وعمله إلا على الهدى في أغلب الأحوال، فقد قال الله تعالى عن أكثر خلقه ضلالاً وكفراً: ﴿إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠]، وقال تعالى عن أمثالهم: ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]، ولكن تزكية النفس وادعاء العلم والتفاخر بالمظاهر والألقاب المستوردة مخالفة للشرع والعقل والخلق، واستعاضة بالألقاب والرموز الرخيصة عن المراقبي العالية لعلوم الشريعة.

وللقارئ أن يرجع إلى البحث العلمي الفريد للشيخ / بكر بن عبدالله أبو زيد بعنوان: (تغريب الألقاب العلمية) وقد كتبه بعد حصوله على درجة العالمية

(الدكتوراه) وأصرَّ على رفض إلصاقها باسمه ، شفاه الله وعافاه ورفع درجاته في الدنيا والآخرة .

٢- حشد أكبر عدد من المهمات التي يعتقد المفكرون الحركيون أن المسجد أسَّس لخدمتها ، ظناً منهم أن أي استخدام للمسجد - رخصة - في عهد النبوة ؛ دليل صريح على فرض استخدامه للغرض نفسه إلى قيام الساعة ، وإلا وقعت الأمة والولاية بخاصة في الإثم لأنها - كما يقولون بلغة الصحافة الدارجة - : (أفرغت المسجد من محتواه فلم يعد يُستعمل إلا للصلاة) .

ب- ولم ينتبه المفكرون الغافلون إلى أن المساجد إنما أذن الله بينائها للصلاة وما تشتمل عليه من ذكر لله وتلاوة لكتابه ، وأن استعمالها لغير ذلك من الأمور المباحة إنما كان رخصة للحاجة .

وليس من دواعي الشرع ولا من دواعي العقل ما يوحى بالدعوة إلى إلغاء مباني المعاهد العلمية ودور الضيافة والمؤسسات العسكرية والأمنية وقاعات الاستقبال والمؤتمرات اكتفاء بمبنى المسجد لأن الرسول - صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه وأتباع سنته - رخص - بقوله أو فعله أو تقريره - في النوم ، وعقد ألوية الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا ، وربط الأسير ، واستقبال الوفود ، بل ولعب الأحباش المباح في المسجد .

ولا شك أن المفكرين الموصوفين بالإسلاميين لن يخالفوا العلماء بشرع الله في ذلك لو أنهم خرجوا عن مألوفهم فربطوا النتائج بالمقدمات ، واستفادوا من فقه أئمة الأمة في نصوص الوحي ، ونبذوا الفكر واعتصموا بالوحي ، واتبعوا منهاج النبوة المعصومة وسبيل المؤمنين من الخلفاء الراشدين والصحابة والتابعين .

ج- ولو أنهم خالفوا نهج بني إسرائيل في تحديد أوصاف البقرة التي أمرهم الله بذبحها، واكتفوا بما بينته آية واحدة وحديث صحيح واحد؛ لكفوا المسلمين عنت النفقات والأوقات والجهود التي صُرفت لتوضيح أمر واضح وبالتالي الخروج به عن حدود شرع الله. قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ﴾ [النور: ٣٦]، وقال رسول الله ﷺ عن المساجد: «إنما هي لذكر الله والصلاة وقراءة القرآن» [رواه مسلم]. والصلاة ذكر لله وقراءة للقرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال النبي ﷺ: «إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن» [رواه مسلم].

ولكن الحركيين الحزبيين اعتادوا - على حين غفلة من أولي الأمر في بلاد الإسلام - اتخاذ المساجد مفارخ للحزبية (الإسلامية) المبتدعة، والفتنة بين الشباب وجماعة المسلمين ومن ولأه الله أمرهم وراء جدران دور تحفيظ القرآن المحدثه التي صارت جزءاً لا يكاد يفصل عن مبنى المسجد.

والقرآن مكانه المصلّى ليستفيد الجميع من مدارسته؛ فما الحاجة إلى عزله عنه؟ وأهم من تحفيظ القرآن تدبره؛ فهو السبب الأول والأهم لنزوله؛ قال الله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩]، ومع ذلك لا ذكر له في فكر الحركيين ولا في تنظيمهم التربوي إذ انشغلوا عنه بالتحفيظ والتجويد جرياً على عاداتهم الفاسدة: شغل الأمة بالمهم عن الأهم.

هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشداً، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا عبدالله ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.

الجهاد الوهمي

بقيت آثار المسلمين - لا الإسلام - المعمارية شاهداً على حكمهم (إسبانيا) مئات السنين، ولم يبق أثر لأهم ما حملهم الله إياه وميزهم به: دينه الحق؛ فلقد حرص ملوك إسبانيا على محو كل ما له صلة بالإسلام، ولم يروا بأساً ببقاء الآثار المادية العمرانية التي اشترك في إيجادها والإعجاب بها والرغبة في بقائها المسلم والكافر، إذ أدرك أعداء الإسلام أن لا صلة لهذه الآثار بالوحي ولا بالفقه فيه، وإن لم يدرك ذلك أكثر متأخري المسلمين فوصفوها بالإسلامية، بعد أن فقدوا القدرة على التمييز بين وحي الله وفكر البشر، وبين الدين والدنيا، وبين العبادة والعادة، وبين عمارة الزينة وعمارة الطاعة، وبين المسلمين والإسلام.

وكما أن الله تعالى لم يعلم رسوله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته - الشعر ولم يبتغ له؛ فلم يحتضن شرع الله للإسلام شيئاً من الفنون الأخرى وما ينبغي أن تُفتري عليه، وأبرز مظاهر ما وُصف بالعمارة الإسلامية افتراء على الإسلام - مثل الأقواس والقباب والنقوش وتيجان الأعمدة واستدارة المحاريب وهرميّة المآذن والرمز بالأهلة - مأخوذ من العمارة الكنسية - وبخاصة البيزنطية - أو الوثنية، ومبني بأيدي المهرة من بلاد الشام وإسبانيا النصرانية - بعد أن حكمها المسلمون سواء منهم من أسلم أو بقي على دين آبائه وأجداده - أو المهرة من الهند وفارس.

وبعد قرن من سقوط (غرناطة) كتب (ثرفانتس) هزلية (دون كيهوتي دي

لامنشا) عن قروي نبيل أفرط في قراءة الروايات الخيالية عن البطولة والشهامة حتى تغلب الخيال على الحقيقة في عقله فندب نفسه لتحقيق العدل الوهمي ومحاربة الظلم الوهمي، وخرج على دابته الهزيلة مهاجماً مطاحن الهواء [الجبابرة] وقطعان الماشية [جيوش الأعداء] ومنازل المسافرين على الطرق [حصونهم].

وفي كل معركة خاضها يرجع بالخيية والخسارة، وتبقى الأهداف الوهمية قائمة غير منقوصة، وكأنه كان يرسم الطريق لمجاهدين يأتون من بعده زأدهم الخيال، وإن فاقوه سفهاً بنسبة جرائمهم للإسلام.

ولعل (إسبانيا) وقد أخذت من المسلمين أسوأ إنتاجهم - مظاهر الإسراف والترف - قد كافأتهم بأسوأ مثل أنتجت للخيال والبعد عن الحقيقة والواقع: عدوى الدّون كيهوتيّة.

ففي نهاية القرن الماضي من التاريخ الهجري أعلن مرشد أول ما وصف بالثورة أو الجمهورية الإسلامية: أن الشيطان الأكبر هو أمريكا، وتلقى الحركيون - الموصوفون بالإسلاميين والمسيحيين والشيوعيين والقوميين - هذا الإعلان بالقبول المطلق، وسارعوا لبذل أنفسهم وأموالهم أو أنفس وأموال غيرهم - وافقوهم أو خالفوهم - في جهاد وهمي باسم الدين أو القومية، رغم اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم ومعتقداتهم، وإنما تجمعهم عاطفة هائجة تشغلهم بالشيطان في السياسة الفكرية عن الشيطان في الحقيقة الشرعية، وبالجهاد الدنيوي للأرض والهوية عن الجهاد الشرعي: «لتكون كلمة الله هي العليا» [البخاري ومسلم].

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ﴾ [الاعراف: ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ﴾ [يس: ٦٠].

فالشيطان الحقيقي الأهم والأول هو إبليس الذي أخرج أبونا من الجنة، وهو من الجن، وهو الذي قيضه الله قريناً لمن عمي عن وحيه والفقه فيه والعمل به، وهو الذي أمرنا الله بالحذر والاستعاذة منه ونهانا عن عبادته بطاعته. ولا يصح وصف الشيطان الحقيقي ولا الخيالي بأنه الأكبر؛ فقد وصف الله الأول بقوله: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩]، ونعلم أن الشيطان الخيالي قد عجز عن قهر عدوه الأقرب (كوبا) وعدوه الأبعد (فيتنام) وكلاهما يقل عنه عدداً وعدة وتقنية، وعجز عن حماية حلفائه في إيران والفلبين وأمريكا الجنوبية وغيرها.

وينافس إبليس على المركز الأول في محاولة إغواء البشر: الهوى أو العاطفة من النفس القريبة المحبوبة، قال تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يسف: ٥٣]، وقال تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]؛ وليس من الشرع ولا من العقل التلهي بالخطر الأبعد عن الأقرب، ولكن الانحراف عن الوحي الإلهي إلى الفكر الظني - الموصوف بالإسلامي زوراً - جعل عقل المسلم المعاصر - إلا من رحم الله - في أذنيه، كما قال شوقي في ترجمته لشكسبير عن الشعب الروماني في عهد يوليوس قيصر:

(انظر الشعب [دُيُونُ])

كَيْفَ يُوحُونَ إِلَيْهِ

يَا لَهُ مِنْ بَبْغَاءٍ

عَقْلُهُ فِي أَدْنَاهُ).

فلقد تحولت خطب الجمعة - في أكثر الأحوال والأوقات -، وأشرطة تسجيل المواعظ والمجلات والكتب الموصوفة بالإسلامية، أبواقاً للتهيج السياسي العنيف ضد الحكومات المسلمة وغير المسلمة، وإذا ذُكِرَ أقطاب الجهاد الخيالي في أفغانستان - وما بعدها - بواجب تصحيح الاعتقاد شرطاً للجهاد الشرعي والرجوع إلى السنة شرطاً للنصر؛ اتَّهَمُوا أَهْلَ الذِّكْرِ بالتخذيل والتشيط، وكانت النتيجة العملية: استحلال بعض شباب المسلمين قتل أنفسهم وقتل عشرات ومئات وآلاف الأنفس التي حرم الله قتلها بغير الحق، وصار التفجير والترويع والتخريب وخطف الطائرات والغدر عملة دارجة باسم الجهاد والاستشهاد، وقد بين الوحي من الله أن لا جهاد ولا استشهاد إلا لغرض واحد: «لتكون كلمة الله هي العليا»، أي: لا للأرض ولا للهوية القبلية أو الجغرافية ولا للغضب ولا للحقد، وتبين من هدي النبوة أنه لا يقال: فلان شهيد لمن لم يشهد له - بعينه - الوحي من الله [البخاري].

أما أمريكا فهي مثل لفافة التبغ، الأكثرية تدخنها وتلعنها، وليست إلا دولة علمانية تبحث عن مصلحتها - كما يبحث الجميع عن مصالحهم - . وللمصلحة المادية أعانت حكام العراق على إيران عندما هددت جيرانها، وللمصلحة المادية

أعانت الكويت على العراق عندما احتلتها أسوأ احتلال عرفه التاريخ، وللمصلحة المعنوية حاربت نصارى الصرب لإيقاف اعتدائهم الوحشي على جيرانهم المسلمين، وللمصلحة المعنوية أعانت الأحزاب الأفغانية بآلاف الملايين لطرد الروس المعتدين، ثم اتفقت مع روسيا لإرغام (طالبان) على تسليم المعتدين عليها، وللمصلحة المعنوية منعت منذ عشرات السنين تعليم الإنجيل داخل أمريكا في المدارس الحكومية، ومع ذلك يتأرجح الحركيون بين وصفها بالعلمانية ووصفها بالصليبية وفق مهبّ الريح الفكرية، رغم أن الحروب المسماة بالصليبية انتهت قبل تسعة قرون، وأن الكلمة (CRUSAID) عادت إلى معناها الأصلي: المقاومة الحازمة للشر أو المناصرة الحازمة للخير.

ولو صدق ظن الحركيين والفكرين وتحققت خيالاتهم وأحلامهم عن خطر خارجي - أكثر من الداخلي - على المسلمين، لما جاز لغير ولي الأمر المسلم إعلان الجهاد، ولما جاز الاعتداء على العدو وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا﴾ [المائدة: ٢]، ولما جاز معاملتهم بغير العدل وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وفرق - لا يدركه الحركيون والفكريون - بين الولاء والمعاملة؛ فقد كان النبي ﷺ يحسن معاملة اليهودي والنصراني والمشرک في البيع والشراء والزيارة والهدية والتعاون على الخير، ولا يوالي إلا الله وملائكته والمؤمنين من عباده.

ولكن لماذا يزيد الاهتمام بالجهاد الخيالي - أو الحقيقي لو وجد - على ما هو أهم منه، من الدعوة إلى أفراد الله بالعبادة والتحذير من الشرك بالله في عبادته،

الذي يتجاهله المتمون إلى الجهاد الإسلامي اليوم قبل غيرهم؛ فلا يُعرف لواحد من قادة الدعوة إلى الجهاد أي اهتمام به رغم أنهم عاشوا بين أوْثان المزارات والأضرحة والمشاهد والمقامات الخاصة بالمنتّمين للإسلام أو المشتركة بينهم وبين اليهود والنصارى وفرق الضلال المختلفة؟

الجواب: أن دعوة التوحيد والسنة - التي عاشها المسلمون الأوائل بضع عشرة سنة قبل أن يُحلَّ الله تعالى لهم الجهاد الحقيقي لغرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا - لا تجذب الأكثرية الغوغائية كما تجذبها دعوة الحقد والحسد والفساد. والله ولي التوفيق.



لزوم السنة والجماعة والسمع والطاعة

الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والنصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم؛ أصل عظيم من أصول الإيمان. قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦]، وقال النبي ﷺ: «الدين النصيحة» قلنا: لمن؟ قال: «لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم» [رواه مسلم].

وقد ألزمتنا الله الطاعة المطلقة لواحد من البشر لا ثاني له، عصمه من الزلل في تبليغ دينه: محمد ﷺ.

وألزمتنا اتباع منهاج واحد لا ثاني له، مصدره الوحي، لا الهوى ولا الظن ولا الفكر: سنته المطهرة من كل نقص أو خلل، بهما يجتمع المسلمون، وبغيرهما يتفرقون شيعاً وأحزاباً وجماعات. قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِظًا﴾ [النساء: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال الرسول ﷺ: «فعلیکم بستي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين تمسکوا بها، وعضوا علیها بالنواجذ، وإیاکم ومحدثات الأمور، فإن کل محدثة بدعة وکل بدعة ضلالة» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه والحاكم وغيرهم (صحيح الجامع الصغير)].

وشرع الله لنا وحدة الجماعة على الدين الحق، وحذرتنا من التفرق فيه. قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ﴾ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ

زُبْرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٢﴾ [المؤمنون: ٥٢، ٥٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من مات وهو مفارق للجماعة فإنه يموت ميتة جاهلية» [رواه مسلم].

وألزمتنا الله ورسوله السمع والطاعة لولاة الأمر منّا، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ٨٣]. وقال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه، فإنه ليس أحد يفارق الجماعة شبراً فيموت، إلا مات ميتة جاهلية» [متفق عليه]، وقال ﷺ: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي». قال حذيفة رضي الله عنه: قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: «تسمع وتطيع للأمر، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع» [رواه مسلم]. وقال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين، فاقتلوا الآخر منهما» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «إذا رأيتم من ولا تكلم شيئاً تكرهونه فاكرهوا عمله، ولا تنزعن يداً من طاعة» [رواه مسلم]، وقال ﷺ: «كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخرون - أو يميتون - الصلاة عن وقتها؟» قال أبو ذر رضي الله عنه: قلت: فما تأمرني؟ قال: «صل الصلاة لوقتها، فإن أدركتها معهم فصل، فإنها لك نافلة» [رواه مسلم].

واستثنى الرسول ﷺ الأمر بمعصية فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، ومع ذلك لم يأذن للمسلم بنزع يده من طاعة أميره لمعصيته أو ظلمه أو كراهيته مطلقاً، كما قال عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد رواة هذه الأحاديث: (أطعه في طاعة الله وأعصه في معصية الله) [رواه مسلم].

والتمييز عن جماعة المسلمين بحزب أو فرقة أو جماعة أو منهاج محدث أو طائفة أو أمير مطاع؛ خروج عن الجماعة وعن شرع الله وسنة رسوله من وجوه:

١- بين الله في محكم كتابه وسنة رسوله ﷺ أن صراطه وشرعه وسبيل المؤمنين إليه واحد: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ﴾، ونهى عن السبل المتعددة: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. ومثل هذا كثير في الكتاب والسنة عن تعدد الأحزاب والفرق، فلا خير في تعددها وإن وصفت - زوراً - بالإسلامية.

٢- المنهاج الشرعي المفرد للدعوة إلى الله في جميع رسالاته في كل حين: صرف أول الاهتمام وأعظمه إلى حمل الناس على أفراد الله بالعبادة، وترك الشرك بالله في العبادة؛ دعاءً أو ذبحاً أو نذراً أو استغاثة أو غيرها مما اختص الله به ذاته. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وجميع الأحزاب والفرق والجماعات الموصوفة بالإسلامية في هذا العصر تخالف هذا السبيل مخالفة تامة، بإهمالها هذا الأصل الأول والأعظم من أصول الدعوة إلى الله على بصيرة، مع اهتمامها بتفاصيل جزئية غير مهمة وغير مشروعة ديناً؛ كما أوصى الشيخ/ حسن البنا رحمه الله أعضاء حزبه بتقليل شرب الشاي والقهوة، وأوصى الحكومات بتوحيد الزي وتنظيم المصاييف في (مجموعة رسائله)، وكما حمل الشيخ/ تقي الدين النبهاني رحمه الله نفسه الفتوى لأعضاء حزبه بمصافحة الأجنبية والنظر إلى الصور العارية في (دستور الحزب) و(شخصيته الإسلامية).

٣- ومع كثرة النصوص من الوحيين - وقد مر بعضها - في الحث على لزوم

السنة فإن الأحزاب الحركية المعاصرة - وهي تحرص على وصف نفسها بالإسلامية - تخالف السنة في أهدافها : (منازعة الأمر أهله)، ووسائلها : (تفريق الأمة بزيادة عدد فرقها) وأحياناً بنصوصها كما نرى بالمقارنة بين وحي الله عن الموبقات : «سبع : الشرك بالله . . . إلخ» في الحديث المتفق عليه ، وفكر حسن البنا رحمه الله : (عشر : الاستعمار . . . إلخ) ، ولم يتفق الفكر الإسلامي المبتدع مع الوحي إلا في واحدة : الربا [المذكرات ٢٩٥] ، وكذلك فيما ابتدعه عفا الله عنه من : (الوصايا العشر) و(الأوراد) ونحوها .

٤- ومع كثرة النصوص من الوحيين - وقد مر بعضها - في الحث على السمع والطاعة لولاة الأمر من المسلمين فإن الأحزاب الحركية المعاصرة تركز أهدافها ومناهجها ونشاطها على مخالفة ولادة أمر المسلمين واغتصاب سلطانهم ، والتحريض بينهم وبين رعاياهم ، واستغلال حماس الشباب وعواطفهم في هذا السبيل تحت مظلة التحفيظ والتفسير ودراسة السيرة .

هدى الله الجميع لشرعه ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله .



الخلافة في الأرض

قال الله تعالى للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، أي: قوماً يخلف بعضهم بعضاً [ابن كثير]، لقوله تعالى: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ﴾ [النمل: ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [مرد: ٥٧]، وقوله تعالى لعاد: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾ [الاعراف: ٦٩]، وقوله تعالى لشمود: ﴿وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ﴾ [الاعراف: ٧٤]، وقوله تعالى لآمة محمد: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤].

وليس المراد بالخليفة - في الآية الأولى - آدم عليه السلام بدليل قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وآدم منزّه عن ذلك [القرطبي].

والاستخلاف في عمارة الأرض وفي المال وفي الحكم ابتلاء من الله لكل مُستخلف من عباده كما قال الله تعالى: ﴿لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ [يونس: ١٤]، وقال تعالى لداود: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص: ٢٦]، وقال تعالى عن سليمان: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَتْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]:

١- وقد غلب على مسلمي العصر الخلط في فهم معنى الخلافة، فحصروها في الولاية الشاملة لجميع بلدان المسلمين، وظنوها وحدها الصيغة الشرعية للحكم، مما أدى ببعض شباب الأمة - الذين رزقهم الله من الحماس ما لم يرزقهم من العلم والتثبت - إلى رفض غيرها من صيغ وعناوين الولاية. وأثناء تطلعهم واستعجالهم هذا النوع المثالي من الحكم أسقطوا شرط الرشد والهداية؛ فعَدَّوا

السلطنة العثمانية - غير الراشدة وغير المهديّة - آخر خلافة شرعية .
والخلافة والاتحاد - مثل التعاون - قد تكون على البر والتقوى أو على الإثم
والعدوان .

٢- وقد بين النبي ﷺ أن «الخلافة - النبوة الراشدة المهديّة - ثلاثون سنة ، ثم يؤتي
الله الملك من يشاء» [رواه أحمد وأبو داود والترمذي والحاكم بإسناد صحيح] ؛ وهي ولاية أبي بكر
وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم وأرضاهم ، وهم الذين ميزهم النبي ﷺ
بقوله : «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي» [رواه أحمد وأبو داود
والترمذي وابن ماجه وغيرهم] .

٣- ولكن ثبت في الصحيحين قول النبي ﷺ : «يكون بعدي اثنا عشر خليفة من
قريش» ، وفي رواية : «لا يزال الدين قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة من قريش» ،
وهؤلاء هم الخلفاء الراشدون الأربعة وضعف عددهم من ولاية العهد الأموي ،
ومن هؤلاء الثمانية : الصالحون ، ومنهم دون ذلك ، تجاوز الله عنا وعنهم ،
وليسوا مثل الأربعة السابقين ، ومع ذلك وصفهم النبي صلى الله وسلم وبارك
عليه وعليهم جميعاً بالخلفاء .

٤- وعلى هذا فليس لفظ الخليفة المطلق ولا غيره دليلاً على صحة الولاية ولا
فسادها ؛ وقد اصطفى الله طالوت ملكاً يقاتل في سبيل الله - لا في سبيل الأرض
والهوية العربية - وزاده بسطة في العلم والجسم ، وكان من جنده داود عليه
السلام ، وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء . ووصف الله ولاية سليمان عليه
السلام بالملك إذ ورث أباه داود في العلم والحكم والنبوة ، وخير الله تعالى رسوله
محمد ﷺ بين أن يكون ملكاً رسولاً وبين أن يكون عبداً رسولاً فاختر صفة
العبودية والرسالة ، فيما رواه الإمام أحمد وغيره .

٥- والإمامة - أو الخلافة أو الملك - تنال بالنص أو بالإيماء إليه كما في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، أو باستخلاف مَنْ قبله له كاستخلاف أبي بكر لعمر رضي الله عنهما ، أو بترك الأمر شورى بين عدد من الصالحين يختاره الخليفة السابق كما فعل عمر رضي الله عنه ، أو باجتماع أهل الحل والعقد - لا الغوغاء - على مبايعته أو مبايعة واحدٍ منهم له ؛ فيجب التزامها عند الجمهور ، وحكى إمام الحرمين الإجماع على ذلك ، أو بقهر واحدٍ الناس على طاعته فتجب درءاً للشقاق والاختلاف ، نص عليه الشافعي [ابن كثير] . وليس في كتاب الله ولا سنة رسوله ولا سنة خلفائه الراشدين ولا فقه أئمة الدين في القرون المفضلة بل ولا في القرون العشرة بعدها ما يشرع الولاية بعدد أصوات الناخبين فضلاً عن تفضيلها ، وإنما ذلك تقليد للقوانين الوضعية وتحكيم لرأي الأكثرية ، وقد قال الله تعالى عن أكثر الناس أنهم : ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ ، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ ، ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ .

٦- وأكثر الأخطاء في فهم معنى الخلافة انتشاراً : اتباع القول بأنها (خلافة عن الله في أرضه) تعالى الله عن الحاجة إلى استخلاف أحدٍ من عباده عنه ؛ فهو العليم الخبير ، وهو السميع البصير ، وهو مع كل خلقه بعلمه وحكمه وتدبيره ، ومع صالحى عباده بتوفيقه ونصره .

٧- ومما تقدم يتبين خطأ سيد قطب - تجاوز الله عنا وعنه - الذي تلقّفه أكثر الشباب اليوم في ظنه أن اختيار معاوية رضي الله عنه - فمن بعده - ابنه للحكم من بعده خروج عن (قاعدة الإسلام الأساسية في الحكم : اختيار المسلمين المطلق) ، كما أخطأ في ظنه (أن الحاكم في الإسلام يتلقى الحكم من مصدر واحد : هو إرادة المحكومين) ، وأن الطريقة الصحيحة لاختيار الحاكم : (أن نستشير الجميع بالطريقة التي تكفل الحصول على آراء الجميع) ، وأن (النبي لا يملك أن يؤمّر أحداً

دون مشورة المؤمنين) [معركة الإسلام والراسمالية، دار الشروق ١٤١٤، ص ٧٢-٧٣]؛ فوراثة الحكم جائزة بنص الآية: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ﴾ [النمل: ١٦]، ولم يؤمر النبي ﷺ خليفة له من بعده - بمشورة ولا بدونها - نصاً صريحاً، ولكن إنابته أبا بكر رضي الله عنه لإمامة المسلمين عنه في مرضه إشارة واضحة لأهليته وأولويته في تولي الأمر بعده. وعلى هذه السنة عهد أبو بكر بالأمر من بعده لعمر بن الخطاب رضي الله عن الخليفين. وقد شرع الله الشورى بين المسلمين، ولكن نتيجتها غير ملزمة لولي الأمر؛ إذ خالف أبو بكر أكثر الصحابة - أو كلهم - في محاربة ما نعي الزكاة؛ بل خالف من لم ير منهم تولية عمر رضي الله عنهما.

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آل محمد وصحبه وأتباعه إلى يوم الدين.



رأي آخر في خطبة الجمعة

سبق أن كتبت تحت عنوان (رأي آخر) في أكثر من أمر لاؤكد أن ما أقوله مجرد رأي - بين آراء مختلفة - لا أدعي صوابه ولا أطمح إلى فرضه لو استطعت إلى ذلك سبيلاً.

ولكن ما أكتبه اليوم يتعلق بالعبادة، وهي توقيفية مبنية على اليقين من نصوص الوحي وفقه علماء الأمة في هذه النصوص، وقد حذرنا الله تعالى من القول في شرعه بما يليه الظن والعاطفة، وألزمنا اتباع الهدى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]. وفيما يلي أعرض مقارنة موجزة بين واقع خطبة الجمعة اليوم وبين طريق الهدى في أمرها:

أ- أكثر خطباء المسلمين اليوم يعطلون المقصود الظاهر من مشروعية خطبة الجمعة، ويحولونها إلى ملحق لنشرات الأخبار مبني على الظن والفكر، وخطبة الجمعة عبادة وجزء من الصلاة لا تقوم الصلاة إلا بها - في رأي غالبية الفقهاء - وإذن فلا بد من الرجوع في أمرها إلى الوحي واليقين وتقييدها بسنة رسول الله ﷺ.

ويزيد انحراف كثير من خطباء اليوم فتتحول خطبهم إلى إثارة للفتنة بين الراعي والرعية بالتهيج والمبالغة والغيبة أو البهتان لا يستقيم معها حال دينية ولا دنيوية في مخالفة صريحة للسياسة الشرعية من النصوص الصريحة في التحذير

من الفتنة .

وأكثر المسلمين لا يحضرون من دروس الدين غير خطبة الجمعة فإذا تحولت من العلم الشرعي إلى الفكر ومن الإصلاح إلى الإفساد فقدوا الفرصة الوحيدة التي أنعم الله بها عليهم لبيان ما يجب أن يعلموه من دينهم ، وللإجتماع على الخير والتعاون على البر والتقوى .

ب- وكانت خطب رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه لا تخرج عن الثوابت الشرعية : الإيمان والموت والحساب والجنة والنار ، وتعليم الأحكام الشرعية في الاعتقاد والعبادة والمعاملة ، والدعاء ، والتحذير مما يضاد ذلك من الشرك والبدعة والغفلة عن ذكر الله .

ولم تتضمن خطبة واحدة من خطب النبي ﷺ - يوم الجمعة - ولا خطب خلفائه وصحابته ولا خطب الأئمة في القرون الثلاثة ، شيئاً عن الحوادث والطوارئ على عظم ما مرت بهم منها ، ولا عن الغزوات ولا الهجرة ولا الإسراء والمعراج ولا المولد ، ولا احتفل بمناسبتها يوم ذكراها بالكلام عنها في الخطبة . كل ذلك من ابتداع خطباء القرن الأخير ومفكره ، لم يكن ذلك من هدي القدوة من هذه الأمة حتى احتل الفكر الإسلامي مكان العلم الشرعي واحتل المفكرون الإسلاميون مكان أئمة العلم الشرعي .

ج- وإذا أكدت أن العبادة لا تثبت ولا تصح إلا وفق النصوص المعصومة ؛

فهذا ما يحضرني منها :

١- قال الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا

إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴿الجمعة: ٩﴾، والذكر في اللغة والشرع: الصلاة والطاعة وقراءة القرآن وتسبيح الله وتمجيده والثناء عليه [يمكن الرجوع إلى تاج العروس وإلى التفسير الأولي].

٢- وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً وخطبته قصداً، يقرأ القرآن ويذكر الناس). [رواه مسلم].

٣- وعن أبي وائل رضي الله عنه، عن عمار رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه، فأطيلوا الصلاة واقصروا الخطبة» [رواه مسلم].

٤- وعن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها قالت: (لقد كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، ما أخذت ﴿قَالَ الْقُرْآنُ الْمَجِيدُ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس) [رواه مسلم].

٥- ومن حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في صحيح مسلم أن رسول الله ﷺ كان إذا خطب يقول: «بعثت أنا والساعة كهاتين» ويقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى، ويقول: «أما بعد: فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد، وشر الأمور محدثاتها؛ وكل بدعة ضلالة»، ثم يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، من ترك مالا فليأهله، ومن ترك ديناً أو ضياعاً فإليّ وعليّ».

٦- وثبت من عدة طرق عن عدد من كبار الصحابة وفقهائهم رضي الله عنهم نص خطبة الحاجة التي كان النبي ﷺ يخطب بها ويعلمها أصحابه: «إن الحمد لله

نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله» ثم يتلو آيات الأمر بالتقوى من سورة آل عمران والنساء والأحزاب.

د- ومما يحضرني من أقوال فقهاء الأمة في بيان النصوص ما يلي :

١- قال الشافعي رحمه الله [الام ١/٢٠٣] : (وأحب أن يخطب الإمام [بحمد الله، والصلاة على رسول الله ﷺ، والعظة والقراءة، ولا يزيد على ذلك].

٢- وقال النووي الشافعي رحمه الله [المجموع ٤/٣٤٩] : (ومقصود الخطبة الوعظ).

٣- وقال الكاساني الحنفي رحمه الله [بدائع الصنائع ١/٢٦٣] : (روي عن الحسن بن زياد عن أبي حنيفة رحمه الله أنه قال : ينبغي أن يخطب [الإمام] خطبة خفيفة يفتتح فيها بحمد الله تعالى ويثني عليه ويتشهد ويصلي على النبي ﷺ ويعظ ويذكر ويقرأ سورة، ثم يجلس جلسة خفيفة، ثم يقوم فيخطب خطبة أخرى يحمده الله تعالى ويثني عليه ويصلي على النبي ﷺ ويدعو للمؤمنين والمؤمنات).

٤- وقال القرطبي المالكي رحمه الله [الجامع لأحكام القرآن ١٨/١٠٧] : (ما كان من ذكر رسول الله ﷺ والثناء عليه وعلى خلفائه الراشدين وأتقياء المؤمنين والموعظة والتذكير فهو في حكم ذكر الله).

٥- وقال ابن قدامة الحنبلي رحمه الله [المغني ٢/٣٠٤] نقلاً عن الخرقي رحمه

الله : (فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ وقرأ ووعظ). وقال [٣٠٥/٢]:
(وقال القاضي : تجب [الموعظة] في الخطبتين لأنها المقصود من الخطبة فلم يجز
الإخلال بها).

٦- وقال ابن القيم رحمه الله [زاد المعاد، محقق ١/٤٢٣] عن خطب رسول الله ﷺ
يوم الجمعة : (إنما هي تقرير لأصول الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله ولقائه
وذكر الجنة والنار وما أعد الله لأوليائه وأهل طاعته وما أعد الله لأعدائه وأهل
معصيته).

وقال رحمه الله [١/٤٢٤]: (ومن تأمل خطب النبي ﷺ وخطب أصحابه
وجدها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد، وذكر صفات الرب جل جلاله، وأصول
الإيمان الكلية، والدعوة إلى الله، وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي
تخوفهم من بأسه، والأمر بذكره وشكره).

٧- وقال الصنعاني رحمه الله [سبل السلام ٢/٤٩]: (وكان [النبي ﷺ] يعلم
أصحابه في خطبته قواعد الإسلام وشرائعه ويأمرهم وينهاهم . . . ويذكر معالم
الشرائع في الخطبة، والجنة والنار والمعاد، ويأمر بتقوى الله، ويحذر من غضبه
ويرغب في موجبات رضاه).

وقال رحمه الله : [٢/٥٠]: (وكانت محافظته ﷺ على الخطبة بسورة ق
اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في
الخطبة).

٨- وقال سيد سابق [فقه السنة ١/٣٠٩]: (وفي الروضة الندية : ثم اعلم أن الخطبة

المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم ، فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت).

وليس في نصوص الوحي ولا فقه أئمة القرون المفضلة لها ما يجيز الاعتداء على منهج النبوة - في هذه العبادة العظيمة - والانحراف عنه ، قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الاحزاب : ٢١] .

وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته .



زيادات على الشرع

من أعظم أسباب الانحراف عن منهاج الشريعة تحكيم العاطفة، والميل إلى التقليد، وهجر النصوص وفقه الأئمة في الدين، إذا سيطر العجز والكسل على المتدين، ومن وراء ذلك تسويل النفس وتزيين الشيطان. وإلى القارئ الكريم بعض ما زاده المسلمون على شريعة الله:

١- التصوف (فلسفته ودروشته): وقد نقله أوائل المبتدعة من التصوف الهندي كما يرى البيروني - ت ٤٤٠ - وهو أحرى الباحثين بالوصول إلى حقيقة الأمر بعد دراسته المستفيضة للفلسفة الهندية واليونانية، وتتبعه للتاريخ، وذهنه الرياضي، إضافة إلى تأثر مبتدعة المسلمين برهينة النصاري. وأقل مظاهر التصوف المادية: المبالغة في محاربة النفس وحرمانها. وأسوأ شطحات التصوف الفكرية: ادعاء الفناء في الله، والاتحاد به، والوحدة معه.

٢- ما سمي زوراً بالعمارة الإسلامية في بناء المساجد: ومنه القباب والأقواس، والزخرفة بالزجاج الملون، والثريات الكهربائية للزينة، وكل ذلك مأخوذ من التقاليد المعمارية الكنسية وبخاصة البيزنطية (قبل الإسلام بثلاثمائة وخمسين سنة).

٣- مسبحة الخرز لإحصاء الذكر: وتتفق الموسوعات التي رجعت إليها في منشأ هذا التقليد إلى أن أول من ابتدعها البراهمة الوثنيون وعدد خرزاتها (١٠٢)، وأخذها البوذيون بعد انفصالهم عن الهندوسية منذ (٢٥٠٠) سنة، ثم أخذها النصاري في القرن الثالث الميلادي وعدد خرزاتها (٥٥) تنتهي كل (١٠) منها بخرزة كبيرة. ويرمز طول المسبحة عند الهنادكة اليوم - كما هو الحال عند

متصوفة المسلمين - إلى تقدم المرتبة في السلم الديني .

٤- الذكر القلبي : ابتدعه الهندوس واحتفظت به البوذية بعد انفصالها عنهم ، ثم التقطه مبتدعة المسلمين الأعاجم ثم العرب . أما في شرع الله فلا يكون الذكر - التلاوة والتسبيح والاستغفار والدعاء والصلاة على النبي ﷺ - ديناً حتى يتحرك به اللسان والشفتان : « لا يزال لسانك رطباً من ذكر الله » ، « أنا مع عبدي ما ذكرني وتحركت بي شفاته » وميزانه قول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَجْهَرُ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافُ بِهَا ﴾ [الإسراء : ١١٠] وكان الصحابة يسمعون تلاوة النبي ﷺ وذكره في كل صلاة .

٥- التمايل عند الذكر (وبخاصة تلاوة القرآن) أخذه مبتدعة المسلمين من اليهود الذين أخذوه من الوثنية البرهمية ، ولا يزال الجميع متلبسين به .

٦- اللباس الديني المميز : اقتبسها مبتدعة المسلمين في العهد التركي من النصارى ، وهؤلاء من البوذيين ، وإن تميز النصارى بالجبة السوداء للرجال والنساء ، والبوذيون بالرداء الأصفر ، والمسلمون بالطربوش والعمامة والجبة الملونة للرجال .

٧- الرمز بالهلال للإسلام : ابتدعه جهلة المسلمين في العهود الفاطمية والمملوكية والتركية تقليداً لرمز النصارى بالصليب واليهود بالنجمة والشمعدان . وأول ظهوره في الفن المعماري الساساني الفارسي - طبقاً لما ذكره د . محمد القيسي في (المساجد) ص ٢٦ عزوا لكتاب (العمارة في الإسلام) د . كمال سامح ص ٢٦ - ويستعمله النصارى اليوم في بعض رموزهم الدينية أيضاً .

٨- التعبد بترك التجارة يوم الجمعة : أخذه مبتدعة المسلمين في القرن الأخير من ابتداء النصارى ترك العمل يوم الأحد ، وهؤلاء أخذوه من تحريم اليهود العمل يوم السبت ، ولم يشرع الله ترك العمل إلا وقت الصلاة وخطبة الجمعة ،

واصطفى الله دولة التوحيد والسنة للتميز بتنفيذه في جميع أوقات الصلاة.

٩- صخرة بيت المقدس : يخلط أكثر المسلمين اليوم بينها وبين مصلى المسجد الأقصى ؛ لأنها التي تظهر في الصور، ويُصرف لها التعظيم والقداسة، وتنسج حولها الأساطير تقليداً لليهود، وتبنى عليها القبة العظيمة.

يقول ابن تيمية رحمه الله (ت٧٢٨) [في الفتاوى ج٢٧، ص١٢ و١٣ و١٣٥]: (لم يصلّ عندها عمر رضي الله عنه ولم يأتها عبدالله بن عمر رضي الله عنه عندما زارا المسجد الأقصى، ولا عظمها أحد من الصحابة أو التابعين أو أئمة الدين، وإنما بنى عليها القبة عبد الملك بن مروان رحمه الله لصرف الناس عن الاجتماع بعبد الله بن الزبير رضي الله عنه في الحج، وهي قبلة منسوخة مثلها مثل يوم السبت كان عيداً لليهود فنسخ، ولا يجوز أن يخصه [أو يخصها] المسلمون بعبادة).

١٠- عزل النساء في المساجد بحائط أو ساتر لا يرين الإمام ولا من وراءه، وهذا من تنطع المتأخرين في هذا القرن.

١٢- ومثله عزل القرآن في دار القرآن.

١١- ومثله نقل الإقامة والصلاة والخطبة بمكبرات الصوت دون ضرورة.

والخير في الاتباع والشر في الابتداع ولو هوته النفوس وصلحت النيات.

وصلّى الله وسلم على محمد وآل محمد.



شرر التكفير والهجرة والثورة من كتب سيد قطب

أ- نقلت جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٤٠٧ بتاريخ ٤/١٢/٢٠٠١م الموافق ١٩/٩/١٤٢٢هـ في الحلقة الثالثة مما وُصف بالوصية الأخيرة من مذكرات د. أيمن الظواهري القائد الثاني، - أو الأول - لتنظيم القاعدة: (أنّ سيد قطب هو الذي وضع دستور [التكفيريين الجهاديين] في كتابه الديناميت معالم في الطريق، وأنّ فكر سيّد هو [وحده] مصدر الإحياء الأصولي، وأن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام يعد أهمّ إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وأن فكر سيّد كان شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفها بالإسلامية] ضد [من سماهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي مازالت فصولها الدامية تتجدد يوماً بعد يوم).

وأشهد لقد صدق أيمن الظواهري في هذا الإدعاء فلم يتجاوز الحقيقة والواقع، وفيما يلي برهان ذلك من فكر سيد قطب ونقده من الفقه في الدين بعامة، وبخاصّة من فقه واحد من العلماء المحققين المعجبين بجانب من جوانب هذا الفكر الموصوف بالأصولي:

(١) يقول سيد قطب في كتابه (معالم في الطريق) ص ١٠١ - الطبعة ١٠، دار الشروق التي خصّها ورثة سيد تجاوز الله عنه وعنهم بما يصفونه الطبعة الشرعية: (ويدخل في إطار المجتمع الجاهلي [الكافر] تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة... لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير الله، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها).

ولا أعرف مسلماً - قبل سيد قطب تجاوز الله عنا وعنه - كَفَّر من يعتقد بالوهمية الله وحده ويقدم الشعائر التعبدية لله وحده ، لأنه لا يدين الله وحده بتنظيم حياته .
وتنظيم الحياة - خارج حدود الاعتقاد القلبي وأعمال الجوارح التعبدية - يغلب عليه الإباحة ولا يتجاوز - فيما ثبت الأمر به أو النهي عنه - حدود السنن والنوافل أو المكروهات والصغائر .

ولا يُعرفُ التَّكفير بالمعاصي إلا عن الخوارج ومن نهج نهجهم ، ويرأ منه فقهاء الأمة المعتدّ بهم في الماضي والحاضر وإلى أن تقوم الساعة .

(٢) وتبعاً لهذا الفكر الموصوف زوراً بالإسلامي المنحرف عن الوحي والفقه فيه من أهله مجّد سيد قطب عفا الله عنا وعنه الثورة على عثمان الخليفة الراشد المهديّ رضي الله عنه وأرضاه ، ووصفها في كتابه : (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ص ١٦١ ط . دار الشروق ، عام ١٤١٥ هـ ، بأنها (فورة من روح الإسلام) ، ووصف الثوار عليه بأنهم (الذين أُشْرِيتْ نفوسهم روح الدين إنكاراً وتآثماً) ، وأسقط خلافة عثمان رضي الله عنه ص ١٧٢ فوصف عهده بأنه (كان فجوة بين خلافة الشيخين وبين خلافة عليّ) رضي الله عنهم أجمعين خلافاً لجميع فقهاء أهل السنة والجماعة ، وفي ص ١٧٥ ، ضرب مثلاً للتضخم الفاحش في الثروات الذي ظنه (يحطم الأسس التي جاء هذا الدين ليقيمها بين الناس) ، ومثلاً للذين (جرفتهم مطامع الدنيا) ، برواية ساقطة عن أخباري منحرف بما تركه خمسة من المبشرين بالجنة من المال والخيل والإماء والدّور .

وخصّ معاوية وابن العاص رضي الله عنهما في كتابه (كتب وشخصيات ، ص ٢٤٢ ، ط . دار الشروق) ، بأوصاف (الكذب والفسق والخديعة والنفاق والرشوة وشراء الذم) ، وهما من كبار الصحابة رواة الأحاديث النبوية .

قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه: تصنيف الناس بين الظن واليقين، ص ٢٦، ط. دار العاصمة: (قال أبو زرعة الرازي رحمه الله في فتح المغيث ٩٤/٤: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ، فاعلم أنه زنديق، وذلك أن القرآن حق والرسول حق، وما جاء به حق؛ وإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة... فالقدح بالحامل يفضي إلى القدح بما يحمله من رسالة البلاغ لدين الله وشرعه. ولهذا أطبق العلماء رحمهم الله على أن من أسباب الإلحاد القدح بالعلماء).

(٣) وقال سيد قطب عفا الله عنا وعنه في كتابه: (في ظلال القرآن) ص ١٠٥٧، ط. دار الشروق: (ارتدت البشرية إلى عبادة العباد وجور الأديان وإن ظلّ فريق منها يردد على المآذن لا إله إلا الله).

وفي ص ٢٠٣٣ جعل من الشرك الواضح الظاهر - في مقابل الشرك الخفي - (الدينونة [لغير الله]، في تقليد من التقاليد كاتخاذ أعياد ومواسم يشرعها الناس ولم يشرعها الله والدينونة في زيّ من الأزياء يخالف ما أمر الله به من الستر ويكشف أو يحدد العورات التي نصّت شريعة الله أن تستر). والتقليد مرض منتشر في هذه الأمة وقع فيه سيد كما وقع فيه غيره، وما كان منه معصية فلا يتجاوز الصّغيرة (فيما عدى الاعتقاد والعبادة والمنصوص عليه من الكبائر والموبقات) ولا يكفر المسلم به.

وقال سيد في كتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ص ١٨٥، ط. دار الشروق: (ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته من ثمّ قد توقف كذلك)، فحكم بكفر جميع المسلمين في كل مكان ومنذ فترة طويلة بمن فيهم

(أولئك الذين يرددون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات لا إله إلا الله بلا مدلول ولا واقع)، في الظلال، ص ١٠٥٧.

وفي ص ٢١٦ من كتابه: (العدالة الاجتماعية في الإسلام) ط. دار الشروق بشر الذين يكفرون كل المسلمين وينفون وجود الإسلام بأنهم سائرون على صراط الله وهداه، وحكم على الذين (يظنون لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأن الذين يدعون أنهم مسلمون ويتسمون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون؛ بالسير وراء سراب كاذب تلوح فيه عمائم تحرف الكلم عن مواضعه وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار).

قال الشيخ د. بكر أبو زيد عضو هيئة كبار العلماء في كتابه: (درء الفتنة عن أهل السنة) ص ٦١، ط ٢، دار العاصمة: (لا يلزم من قيام شعبة من شعب الكفر بالعبد أن يصير كافراً الكفر المطلق الناقل من الملة حتى يقوم به أصل الكفر بناقض من نواقض الإسلام؛ فالواجب وضع النصوص في مواضعها وتفسيرها حسب المراد منها من العلماء العاملين الراسخين... وعلى الناصح لنفسه أن يحسن بخطورة الأمر ودقته وأن يقف عند حدّه).

وبعد أن أورد هذا العالم المحقق عدداً من نصوص الكتاب والسنة في (التحذير الشديد والنهي الأكيد عن سوء الظن بالمسلم فضلاً عن النيل منه فكيف بتكفيره)، قال شفاه الله وزاده توفيقاً: (فهذه النصوص وغيرها فيها الوعيد الشديد لمن كفر أحداً من المسلمين وليس هو كذلك، وهذا - والله أعلم - لما في إطلاق الكفر بغير حق على المؤمن من الطعن في نفس الإيمان... وهذه الحالة الكريمة والحصانة العظيمة للمسلمين في أعراضهم وأديانهم من أصول الاعتقاد في دين الإسلام) ص ٦٥.

(٤) ونتيجة لتلك المقدمة المسرفة في تكفير المسلمين، وبعد أن وصف مساجدهم فيما سبق بمساجد الضّرار؛ وصف مساجد المسلمين بمعابد الجاهلية في كتابه (في ظلال القرآن)، ص ١٨١٦، ط. دار الشروق، فقال في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس: ٨٧]: (وهنا يرشدنا الله إلى اعتزال معابد الجاهلية واتخاذ بيوت العصبة المسلمة مساجد تحسّ فيها بالانعزال عن المجتمع الجاهلي).

وإضافة إلى أمره عصابته المسلمة لفكره باعتزال مساجد المسلمين والصلاة معهم اعتزالاً ظاهراً حَكَمَ في الظلال، ص ٢١٢٢: (أنه لا نجاة للعصبة المسلمة في كل أرض من أن يقع عليها العذاب إلا بأن تنفصل عقيدياً وشعورياً ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها حتى يأذن الله لها بقيام دار إسلام تعتصم بها، وإلا أن تشعر شعوراً كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة وأن ما حولها ومن حولها ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه جاهلية وأهل جاهلية).

وصدّق سيد قطب على أتباعه - تجاوز الله عن الجميع - فِكْرَهُ فأسلموا له قيادهم، وانفصلوا عقيدياً وشعورياً عن جماعة المسلمين في بلادهم، ثم اعتزلوهم ظاهراً وتفرقوا في بلاد النصراني تحت ظلال الحكم العلماني، وفي بلاد المسلمين المنحرفين عن الاعتقاد والاتباع الصحيح وبخاصة أفغانستان طالبان حيث يُتَقَرَّب إلى الله بالشرك والبدعة عند مقامات ومزارات الممتنين إلى السنة في قندهار وغيرها وبما دون ذلك من أداء الواجبات - وبخاصة الحجاب - وترك المكروهات، ويُتَقَرَّب إلى الله بمحاربة أوثان البوذيين النَّائِيَّة، والشيعة في مزار شريف.

رد الله الجميع إلى الوحي والفقه فيه وأعادهم من شطحات الفكر والهوى.



أسطورة (وامعتصماه)

التاريخ لا يصلح مرجعاً في أمور الشريعة ، لأن التاريخ مبني على ظن كاتبه وعاطفته ، والشريعة مبنية على يقين الوحي في الكتاب والسنة وفقه الأئمة الأولين في نصوصه ، ولكن النفس البشرية - إلا ما رحم ربي - تميل إلى الباطل ويثقل عليها الحق ؛ وقد استجاب أكثر خطباء ووعاظ القصص والفكر والحركة - في العقود الثلاثة الأخيرة - لدواعي الهوى والعاطفة من النفس ، ودوافع النفث والتسويل من الشيطان ؛ فحولوا أكثر دروس العلم الشرعي وحلّق الذكر وخطب الجمعة إلى أساطير من كتب التاريخ يحسبها الظمآن ماء حتى إذا جاءها وجدها ألواناً من السراب تبعده عن الماء وتصده عن الصراط المستقيم إليه .

ومن هذه الأساطير أسطورة ألهمت حماس الشباب وحناجرهم وعواطفهم وأضاعت شرع الله لخطبة الجمعة التي فرضها الله مرة في الأسبوع لتعليم المسلمين أحكام الإسلام وتذكيرهم بأيام الله وآلائه وإعدادهم للقاءه وحسابه وجزائه .

مجمل الأسطورة : أن علجاً من الروم أهان امرأة مسلمة فصرخت : وامعتصماه ؛ فحركت صرختها غيرة المعتصم وغضبه فأوطأ جيش المسلمين أرض الروم أخذاً بثأر المرأة التي استنجدت به . وهدف الأسطورة تقديم مثل صالح قدوة لقادة المسلمين لتعود للإسلام عزته .

قد يكون جزء من الروايات - التي يتفنن وعاظ وخطباء الفكر والقصص في نحتها والتغني بها - صحيحاً ، ولكن ذلك لا يجعل المعتصم - تجاوز الله عنا وعنه - قدوة صالحة للراعي المسلم ولا للرعية المسلمة للأسباب التالية :

١- لم يُذكر المعتصم - تجاوز الله عنا وعنه - بالعلم الشرعي ، بل قالت عنه كتب

الأعلام أنه كره العلم في صغره ومات شبه أُمي . [انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، والأعلام للزركلي] .

٢- غزو المعتصم في بلاد الروم وفتح عمورية - كما يذكر التاريخ - ليس من القتال في سبيل الله إذا صدق كتاب التاريخ في الرواية؛ فجيش المسلمين وأنفسهم وأموالهم لا تعرض للأخطار والأهوال غضباً ولا من أجل الحمية ولا لإظهار الشجاعة، وإنما يكون القتال لغرض واحد: أن تكون كلمة الله هي العليا، قال الله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩] . وقيل لرسول الله ﷺ: الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية، وفي رواية: ويقاتل غضباً، فمن في سبيل الله؟ فقال النبي ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [متفق عليه] .

٣- لو كان مجرد الغزو والفتح مثلاً يقتدى به لكان يزيد تجاوز الله عنا وعنه أولى من المعتصم بأن ينصّ قدوة صالحة؛ فهو من كبار الطبقة الأولى من التابعين، وثاني ولاية المسلمين بعد عصر الخلفاء الراشدين، عهد إليه بالولاية والده معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما - أحد كبار الصحابة ورواة الحديث، واستكتبه رسول الله ﷺ، واستعمله في القيادة والولاية أبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم أجمعين - وفتح الله في عهد يزيد على المسلمين المغرب الأقصى وبخارى وخوارزم، وهو أول من غزا القسطنطينية، وكان أمير جيش المسلمين في هذا الغزو، وكان من بينهم بعض الصحابة مثل أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه وعنهم أجمعين، وقد ورد الحديث عن ثناء النبي ﷺ على أول جيش يغزوها وعلى أميره . ولكن العلماء المحققين يقفون من أمثال يزيد والمعتصم موقفاً وسطاً، فهم لا يحبونهم ولا يسبونهم، تجاوز الله عمن مات لا يشرك بالله

شيئاً.

٤- المعتصم - تجاوز الله عنا وعنه - أحدث من الفتنة في الدين شراً مما نسب إلى يزيد من القتل في المدينة النبوية ، قال الله تعالى : ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١] ، وما افتراه عليه بعض فرق الضلال من الأمر بقتل الحسين رضي الله عنه ؛ فقد امتحن المعتصم علماء الإسلام ، وبخاصة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله بفتنة خلّق القرآن التي بدأت في عهد أخيه المأمون واستمرت في عهد ابنه الواثق ، حتى جاء ابنه المتوكل فأزالها وانتصر للسنة ولإمام السنة وأخرجه من سجن الثلاثة - تجاوز الله عنا وعنهم - ورفعاه إلى المقام الذي يليق به في صدر مجلس المُلْك والحكمة ؛ جزاهما الله عن الإسلام والمسلمين خير جزائه .

٥- إذا سلّمنا بما أورده المؤرخون عن هذا كله ، فكيف يُقَرُّ من وهبه الله نعمة الإسلام والعقل : أن انتصار ولي أمر المسلمين لرواية ظنية عن امرأة مجهولة الحال أرجح في ميزان العدل والإيمان من انتصاره للسنة ومنهاج السنة وأئمة السنة ؟ وهو إنما انتصر لاسمه لا لاسم الله ، والمرأة استغاثت به لا بالله .

لقد أوصل الفكر والحركة - بقلة نصيبهما من العلم والتثبت - أكثر شباب الصحوة في العقود الأخيرة إلى مثل ما أوصل الجهل والتقليد من قبلهم إليه من الضلال عن منهاج النبوة في الدين والدعوة ؛ فتغلب الهدف الأدنى على الأعلى ، والمهم - بل غير المهم - على الأهم ، في علمهم وعملهم وفي خطبهم ودعوتهم وكفاحهم . وإن نظرة صادقة واستقراء محققاً للقضايا التي تحرك لها دعاة الفكر والحركة وأتباعهم ، وبذلوا فيها أموال المسلمين وجهودهم وحماسهم - بل ودماءهم - في العقدين الأخيرين ؛ لتبين أن المحرك الأول والأخير : كسب الأرض باسم الدين لا الدين نفسه الذي لا يكاد أكثر المسلمين يعرف وجه الحق

فيه، ولم تكن تلك الأرض بأوثانها أو بدعها أو إلحادها تحرك ساكناً من القلوب والأبدان والألسن والهمم والأقلام من قبل أن يثور الخلاف على التراب والولاية عليه.

ردّ الله المسلمين جميعاً إلى دينهم رداً جميلاً، وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد.



التقرب إلى الله بمعصيته

قبل بضع سنوات عُرض عليّ كتاب باللغة الإنكليزية، عنوانه: (الإنذار الأخير من الله)، كتبه أخ من ألمانيا، تحوّل من النصرانية إلى الإسلام، ومن اسم (مارتن هاككر) إلى (محمد البكري)، بقصد الإعانة على طبعه، وكان هدفه - فيما ظهر لي - خدمة دين الإسلام بمحاولة إثبات بطلان الأديان قبله وبخاصة اليهودية.

واعتذرت عن الإعانة على نشره، بل ونصحت من عرضه عليّ بعدم نشره من أيّ طريق آخر للأسباب التالية:

(١) الظن والعاطفة لا يغنيان من اليقين والعلم شيئاً، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ [النجم: ٢٨]، وبالظن والعاطفة ضلّ من قبلنا، وليس لنا أن نكون مثلهم.

(٢) في كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من يقين الوحي المنزل وفي الفقه فيهما ما يغنينا عن الفكر في هذا الأمر وفي غيره من أمور الدين.

(٣) أمرنا الله في محكم كتابه بالإحسان في مجادلة أهل الكتاب خاصة وغيرهم عامّة فقال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [النكوت: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

(٤) نهانا الله أن نسب آلهة المشركين إذا كان هذا يدفعهم لسبّ الله ، قال تعالى : ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام: ١٠٨] .

(٥) اتهام جزء معيّن من التوراة أو الإنجيل بالكذب أو الركاكة أو التناقض لم يبينه الكتاب أو السنة : حكم بالظن والعاطفة ، ومجادلة بالسوء ، ومعصية لله تعالى ومخالفة لشرعه ؛ لا يفضي إلا إلى تأليب أهل الكتاب للرد بالمثل ومقابلة الاتهام بالاتهام والسب بالسب ، كما حدث فعلاً في السنوات الأخيرة ، نتيجة لمناظرات (ديدات) العاطفية .

(٦) قد يكون النص أو ترجمته لم يحرفاً وإنما وقع الخطأ في التأويل ، كما وقع من بعض المنتسبين إلى الإسلام (أفراداً و فرقاً) من تحريف كلام الله وكلام رسوله عن مواضعه بسبب الجهل أو اعوجاج الفكر أو الغلو .

(٧) ومثالاً على منهاج البحث في هذا الكتاب ، وسبباً عملياً لموقفي منه أشير هنا إلى ما ورد في الصفحتين ٨-٢٢٨ و ٨-٢٢٩ ، من محاولة الكاتب تفنيد اليهودية والنصرانية بمثل :

١- دعوى (أن اليهود ليسوا من سلالة يعقوب) ! ثم ماذا؟

٢- بطلان (دعوى اليهود مجيء المخلص (موشياخ) ، والنصارى (مسيح) ، وثبات مجيء المهدي (بل المسيح أيضاً) عند المسلمين) ! والدعوى صحيحة مطلقاً .

٣- وثالثة الأثافي : محاولة إبطال (زعم اليهود وجود قبر إبراهيم عليه السلام في مدينة (الخليل) بدليل أن التوراة تنص على أن إبراهيم اشترى مدفنه في

(ماكفلاه) وتبعد ثلاثة كيلو مترات تقريباً عن مدينة (الخليل)، وأن مبنى مسجد الخليل (الذي يضم قبور أربعة من أنبياء بني إسرائيل وزوجاتهم) شُيِّد بعد موت إبراهيم عليه السلام بألفي عام).

ومع أنني أؤيد الكاتب في احتمال وجود الخطأ في تحديد مدفن إبراهيم عليه السلام وسائر الأنبياء والمرسلين (عدا نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، ومدافن الحواريين والصحابية والأولياء (عدا أبي بكر وعمر رضي الله عنهما)؛ فإنني لا أجزئ له ولا لنفسه مقابلة الظن بالظن؛ وحجة التوراة من الظن.

ولكن أكبر وزر وجود الأنصاب في مسجد الخليل يحمله المنتسبون إلى الإسلام الذين بنوا سبعة أضرحة بعد أن تسلّم الأيوبيون مبنى الكنيسة التي شيدها الصليبيون على ما يدّعي اليهود أنها قبور أنبيائهم، وفي الصفحة الأخيرة بيان بموقعها من المسجد، وكانت آخر وصايا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم التحذير من ذلك ولعن فاعله: «لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، قالت عائشة رضي الله عنها: يحذر مثل الذي صنعوا. [رواه البخاري ومسلم].

وكثير من المنتسبين للإسلام اليوم يتبعون سنن اليهود والنصارى في هذا المنكر الشنيع الذي اتفقت كل الرسائل (بأمر الله) على محاربته، وصدق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع حتى لو سلكوا جحر ضبّ لسلكتموه» قلنا: يا رسول الله! اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟». أي: من غيرهم؟ ولم يتوقفوا عند مجرد اتباع السنن السيئة لمن سبق بل

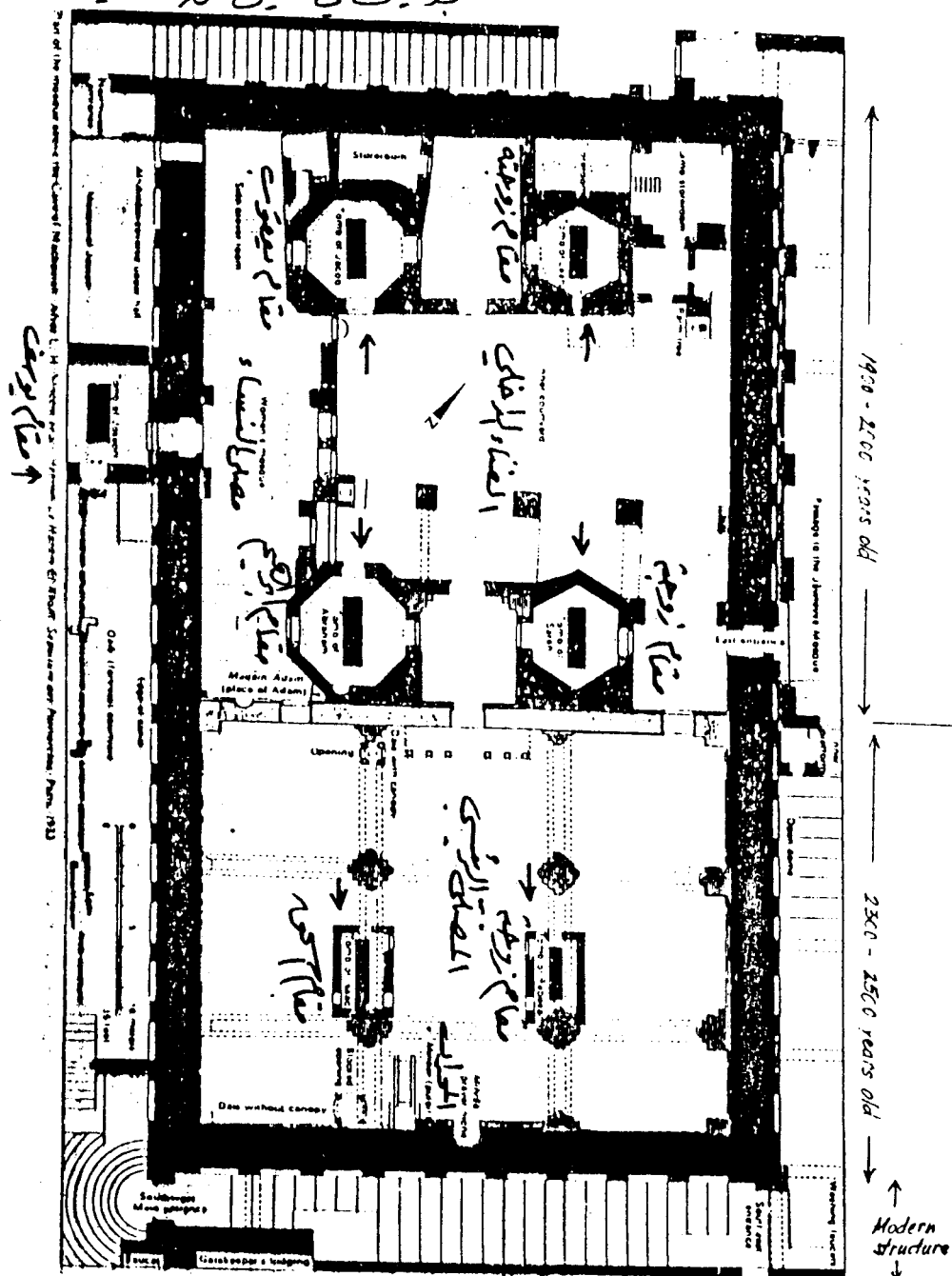
نافسوهم عليها وحاربوهم للاستئثار بها .

وهكذا اجتمع كثير من المنتسبين لليهودية والنصرانية والإسلام على التقرب
لله بمعصيته في الدين وفي الدعوة إليه .

اللهم رد الجميع إلى دينك الحق رداً جميلاً ، وصلى الله وسلم على نبينا
محمد وعلى آله وصحبه وتابعيه إلى يوم الدين .

■ ■ ■ ■ ■

The Mosque of Abraham in Hebron - Old City
مسجد الخليل في الخليل قديم



أرض شهاب الدين

يدور جدل في فلسطين بين المسلمين والنصارى حول أرض عُرفت باسم أرض شهاب الدين في الناصرة.

وشهاب الدين هو اسم المقام - أو الوثن - الموجود في هذه الأرض، وكانت آخر وصايا رسول الله ﷺ التحذير من بناء المساجد على قبور الصالحين، وهي فتنة الشيطان لليهود والنصارى من قبل، بل هي فتنة الشيطان للبشر منذ قوم نوح. فقد أورد البخاري في صحيحه عن ابن عباس في أوثان قوم نوح: ودّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر، قال: (أولئك أسماء رجال صالحين، لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً). وأورد البخاري ومسلم في صحيحهما أن رسول الله ﷺ قال في مرض موته: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»، تحذيراً من هذا العمل الشنيع.

وعلى هذا فلا يجوز بناء مسجد على أرض شهاب الدين، ولو بني فلا يجوز فيه الصلاة فرضاً ولا نفلاً لأنه لم يؤسس على التقوى من أول يوم، وقد حرّم الله على نبيه الصلاة في مسجد الضرار لهذا السبب: فساد النية عند البناء، ومسجد شهاب الدين - ومثله مسجد الخليل في الخليل - أسوأ من مسجد الضرار لأنهما يجمعان إلى فساد النية نُصباً على القبور.

وصلّى الله وسلم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته.



من يبني الحضارة؟

(١)

مصطلح (الحضارة) في اللغة العربية الدارجة مأخوذ من أصله الأوروبي وبخاصة الإنكليزي (Civilisation)، ويختص في الأصل والتقليد بالجانب المدني - وفي الأغلب - المادي من الحياة.

وفي العصور القديمة كان الوثنيون - البراهمة في الهند، والفراعنة في مصر، والأنباط في جزيرة العرب، والأكاسرة في فارس، والملوك الفلاسفة في اليونان، والقيصرة في أرض الرومان - هم بناء الحضارة بأوامر رئاسية وتسخير شعبي.

ثم جاءت المرحلة الحاضرة من مراحل التطور الحضاري مع بداية ما سمي عصر النهضة أو الثورة الصناعية في أوروبا، وفي ما انتقلت إليه من مستعمراتها وبخاصة: أمريكا الشمالية.

وانتهى عهد التسخير المعلن ودكتاتورية الفرد، ليحل محلها عهد الحرية الشخصية، وسيطرة الفكر والحزب، وتوجيه وسائل الإعلام. وكان أبرز مقومات الحضارة الجديدة:

١- البحث والفكر والابتكار في سبيل المال أو الشهرة أو المنفعة.

٢- الصبر والمثابرة والإصرار.

٣- التطوع بالجهد أو الوقت أو المال، أو بها جميعاً.

٤- التعاون لتحقيق هدف قريب أو بعيد لمصلحة عامة.

وتجتمع هذه الأسس - أو أكثرها - في المثالين التاليين :

أولاً: في إحدى القرى الفرنسية، صرف ساعي البريد (٣٣) سنة من حياته وفراغه وفائض راتبه البسيط في بناء صرح كبير سمي بالمعبد الهندي لطرازه المعماري واشتماله على معبد وكنيسة ومسجد وبعد عشرات السنين اعترفت الحكومة الفرنسية بإنجازه فتم ضم هذا الصرح إلى معالم الحضارة الفرنسية .

ثانياً: في التلال السود من ولاية جنوب داكوتا الأمريكية قضى نحات أمريكي من أصل بولندي (٤٣) سنة من عمره في نحت جبل ؛ تذكراً لزعيم هندي أحمر قاوم - حتى مات - استيلاء المهاجرين الأوروبيين - ومنهم أجداد هذا النحات - على أرض قومه . وبعد موت النحات - وبوصية منه - استأنفت زوجته وسبعة من أولاده محاولة تحقيق حلمه . وبعض تفاصيل هذا المشروع تبين مدى الجهد والصبر والبذل والتعاون الذي يحتاجه بناء الحضارة المادية :

١- احتاجت بداية التنفيذ إلى بناء سلم خشبي يصعد النحات وينزل يومياً درجاته وعددها (٧٤١) درجة ، ليعمل وحيداً بلا ماء ولا كهرباء ولا طريق مُعبّد ، أكثر من أربعين سنة ، حتى أقعده مرض الموت .

٢- بعد خمسين سنة من بدء التنفيذ ، يُحتفل في عام ١٤٢٠ هـ بإتمام الجزء الأول من المشروع . ولكن موقعه ومخططه ومجسمه قد صار أثراً ورمزاً تُشدّ له رحال السياحة يوم مررت به عام ١٣٩٠ هـ قبل ٣٠ عاماً .

٣- أزيلت حتى الآن ثمانية ملايين طن من الحجارة والتراب .

٤- صرفت حتى الآن عشرة ملايين دولار كلها من التبرعات ورسوم الزيارة .

٥- تبرعت مواطنة بستمائة وسبعة وأربعين ألف متر مربع من أجود الأرض الزراعية ، وتبرع مواطن بعقار تقدر قيمته بمائتين وخمسين ألف دولار لصالح

المشروع .

٦- أعداد كبيرة من المهندسين والمتعهدين والعمال والفنيين وضعوا أسماءهم على قائمة الانتظار الطويلة للتطوع بمهارتهم وجهدهم وأوقاتهم ، مساهمة في المشروع وتحقيقاً لحكمة محلّية تقول : (اجعل هدفك القمة ، فإنه لا يزال فيها متسع لك) .

وللأسف فإن أيّاً من هذين المثالين لم يخل من رابطة الإرث الحضاري الوثني ، ولكن على مثل هذه الهمم أيضاً قامت آلاف الجامعات والمصحات والمتنزهات والخدمات الأخرى على أكتاف الأفراد لا الدولة . وخير مثال عندي على ذلك أن ٩٠٪ من العاملين في الدفاع المدني في مجموع الولايات المتحدة الأمريكية متطوعون جزئياً أو كلياً .

والآن أين موقع المسلم من هذا كله؟ قطعاً ليس التنافس في الاستهلاك والتقليد النظري أو العملي ، ولا البحث عن الأحلام والخيال والظن والفلسفة ، ولا تعظيم البشر وتخليد الأساطير ، ولا الاعتماد على الإنفاق والإنجاز الحكومي وبذل الوقت والفكر والجهد في محاولة استغلال ذلك لاقتناص أكبر منفعة ذاتية بأقل تضحية للدين أو للإنسانية ، وقتل الفراغ بالإشاعة والغيبة والاحتجاج والشكوى وإلقاء اللوم على غيره . وإذا كان الله قد مَيَّزَ مَنْ كَفَرَ بِهِ بِالْمَتَاعِ الدُّنْيَوِيِّ : ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣] . فمن الشرع والعقل الاستفادة من ذلك لتحقيق ما مَيَّزَ الله المسلم به : الدين والدعوة إليه : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [نصرت: ٢٣] ، وعلى هذا فسبب وجوده أسمى من مجرد الشكل والعدد والشهرة ، والمتاع الحيواني : الطعام والنام والنكاح والتسلية . وصلى الله وسلم على محمد وآل محمد .

من يبني الحضارة؟ (قدوة المواطن للمواطن)

(٢)

في القسم الأول من مقال بعنوان : (من يبني الحضارة) ضربت مثلين من الواقع في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية شاهدين على أن المواطن في بلاد الحضارة الغربية الحاضرة هو الذي يبني مظاهر الحضارة المادية والفكرية (لا الدولة) بإنجازاته الفردية أو التعاونية من النظريات، والمخترعات، والجامعات، والمستشفيات، والمتاحف، والمتنزهات، ووسائل الإعلام والترفيه ومؤسساتهما. وإن شاركت الدولة المواطن في شيء من ذلك فعلى نفقته وجهده ولفائدة الجميع.

وبالمقارنة يصرف المواطن العربي المسلم أكبر همّه وجهده في البحث عن طريق لانتفاعه هو من وطنه لا لنفعه إياه.

ولكن من العدل والشكر لله ثم لمن يستحق الشكر من عباده الإشادة ببعض الاستثناءات القليلة لهذه القاعدة :

أ- سنّت شركة عبدالعزيز ومحمد العبدالله الجميع سنة حسنة نادرة قبل خمسين سنة بمدّ مياه الشرب إلى كل بيت في (شقراء) وبكل ما يحتاج إليه هذا الهدف من حفر الآبار وتركيب المضخات والأنابيب، جزاهم الله خير الجزاء.

وقبل بضع عشرة سنة تميزت الشركة نفسها مرّة أخرى (بل انفردت حتى اليوم) بكفالة ثمانين من دعاة التوحيد والسنة في الخارج على قائمة مكتب بيت الشيخ ابن باز رحمه الله، إضافة إلى أربعة وثلاثين من دعاة التوحيد والسنة في

مختلف بلاد الشام ومصر ، وأهم من التميز في عدد الدعاة : التميز في الحرص على تمسكهم بمنهاج الوحي والفقه وتحررهم من مناهج الفكر المبتدعة في الدين المفرقة للدين وأهله .

ب - وسن وزير المالية الأول / عبدالله بن سليمان الحمدان رحمه الله سنة مماثلة بمدّ مياه الآبار في عنيزة إلى كل بيت فيها قبل خمسين سنة كذلك .
وعند إنشاء جامعة الملك عبدالعزيز في جدة قدّم ورثته جزءاً كافياً من أراضيهم ومبانيهم لإيواء نواة الجامعة .

ج - وفي السنوات الأخيرة ظهر اتجاه أشمل وأعم للإصلاح بظهور مؤسسات العمل التطوعي التعاوني تجمع بين أموال المحسنين ونشاط العاملين على تحصيلها وصرفها في مصارفها المشروعة ، وكان لها الفضل بعد الله في توجيه المواطنين وتيسير مشاركتهم في أعمال البر والإحسان ، ومن أبرز هذه الأعمال :
(١) بناء المساجد ، وهو أمر سنّه رسول الله ﷺ بقوله وفعله ، ورغب فيه ، وبيّن أن جزاءه بيت في الجنة .

ولضمان الاستفادة منه على الوجه الشرعي وقبوله عند الله يجب الحرص على مطابقة بنائه واستعماله لشرع الله بالتخلّص من بعض المخالفات والبدع التي وسوس بها الشيطان وسوّلت بها النفس الأمارة بالسوء من الزخرفة والإسراف في الحجم والنفقة ، واقتباس رموز العمارة الكنسية التي وصفت زوراً بالإسلامية مثل القباب التي تمنع الاستفادة من السطح والالتزام بزخرفة واستدارة المحاريب التي يغني عنها عند الحاجة أيّ تجويف في قبلة المسجد ، والالتزام برمز الهلال الذي سبق إليه النصاريّ والمجوسن وليس له في شرع الله مكان ، وتعدد المآذن وبخاصة بعد أن توفرت مكبرات الصوت ، والنقوش في الجدران أو السقوف أو

الفراش ولو بكتابة لفظ الجلالة أو أسماء الأنبياء أو الصالحين، والإسراف في استهلاك الكهرباء بإضاءة الثريات الكهربائية لغرض الزينة في يوم الجمعة وشهر رمضان تقليداً للمبتدعة، وتكييف وإضاءة كامل المبنى كل وقت ولو لم يشغل المصلون غير حيز صغير منه، وتخصيص مكان منفصل لقراءة القرآن وآخر لصلاة النساء؛ خلافاً لما كان عليه سلف هذه الأمة في القرون الماضية.

(٢) استقبال الصدقات والأضاحي والكفارات، وكفالة الدعاة والأيتام، وتفتير الصائمين، والأطعمة والملابس والحقائب المدرسية.

(٣) طبع وتوزيع الكتب والرسائل والنشرات الدينية وتعليم القرآن والسنة.

(٤) توعية الجاليات الأجنبية بتنظيم الدروس وتقديم الكتب بلغاتهم.

(٥) رعاية المسجونين وذويهم بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، والإعانة على فك أسرهم أو إعانة ذويهم بالمال والمتاع.

(٦) إقامة المخيمات والمنتديات والملتقيات والمهرجانات باسم الدعوة إلى الله، وإن غلب على هذه ما يغلب على القائمين عليها من جنوح إلى التحزب والتعصب للأفراد والمناهج البشرية غير المعصومة، والدعوة بالقصص والشعر والأمثال والفكاهة، عوضاً عن الوحي والفقہ في نصوصه: منهج النبوة ومنهاج التابعين له.

(٧) وأخيراً بدأت - بفضل الله - تظهر مؤسسات قليلة للدعوة إلى الله على منهاج النبوة بالوسائل العادية والفضائية زادها الله هدىً وعدداً.

وصلّى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته.

المشاحة في الاصطلاح

أصدق اصطلاحاتنا اللغوية الحديثة - ردنا الله إلى لغة الكتاب والسنة - قول أحد كتّاب العرب المحدثين: (العرب ظاهرة صوتية)، بمعنى أن نصيبنا القول ونصيب غيرنا العمل. وليت نصيبنا من القول صُرف في ما استخلفنا الله فيه: القرآن والسنة - الوحي اليقيني الذي اختص الله لغتنا به - التزاماً ونشراً، إذا لحزنا الخير بحذافيره، قال الله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادَ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨]، و﴿القول﴾ هنا خاص بالوحي من الله تعالى كما قال لموسى: ﴿وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الاعراف: ١٤٥]، وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٣]، أما قول البشر فليس علينا استماعه كلّ ولا اتّباعه كله.

ويظهر لي من تخلفنا في الصناعة من قبل ومن بعد، بما في ذلك صناعة علوم القرآن والسنة بل واللغة - فهرسة وطباعة وتقعيداً - وتخلفنا عن أعاجم المسلمين في جمع وتخريج السنة؛ أن الله اختصنا بما عمّ به المسلمين من خدمة الدين بالدعوة إلى الله على بصيرة، بالوسائل الفطرية التي لا يعجز عنها بشر سوي، «فكل ميسر لما خلق له» [متفق عليه].

وفي المقابل يسّر الله غير المسلمين لخدمة الدنيا والدعوة إليها، فهم أحق وأولى بها، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لَبُوتَهُمْ سَفْناً مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ (٣٣) وَلِبُوتِهِمْ أَبْوَاباً وَسُرراً عَلَيْهَا يَتَكَبَّرُونَ (٣٤) وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥]، وقال رسول الله ﷺ: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر) [رواه مسلم]

ومن فضل الله وعَدْلُهُ ألا يعطي عبداً من عباده - مؤمناً كان أو كافراً - كل شيء ،
وألا يحرمه من كل شيء .

ولكن أكثر المسلمين أهملوا ما خلقهم الله ويسرهم له ، وتطلّعوا إلى ما خلق
الله الكافرين ويسرهم له ، فخسروا الأمرين ، كما قالوا عن الغراب الذي حاول
مشية الحمام فخسر المشيتين . والأصح هنا أن نقول : إن الحمامة العربية هي التي
حاولت مشية الغراب الغربي فخسرت الأولى والثانية .

ومهما بذلنا من جهود وأموال وأوقات وتضحية بالذي هو خير في سبيل
الذي هو أدنى ، لم ولن يتجاوز نصيبنا التبعية والتقليد والتخلف ، وكان عزاؤنا
الكلام ، أي كلام ؛ وهذان مثالان من الأمثلة :

أ- قال عربي لا يُعرف له اسم ولا رسم : (لأُمشاحة في الاصطلاح) في فقه
الدين ، وقال آخر : (اتق شر من أحسنت إليه) في الأخلاق ، وقال ثالث :
(الامتحان شر لا بد منه) في التعليم ، وقال رابع : (الأمثال لا تُغيّر) في الحكم
الشعبية .

ولو سَمَتُ هممنا إلى عرض هذه الأقوال - ومثلها كثير - على الشرع أو
العقل ، لما قبلناها ورددناها واستشهدنا بها دون تمحيص كأنها وحي منزل ، بل إن
كثيراً من مثقفينا الإسلاميين - فضلاً عن الأميين - لا يقبل الوحي المنزل المبني على
الإيمان بالغيب إلا بعد عرضه على فكره واقتناعه به :

١- والحق أن (المشاحة) واردة على الاصطلاح الحادث في علوم الدين - عقيدة
وعبادة ومعاملة أو سلوكاً - حتى يقره شرع الله من الكتاب والسنة وفقه أئمة العلم
في القرون المفضلة .

٢- وقد أمر الله بالإحسان في المعاملة للمسلم وللکافر وللکتابي ، قال الله

تعالى: ﴿وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]؛ فعاقبة الإحسان الخير لا الشر.

٣- وبفضل من الله ورحمة لم يجعل الشر طريقاً لنا إلى الخير، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الاعراف: ١٥٧]، والامتحان الشرّي الذي كان يحكم التعليم في جميع مراحل شراً كان منه بدّ وآثاره السيئة على العلم وطلابه من بداية التنظيم الدراسي إلى نهايته لا ينكرها إلا جاهل أو مكابر.

٤- والأمثال قد تكذب فتُردّ، وقد تصدّق فتوضع في مكانها الصحيح، وأصدقها ما جاء في كتاب الله مثل قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ﴾ [الاعراف: ١٧٦]، وما جاء في سنة رسول الله ﷺ مثل: «ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم»، فليُنظر بم يرجع» [رواه مسلم]. وقد ردّ النبي ﷺ كثيراً من أقوال العرب ومصطلحاتهم وأمثالهم وأسمائهم؛ مثل نهيه عن سبّ الدهر، وما أكثر ما يُسبُّ إلى اليوم شعراً ونثراً، ونهى عن أسماء تدل على الصلاح وأسماء تدل على ما دون ذلك، بل ونهى عن تسمية العنب كرمًا، ونهى أن تسمى صلاة العشاء صلاة العتمة.

ب- ولأن الطموح إلى الترف قعد بنا عن الطموح إلى المنازل العليا التي أراد الله لنا شرعاً أن نتنافس فيها، وأعلاها في الدنيا: هداية الناس إلى التوحيد والسنة، وفي الآخرة: رضاه والجنة؛ اكتفينا بالقعود في المؤخرة نرقب ما يفعله الآخرون وننحت له الأسماء والمصطلحات ونحكم عليها، وهذه بعض الأمثلة:

١- انتظار الأحداث المحلية والعالمية، ثم تحليلها سياسياً وفكرياً، وإصدار

الأحكام الشرعية عليها، بلا موازين غير الظن وما تهوى الأنفس، وبين أيدينا هدي الكتاب والسنة لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه. قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣]، محذراً من الوقوع فيما وقع فيه الضالون قبلنا.

٢- عزو كل ما يحدث في الكون إلى مؤامرات محبوكة لا تخيب، وتخطيط دقيق لا يفشل من أمريكا واليهود، حتى أشركوهما - إن لم يكونوا أفردوهما - في الربوبية والتدبير والتصرف، ونسوا أقدار الخالق وخطايا المخلوق، قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (٧٨) مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنْ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ ﴿ [النساء: ٧٩].

٣- ترجمة كلمة (SECULAR) إلى: علماني - بكسر العين - وبعد عشرات السنين تحويلها إلى علماني - بفتح العين - وقليل من يعقل أن أصل استعمالها الحديث بدأ بخروج النظام الأوروبي البشري عن سلطة الكنيسة الكاثوليكية، وليس للمسلم أن يحزن كثيراً لهذا الحدث فإن كلاً من الخارج والمخرج عنه مُنحرف عن شرع الله. وللأسف فإن تنفيذ المسلمين لما قلّده من أحكام البشر أسوأ منه، وأقرب مثال حكم القانون في فرنسا بحق المرأة المسلمة في الحجاب، وتحريمه في تركيا.

٤- ترجمة كلمة (SOCIALISM) إلى: اشتراكية، والحكم عليها بما وصلت إليه بسبب التقليد العربي الفاشل للفكرة الأوروبية وتنفيذها الفاشل، ومن ثم الحكم عليها بالكفر، وفي الوقت نفسه، وبسبب جهلهم بأحكام الأموال في الإسلام، وصف بعضهم هذه الأحكام بالاشتراكية الإسلامية.

٥- تعريب كلمة (DEMOCRACY) إلى: ديمقراطية، وحملوها أكثر مما

تحمل من خير أو شر، بحكمهم على التنفيذ الناجح أو الفاشل للديمقراطية، منذ ولاية المدينة في اليونان قبل (٢٥٠٠) سنة، وبما صاحب التنفيذ من تحكيم قوانين البشر، ثم طالبوا بها للوصول إلى السلطة بطريق الانتخابات والمظاهرات والإضرابات، رفضاً لتعيين ولاية الأمر خلفاءهم وعمالهم، وهو بلا شك أقرب إلى الشرع والعقل من حكم الأكثرية الذين وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

٦- ترجمة اصطلاح (INTERNATIONAL LEGITIMACY) إلى: الشرعية الدولية، وعدوها من الشرك الأكبر، وانشغلوا وأشغلوا بها وبمثلها المسلمين عن الاحتراز من الشرك الأكبر الذي جاءت كل الرسائل وكل الرسل للتحذير منه والقضاء عليه: تقديس المزارات والمشاهد والمقامات والأضرحة ودعاء من نسبت لهم، وطلب المدد منهم، والنذر لها، والذبح والصلاة عندها تقرباً إلى الله بمعصيته.

٧- ترجموا كلمة (CAPITALISM) إلى: رأسمالية، وربطوها بأمريكا وحكموا عليها بالكفر، ثم سعوا إليها باسم البنوك الإسلامية والمستشفيات الإسلامية، والمدارس والمعاهد والكليات والمراكز الإسلامية، بل والفرق الفنية والنوادي الرياضية الإسلامية.

والحق أنه لا يجوز الحكم على فرد أو تنظيم أو شيء إلا بما جاء به الوحي المنزه عن الظن واحتمال الخطأ، وبفقه أئمة العلم الشرعي في القرون المفضلة في نصوصه، وبذلك وحده يتميز الكفر من الإيمان، والحرام من الحلال والمباح، وأمور الدنيا والعادات من أمور الدين والعبادات.

وصلّى الله وسلم على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته .

التراث والآثار

قبل عام كتبت ملاحظة (لم تنشر) على رأي لكاتب عربي بارز في كتاب (دليل الليالي العربية) لروبرت أون، أحدث تقريرى لكتاب (ألف ليلة وليلة) في سلسلة الإعجاب الغربي به، وأخذ منه الكاتب العربي أن: (ألف ليلة وليلة) لم يعط حقه من التقدير في موطنه.

وكان رأيي أن هذا الكتاب لا يستحق التقدير في العالم العربي وبخاصة بين المسلمين، ولم يهتم به العرب القدوة في الدين أو الأدب لأنه كان من سَقَط المؤلفات بكل مقاييس الحكم الصحيح: لغوية، وفنية، وخلقية وشرعية، وتربوية، وإنما مثله - وإن كان يقصر كثيراً - مثل (رباعيات الخيام) في الأدب الفارسي لم تنل حظوة في موطنها حتى ترجمها (فيتزجيرالد) إلى الإنكليزية بنظمه الجميل الراقى - بالمقاييس الأدبية الحديثة - فالقيمة الحقيقية للرباعيات هي لصياغة (فيتزجيرالد) وليست لصياغة (عمر الخيام).

وفي العربية: القيمة الحقيقية للرباعيات إنما هي لصياغة أحمد رامى بشعره الرقيق السلس، المغايرة للأصل، ويظهر صحة هذا الحكم عند المقارنة بين ترجمة أحمد رامى للرباعيات و ترجمة أحمد الصافي النجفي الموافقة للأصل.

والواقع أن أكثر حكايات (ألف ليلة وليلة) ساذجة وساقطة، ولا يصح ديناً ولا خلقاً ولا تربية ولا أدباً أن تُقدّم نموذجاً فنياً صالحاً للأبناء والأحفاد، ولكن المسلمين في العصور المتخلفة مستعدون لاتباع أي ناعق غربي - أو شرقي - في أي قضية فكرية، ولو كانوا ألصق بها وأقدر على الحكم عليها.

نعم يمكن الاستفادة من التقنية والثقافة الغربية، وإنتاجها من البحوث الجادة

المفيدة في الأمور الدنيوية، بل والدينية فقد أيد الله الباحثين المسلمين في تقنية علوم القرآن بنصراني ألماني؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ القرآن، ثم - في تقنية علوم السنة - بنصراني هولندي؛ فظهر لأول مرة: المعجم المفهرس الشامل لألفاظ الحديث أعانه على إخراجهِ وموَلّه عدد من الأفراد والمؤسسات النصرانية. ولكن أين من الشرع بل وأين من العقل: الاهتمام بورقة من المصحف (من جلد الغزال) يشتريها بمئات الألوف السذج من الأثرياء مما استخلفهم الله فيه لينظر كيف يعملون، أو السذج من الموظفين على حساب الخزانة العامة، لو كان الحُكْمُ قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١]؛ لا يحب المسرفين في الطيب الحلال المفيد من أمور الدين والدنيا، فكيف بالإسراف في القيم الخيالية فنية أو جمالية أو رياضية أو فكرية؟!

ليس من شرع الله في شيء، بل وليس من العقل في شيء، هذا التهالك على (التراث والآثار) دينية أو دنيوية، لمجرد مرور الزمن عليه أو قبوله في مجتمع صناعي. ولئن كان الكافر معذوراً - وجنته في الدنيا - باللهو الخيالي فتتحول مقطوعة (فالس بوليرو) من (١٧ دقيقة من الأوركسترا بلا موسيقى) كما حكم عليها مؤلفها (رافل) بحكم مجتمع (فيينا) الفني قبل ٧٠ سنة، إلى مقطوعة من الدرجة الأولى اليوم، وتلقى لوحة (ماتس) في متحف نيويورك للفن الحديث ما تستحقه من الحفاوة والتقريض والإعجاب مدة شهر ونصف، وزوارها يبلغون مئات الألوف من محترفي الفن وهواته ونقاده، ثم يتبين - بملاحظة غير فنية - أنها علقت مقلوبة طوال هذه الفترة. فما هو عذر المسلم الذي يتقرب إلى الله بغير شرعه، أو ينشر الفسق والتفاهة باسم الأدب والفن، أو يبذر المال الخاص أو العام على التقليد الخيالي لثقافة ضالة؟

قال عمر رضي الله عنه : (إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم) وروى عنه أنه قطع شجرة بيعة الرضوان لما رأى من اهتمام بعض المسلمين بزيارتها أو الصلاة عندها ، وفوق ذلك نهى رسول الله ﷺ عن دخول آثار الضالين إلا بالبكاء خشية الإصابة بمثل ما أصابهم ، ولا شك أن تتبع آثار وتراث وثقافة الضالين في حاضرنا - بلا فائدة تسد حاجة أو ضرورة - وسيلة للإصابة بمثل ما أصابهم من الانحراف والضلال عن سواء الصراط .

وصلّى الله وسلّم على محمد وعلى آل محمد .



إحياء الآثار الدينية والوثنية

في أقل من شهر حثّ عدد من الصحفيين والكتاب والموظفين أمة الإسلام على إحياء الآثار الدينية إبرازاً (لمعالم الحضارة الإسلامية)، و(لذاكرتنا التاريخية)، و(احترامنا لسيرة المصطفى ﷺ)، و(تصحيح النظرة التي تحكمنا تجاه الآثار الدينية والوثنية)، وسبقت ذلك محاولات أقل جرأة على الحق.

ومع إحساني الظن بنية الكتبة جميعاً وإدراكي سوء قولهم وعملهم؛ لم أجد بداً من التساؤل: هل اتفاقهم على هذا الاتجاه وحرصهم على نشره - ولم يُعرف عن أحد منهم اهتمامه بنصر سنة ولا قمع بدعة ولا نهْي عن معصية كبيرة أو صغيرة - هل كان ذلك إرجاف منظّم لفرض رأيهم أم مجرد توارد خواطر شيطانية أملتها العاطفة التائهة.

وأيّاً كان الجواب على هذا التساؤل (وهم أعلم بما في نفوسهم مني وحسابهم على الله)؛ فإنهم مخالفون لشرع الله وسنة رسوله وسنة خلفائه الراشدين وآل بيته وصحابته وأئمة الفقه في الدين في القرون المفضلة ومن سار على نهجهم من فقهاء الأمة الداعين إلى دين الله على منهاج النبوة.

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

(١) فلم يردّوا الأمر لله ولا لرسوله؛ إذ لم يقدموا نصّاً واحداً من الكتاب ولا من السنة ولا من أقوال فقهاء الأمة في القرون المفضلة يجيز إحياء الآثار الدينية أو

الوثنية .

بل خالفوا الأمر الصريح بالنهي عن مشابهة الكافرين الذي بدأ ضلالهم واستمر بسبب إحياء آثار الصالحين والغلو فيهم بدعوى محبتهم والتقرب بهم :

* روى البخاري في صحيحه عن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في تفسير قول الله تعالى عن قوم نوح : ﴿ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴾ [نوح: ٢٣] ، قال : (هي أسماء رجال صالحين من قوم نوح عليه السلام ، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ، ففعلوا فلم تُعبد ، حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت) .

* وروى ابن جرير أنهم : (كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح ، وكان لهم أتباع يقتدون بهم ، فلما ماتوا قال أصحابهم الذين كانوا يقتدون بهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة إذا ذكرناهم) إلخ من ابن كثير .

* وفي الصحيحين عن عائشة أن النبي ﷺ قال عن النصارى : « أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوروا تلك الصور ، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة » .

* وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال في مرضه الذي لم يقم منه : « لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » ، قالت عائشة رضي الله عنها : يحذر مثل الذين صنعوا .

* وفي عدة روايات في الصحيحين وفي مسند الإمام أحمد أن هذه كانت آخر وصايا النبي ﷺ لأمة .

ثم يأتي أحد هؤلاء الكتبة عفا الله عنهم وهداهم ويتمنى لبلاد التوحيد والسنة ما طهرها الله منه : أن يُبني مسجد على قبر كل صحابي .

(٢) ولم يردّوا الأمر إلى من أوصانا النبي ﷺ باتباع سنتهم ، فقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قطع شجرة بيعة الرضوان لما رأى من رغبة الناس في اعتيادها في خير عصور الإسلام ، وورد عنه أيضاً منعه الناس من قصد الصلاة في موضع صلى فيه النبي ﷺ إلا لمن أدركته الصلاة فيه .

وورد عنه أيضاً أنه قال : (إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم) ، هذا في عصر الصحابة والتابعين في خير القرون .

ولم يعرف عن أحد من فقهاء الأمة (إحياء أثر) في مكة المباركة غير ما شرعه الله : المسجد الحرام ﴿لِلنَّاسِ سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ﴾ [الحج : ٢٥] ، وغيره من مشاعر الحج (للحاج وحده بما شرعه الله له) .

ولم يُعرف عن أحد من فقهاء الأمة في القرون المفضلة (إحياء أثر) في المدينة النبوية غير ما شرعه الله : المسجد النبوي ، ومسجد قباء ، وزيارة قبر النبي ﷺ وقبري صاحبيه ، وقبور المسلمين في البقيع وأُحد للدعاء لهم وتذكر الآخرة .

ولم يعتد أحد من الصحابة ولا من تبعهم زيارة غار حراء في مكة المباركة ولا غار ثور ولا مكان المولد المزعوم لأن النبي ﷺ لم يسنّ لهم ذلك .

(٣) ولم يردّوا الأمر إلى أولياء الأمر منهم - كما هو أمر الله - ومعلوم أن الله قد منّ على دولتنا المباركة فميّزها بالتأسيس من أول يوم على الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة على جميع دول المسلمين منذ القرون المفضلة فأزالت جميع ما يسميه المبتدعة اليوم بالآثار الإسلامية من المقامات والمشاهد والمزارات ،

وبالآثار الوثنية وأهمها ذي الخلصة في تباله وجبل دوس ، وميزها الله بالجهاد الحقيقي لتكون كلمة الله هي العليا (لا الجهاد الوهمي ولا الإجرامي الحديث) ، وميزها بنشر كتب التوحيد والسنة والتحذير من الشرك والبدعة لأول مرة في تاريخ المسلمين مثل : فتح المجيد وشرح الطحاوية وفتاوى ابن تيمية وجامع الأصول وتفسير الطبري وتفسير ابن كثير ، وميزها الله بإرسال دعاة التوحيد والسنة إلى مشارق الأرض ومغاربها ، وإنشاء معاهد وكليات الدعوة إلى منهج النبوة في الداخل والخارج .

وهذه أعظم ميزة منحها الله لعبد من عباده ، وهي أعظم ما أرسل الله به رسوله وأنزل له كتبه ، وأعظم شرائع وشعائر دينه .

٤) ولم يردوا الأمر إلى أكبر علماء هذه الدولة المباركة بداية من الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وتلامذته في المرحلة الأولى ، ثم فتاوى الشيخ / محمد بن إبراهيم ، والشيخ عبدالعزيز بن باز ، والشيخ محمد ابن عثيمين رحمهم الله ، ودروس وخطب وفتاوى الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ ، والشيخ صالح بن محمد اللحيدان ، والشيخ د . صالح الفوزان ، وجميع العلماء الدعاة إلى الله على منهج النبوة ، وبخاصة ردود الشيخ عبدالله بن سليمان بن منيع ، والشيخ صالح بن عبدالعزيز آل الشيخ على دعاة البدعة والفتنة .

٥) وقد مضت سنة النبي ﷺ وخلفاؤه وأتباعه على هذا الصراط المستقيم من سد ذرائع الشرك وأبوابه حتى بدأ نشر البدع الشركية فما دونها بإحياء ما سماه الشيطان : الآثار الإسلامية أثناء عهد الفاطميين واستمر في عهد العثمانيين وما بينهما ، وجاء الله بمن يجدد لهذه الأمة دينها بالعودة به إلى أصله من أفراد : أبرزهم شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وابن الجوزي رحمهم الله ، ثم

جاء الله بدولة التوحيد والسنة التي بدأت بعقد رباني بين محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله وجزاهما عن هذه الجزيرة المباركة وعن الإسلام والمسلمين خير ما يجزي به الدعاة إليه على بصيرة - وأعظمهم رسله - من نصر لدينه ومحافظة على شعائره وبيوته وتطهيرها مما يحدثه الجهل والهوى ووسوسة شياطين الإنس والجن .

قال الله تعالى : ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾ [النجم: ٢٣] .

٦) أرجو الله ثم أرجو علماء الأمة الدعاة إلى الله على سبيل نبيه والمؤمنين به بيان وجه الحق في هذا الأمر العظيم حتى لا يُظنّ سكوتهم عن الباطل علامة لرضاهم عنه ، وأرجو الإخوة الكتبة أن يتقوا الله فلا يقولوا على الله وشرعه بلا علم ولا هدى ولا صراط مستقيم .

والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على رسوله الذي تركنا على المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك .



الأقدار خير من التوقعات

اكتشفت منذ زمن الدراسة في المرحلة الابتدائية أن أقدار الله لخلقه خير من توقعاتهم لأنفسهم؛ فما توقعنا النجاح في سنة من سنوات الدراسة في الداخل ولا في الخارج، وبرحمة من الله وفضل لم أجرب الفشل مرة واحدة.

وهذه ترجمة لتقرير مختص عن مستقبل الحياة بمشيئة الله على الأرض يؤكد رأيي فيما هو أهم من نتائج الامتحانات المدرسية:

قبل ثلاثين سنة كان دخان الآلات يلوث الهواء الذي يتنفسه الناس في كثير من المدن الأمريكية، وكانت بحيرة (إيري) العظيمة تموت، وعلى نهر (البوتوماك) لوحة إنذار من خطر ملامسة الماء، وفي نهاية السبعينيات أكدت تقارير الخبراء أننا نسمم المكان الذي نعيش فيه ونفني موارده الطبيعية، وأنا في زمن قريب سنختنق من التلوث.

واليوم نتلفت حولنا فنجد في الغالب أن مستوى حياتنا خير مما كان ومما توقعه الخبراء لنا:

فمع أن التلوث لا يزال مشكلاً؛ فإن الهواء أنظف مما كان عليه في منتصف السبعينيات إذ انخفض مستوى (سلفرديوكسايد) ٥٠٪، و(كربون مونوكسايد) ٦٠٪، وذرات الدخان والملوثات الأخرى ٢٥٪ تقريباً. وزادت نظافة المياه في البحيرات والأنهار فأزيلت لوحة الإنذار عن ضفة نهر (البوتوماك).

الشيء الذي لم يتغير هو سوء التوقعات ونذر الدمار، مثل:

١- زيادة السكان ونقص موارد الغذاء: قبل ٣٠ سنة كتب عالم الأحياء (بول

إيرليك) في كتابه (قنبلة السكان) أن مئات الملايين سيموتون من الجوع في عقد السبعينيات لطغيان زيادة السكان على موارد الغذاء .

ولم يتحقق توقعه ؛ فقد تضاعف عدد السكان منذ عام ١٩٥٠م ولكن إنتاج الغذاء زاد ثلاثة أضعاف . وإذا استمر معدل الزيادة في عدد السكان ونتاج الغذاء ؛ فإن عدد البشر سيبلغ ثمانية آلاف مليون عام ٢٠٤٠م ، وسيكفي ناتج الأرض المخصصة للزراعة اليوم لإطعام عشرة آلاف مليون طبقاً لتوقعات (بول واكنر) عالم في محطة التجارب الزراعية في (كنتكت) بسبب التقدم في تطوير وتحسين الناتج الزراعي .

٢- الكيمياء الصناعية تسبب وباء السرطان : كتبت (راشيل كارسون) عام ١٩٦٢م أنه للمرة الأولى في تاريخ البشرية يتعرض كل كائن حي للكيمياء الخطرة منذ تكون النطفة في الرحم حتى الموت ، ولكن (بروس إيمس ولويس كولد) ، باحثين في السرطان بجامعة (كاليفورنيا/ بيركلي) ، يؤكدان أن أكثر الكيمياء الصناعية التي يتعرض لها البشر هي في الواقع (طبيعية) ؛ فإن ٩٩, ٩٩٪ من المبيدات التي تدخل جوف الإنسان موجودة خِلقة في النباتات لتطرد عنها الحشرات والأحياء الأخرى : كثير من الفواكه والخضروات تحتوي على (كافيك أسيد) ، وزبدة اللوز تحتوي على (أفلاتوكسين) ، والخبز الأبيض يحتوي على (فرفال) ، وكل هذه المواد مسببات للسرطان (كارسينوجين) ولكن لا يجوز تجنب الأغذية المحتوية عليها بسببها ، فإن الإنزيمات الطبيعية في الجسم البشري مضادات فعالة لمقاومة الكيمياء الطبيعية والصناعية .

وماذا عن وباء السرطان؟ يقول (بروس ولويس) : لا حقيقة له ؛ فمع أن أنواعاً من السرطان - وبخاصة ما يتعلق منها بالتدخين - قد زادت نسبة الإصابة بها

خلال العقود الأخيرة من السنين ، فإن أنواعاً كثيرة من السرطان قد انخفضت نسبة الإصابة بها في أمريكا - وهي الأكثر تلوثاً في العالم - منذ عام ١٩٥٠م . يضاف إلى ذلك أن نسبة اكتشاف المرض قد زادت عموماً بسبب تطوّر التشخيص . ويؤكد بحث في مجلة (الأمريكي) العلمية نُشر في العام الماضي أن نسبة الموت بالسرطان بسبب التلوث في أمريكا لا تزيد عن ٢٪ ، وأن أكثر الموت بالسرطان سببه قلة الحركة .

٣- العقم البشري : حذر (ثيو كولبورن) عالم الحيوان في كتابه (مستقبلنا المسروق) من تسبب الكيماويات الصناعية في نقص الإخصاب البشري في العالم بنسبة ٥٠٪ في نصف القرن الأخير .

ولكن (ريتشارد شيرينز) في مجلة (نيو إنكلند) الطبية يؤكد أن نسبة الإخصاب في أمريكا لم تتغير في العقود الثلاثة الأخيرة . يضاف إلى ذلك أن مستوى انتشار بعض الكيماويات المتهمة مثل (د . د . ت) وتأثيرها في الجسم البشري قد انخفض ٧٥٪ خلال العقدين الماضيين .

٤- الانقراض الأحيائي يهدد توازن الطبيعة : كتب عالم الأحياء (نورمان ميرز) في كتابه (الفلك الغارق) عام ١٩٧٩م : أن مائة نوع من الأحياء ينقرض يومياً ، وأن مليون نوع من الأحياء سينقرض بنهاية عام ١٩٩٩م .

ولكن الواقع يخالف هذه التوقعات ، فلم ينقرض من الأحياء الموضوع على لائحة (الأحياء المهددة بالانقراض) منذ ١٩٧٣م غير سبعة أنواع .

٥- اختفاء طبقة (الأوزون) تهدد بوباء سرطان الجلد : في بداية السبعينيات اتهم علماء الغلاف الجوي للأرض المبرّدات وأشهرها (الفريون) بتدمير طبقة (أوزون) التي تحجب أشعة الشمس فوق البنفسجية ، وأكدت التقارير العلمية بعد

ذلك تسببها في ثقب طبقة (أوزون) الذي يظهر مؤقتاً فوق القطب الجنوبي .

ومنذ عام ١٩٧٨م منعت أمريكا استعمال المبردات لنفث العطور ومبيدات البعوض ومزيلات الروائح (البشرية) . وقد وُقِّعت اتفاقات دولية لمنع صناعة كل ما تأكد تأثيره على طبقة (أوزون) .

ومع أن نسبة اكتشاف سرطان الجلد قد زادت ، فإن أكثر المختصين يرى أن الزيادة ناتجة عن تغير أساليب المعيشة مثل تخفيف الملابس وقضاء ساعات أكثر على شاطئ البحر .

٦- زيادة الحرارة على وجه الأرض : في نهاية السبعينيات ظهرت نظرية حبس الحرارة بتأثير كثافة (كربون ديوكسايد) في جو الأرض ، وأن ذلك سيزيد حرارة سطح الأرض بضع درجات خلال قرن من الزمان ، ويزيد الأعاصير .

ولكن بعض المعلومات من الأقمار الصناعية يؤكد أن درجة الحرارة على الأرض قد انخفضت خلال ١٨ عاماً الماضية ، وأن أعاصير المحيط الأطلسي وسرعة رياحها لم تزد خلال نصف القرن الأخير .

وعتني شخصياً؛ فمنذ تركت التراب ، ثم الحُصْر ، ثم مقاعد الدراسة العصرية ، ومارست الحياة العملية؛ لم أواجه موقفاً كانت فيه توقعاتي خيراً من أقدار الله تعالى واختياره لي .

وصلّى الله وسلم على محمد وآل محمد وصحبه وأتباعه سنته .

معذرة! فالحياة حلوة

الحياة الدنيا مركبة من نقيضين: خير وشر؛ فمن صرف نظره إلى جوانب الخير في الحياة وجد كل الخير، ومن صرف نظره إلى جوانب الشر فيها لم يجد إلا الشر «فمن رضي فله الرضا، ومن سخط فله السخط»، وهذا الحديث من جوامع الكلم، ففيه ميزان السعادة والشقاء وطريقهما، ويبقى الاختيار لنا، ولكن أكثر الناس يختارون منظار الشر والشقاء ويحملون من سواهم التبعة.

نعيب زماننا والعيبُ فينا

وما لزماننا عيبٌ سوانا

وقد نبهني لهذه الحقيقة خير مُعلِّمٍ وأقربهم إليّ - قبل خمس وعشرين سنة - وكنت معه في طريقنا إلى اجتماع بين المغرب والعشاء مع إخوة لنا يتبارون في سرد - لا ينتهي - للشائعات عن فساد الحاضر والوعيد بسوء المصير في المستقبل، في مخالفة صريحة مُصرّة لشرع الله في الكتاب والسنة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾ [الحجرات: ٦]، ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾ [البقرة: ٢٦٨]، «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»، «من قال: هلك الناس، فهو أهلكهم»، وأخترنا (الرباط) في المسجد وأجر الصلاة بانتظار الصلاة.

ومنذ ذلك اليوم - بفضل الله - صرفت نظري إلى نعمة الله بالخير وشكره عليها.

وكانت أول فتنة في القرن الأول الهجري قد قامت - بوسوسة من الشيطان - على مثل ذلك، وانتهت بقتل ولي الله ورسوله أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي

الله عنه وأرضاه، بحجة عدم العدل في توزيع الأموال والمناصب، بل فُتن بها بعض الأفراد في حياة النبي ﷺ فوصفهم الله تعالى بقوله: ﴿فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة: ٥٨].

وبين يديّ مقال عن الأمر نفسه في مكان بعيد يعدّه أكثر الناس - من أهله ومن غيرهم - أكبر بقاع الأرض نصيباً من شرور الحضارة الصناعية من حيث الجريمة والحوادث والمخدرات والتلوث البيئي والأوبئة الطارئة والتضخم المالي والبطالة والتمييز العنصري: الولايات المتحدة الأمريكية.

ويعالج المقال مرض - بل وباء - تغليب السخط على الرضا من وجهين متميزين:

١- أنه بلغ من الحدة درجة تجاوزت التركيز على جوانب الشر والازورار عن جوانب الخير، إلى تهويل الشر وجحود الخير. يقول (أورلاندو بترسن) أحد أساتذة جامعة (هارفرد) فيما يسمى (علم الاجتماع): إن من المدهش أن النخبة في نيويورك وواشنطن - فضلاً عن غيرهم - مستمرون في ادعاء أن كل شيء يزداد سوءاً، مع أن كل شيء - في الواقع - يتحسن بوضوح (في العقدين الأخيرين بمقاييس البحث والتمحيص لا بمقاييس الشائعات).

ونتيجة لإحصاء عام ٩٦ ظهر التناقض في رأي من أخضعوا للإحصاء؛ فبينما اعترف ٧٥٪ منهم أن حالتهم جيدة، لم يعترف غير ٥٥٪ منهم بأن حالة البلاد جيدة.

٢- بالمقارنة الإحصائية التالية يتبين مدى التحسن الذي طرأ على هذه البلاد التي يقلدها الناس في الكثير من الشر والقليل من الخير في أدق أحوالهم وأجلها. الحوادث: في عام ٨٥ مات ٣٩ من كل مائة ألف، وفي عام ٩٧ مات ٣٥.

نقص عدد الأموات في حوادث العمل من ١١,٥٠٠ عام ٨٥ إلى ٦,٢١٨ عام ٩٧. نقص عدد الأموات في حوادث الطرق إلى حدّ قياسي: ٢ لكل مائة مليون ميل. في عام ٦٠ مات ٦,٠٠٠ في الحرائق، ونقص العدد عام ٩٧ إلى ٣,٣٦٠. والسبب البشري الأول في كل ذلك: اهتمام المواطن بالسلامة وزيادة وعيه بالخطر نتيجة للتوعية المستمرة.

المخدرات: نقص عدد متعاطي الكوكايين بين كبار طلاب الثانوية من ١٧٪ عام ١٩٨٥ إلى ٩٪ عام ٩٨. ونقص عدد متعاطي مخدرات التهيج بينهم من ٢٢٪ عام ٧٥ إلى ١٦٪ عام ٩٨. ونقص عدد من شرب الخمر بينهم من ٧٢٪ عام ٨٠ إلى ٥٢٪ عام ٩٨. ونقص عدد المدخنين البالغين من ٤٢٪ عام ٦٥ إلى ٢٥٪ عام ٩٥.

الاقتصاد: البطالة والتضخم في أدنى درجاتها منذ ربع قرن، والإنتاج الصناعي أكثر ١٢٥٪ مما كان عام ٧٠، ومستوى المعيشة في ازدياد معترف به من الأغلبية، إضافة إلى الفائض المالي العام الذي لم تعرف البلاد مثله منذ سنوات عديدة، وتناقص الفرق في الأجور بين البيض والسود.

البيئة: نقص دخان الوقود ٣٣٪ منذ عام ٧٠ مع أن عدد السيارات زاد ٧٥٪، ونقص غاز (سلفر ديوكسايد) في الجو ٣٥٪ وذرات السخام ٧٥٪ و(كربون مونوكسايد) ٣٢٪ والرصاص ٩٨٪ و(سي إف سي) الذي يضعف طبقة الأوزون لم يعد له وجود يذكر، والسبب في كل ذلك مشترك بين المواطن والدولة.

الصحة: معدل الموت بالسرطان بدأ يتناقص مع بداية التسعينيات بعد أن كان يتزايد في العشرين سنة قبلها. ونقص معدل الموت بمرض القلب ٢٨٪ بين عام ٨٧ و٩٧. ونقص معدل الموت بمرض الإيدز نقصاً ملحوظاً. وزاد معدل سني

الحياة من ٥٤ سنة في عام ٢٠ إلى ٧٧ سنة الآن .

ومع كل ذلك ؛ يُصِرُّ الأغلبية هنا وهناك - وبخاصة في وسائل الإعلام التي تعيش من نشر أخبار الشر - على أن كل شيء يسير في طريق الهاوية .

ومن أغرب الأمثلة المتناقضة أن مثقفي العرب يؤكدون أن النظام العالمي الجديد نظمته أمريكا للقضاء على القومية العربية والإسلام ، بينما يؤسس جيش أهلي سري في أمريكا - يقدر عدد أفراده بمائة ألف مسلح - لحماية أمريكا من مؤامرة النظام العالمي الجديد ، وقد نكون هذه المرة صدّرنا (عقدة المؤامرة) استثناء من عادتنا الاستيراد .

ومعذرة مرة أخرى فالحياة حلوة ، وعلينا شكر الله عليها دوماً ، قولاً وعملاً .

وصلّى الله وسلّم على محمد وآل محمد .



وارتفاع الحرارة نعمة

منذ تسع سنين نُشر تحذير سياسي من خطر ارتفاع حرارة الأرض على مستقبل البشرية بسبب زيادة استهلاك الوقود في المصانع والمدافئ ووسائل النقل، ونفث الغازات المستهلكة في الفضاء. وتنبأ (جورج ميتشل) في كتابه (العالم يحترق) بأن ذلك سيحدث فوضى كونية وأعاصير عارمة تهدد ملايين البشر بالموت، وتسوق قارتي الهند وأفريقيا إلى المجاعة العامة.

ولكن (دنس آفري) قد يوافق على المقدمة، ويخالف النتيجة المتشائمة، فارتفاع درجة الحرارة في الأرض - كما يقول - إن حدثت، فلن تكون بالضرورة ضارة، بل ستكون خيراً أيعم سكان الأرض، وهذا موجز أدلته:

١- عندما نشر ميتشل تحذيره كانت أجهزة الكمبيوتر البدائية للتنبؤات الجوية تتوقع أضعاف ما تتوقعه الأجهزة الحديثة لارتفاع درجة الحرارة، أما اليوم فإن الأبحاث المتخصصة لا تتوقع زيادة أكثر من درجتين أو ثلاث خلال القرن القادم.

٢- وهذا القدر من ارتفاع الحرارة حدث من قبل في القرون الوسطى، كما يقول المختصون في (معهد أوريكن للعلم والطب)، فكانت النتائج من خير ما سجله تاريخ البشر لازدهار الزراعة والتجارة والفن؛ فقد تضاعف إنتاج الغذاء بسبب دفء الشتاء وطول المواسم الزراعية، وزاد المطر، وقلّت الفيضانات بزيادة نسبة التبخر، ونقص معدل الوفيات بسبب تحسّن التغذية من جانب، ولقلة حاجة الناس للاجتماع في البيوت حول نار التدفئة وما يسببه دخانها والرطوبة من الأمراض المعدية.

٣- وكانت نتيجة تحسّن أحوال المعيشة: التفرغ للإبداع في الهندسة والفن

والاختراع الفني ، فبنى الأوروبيون الكاثدرائيات التي لا تزال تدهش السائحين بجمالها وتفوقها الهندسي ، وفي جنوب شرقي آسيا شيد (الخمر) - قبل أن يحمرّوا ويدمرّوا - معبد (أنكروات) ، وبنى (البورميون) آلاف المعابد في عاصمة بلادهم (باكان) . ودخلت طاحونة الهواء وآلة النسيج الحياة العامة ، ويسر سبك الحديد الحصول على أدوات أدق وأجود . وازدهرت التجارة لأسباب منها قلة العواصف في البحار ، وامتدت الزراعة إلى اليابان في الشرق ، وإنكلترا واسكندنافيا وروسيا في أوروبا .

٤- كانت كمية الأمطار التي هطلت على جنوب أمريكا الشمالية أكثر منها الآن ، وحضارة (الأناسازي) تميزت بالازدهار الزراعي ، ثم زالت بعد تغير درجة الحرارة في القرون الوسطى بالنقص ، وقد اكتشفت دلائل على أن الصحراء في شمال أفريقيا انكمشت بسبب زيادة المطر مع زيادة الحرارة في القرون الوسطى .

٥- الدفء المتوقع سيرفع درجة الحرارة في الشتاء وفي الليل ، ولن يرفع درجة الحرارة القصوى في الصيف وفي النهار ، وبالتالي فلن يضر النبات والأشجار ولا البشر .

٦- والزيادة المتوقعة في نفث غازات (ديوكسايد كاربون^٢) الناتجة عن حرق وقود الفحم والزيت ستخصب النبات ؛ لأن (د . ك^٢) في الواقع سماد صناعي ، وقد ظهر من أكثر من ألف تجربة في تسعة وعشرين بلداً أن مضاعفة ال (د . ك^٢) يزيد المحصول من الحبوب بنسبة النصف ، ويزيد في غمى الغابات ، وبالتالي يتوفر الغذاء للطيور والحيوانات البرية .

٧- ليس لما أعلنته الصحف في الثمانينيات نصيب من الصحة حول التنبؤ بغرق مدن كبيرة بسبب ذوبان الجليد القطبي بسبب زيادة الحرارة ؛ بل يرى

المختصون أن ارتفاع الحرارة قليلاً في المناطق الباردة الجافة من القطب يزيد الجليد القطبي ولا ينقصه، فنتيجتها زيادة الرطوبة في الجو التي تزيد من نزول الثلج، وبالتالي: زيادة الجليد.

٨- ولا صحة لتنبؤ المتشائمين بأن زيادة الدفء سيزيد من الأعاصير والعواصف؛ يقول (إس فرد سنكر) الأستاذ- بروفيسور- لعلوم البيئة في جامعة (فرجينيا): (بل يتوقع أن يقل حدوث ذلك بسبب نقص الفرق بين القطب وخط الاستواء في درجة الحرارة). وبلفظ آخر: كلما نقص الاختلاف بينهما في درجة الحرارة حدث اعتدال في المناخ، لأن ارتفاع درجة الحرارة- إن حدث- سيكون حول القطب أكثر منه حول خط الاستواء.

إذن، فلا خوف من نعيق غراب التشاؤم، بل نتذكر ما ورد عن لا ينطق عن الهوى ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تعود جزيرة العرب مروجاً وأنهاراً»، ونتذكر واجب شكر الله؛ بأن نستعين بنعمته على فعل ما يرضيه لا ما يغضبه؛ من الإسراف في الاستهلاك بل وفي تشييد المساجد، فضلاً عن معابد الوثنية سواء نُسبت إلى البوذية أو النصرانية أو الإسلام، بل وفي زخرفة المصاحف.

وصلّى الله وسلم على محمد وعلى آل محمد وصحبه ومتّبعي سنته.



رأي آخر

في نعمة الله بالرخاء أو نقمته

الرخاء مثل الفقر - وأمثالهما من أقدار الخالق - قد يكون نعمة وقد يكون نقمة، وإن رآه المخلوق غير ذلك؛ قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ (١٦) كَلَّا﴾ [الفجر: ١٥-١٧]. عرف هذا سليمان عليه السلام عندما أعطاه الله مُلْكًا لا ينبغي لأحد من بعده؛ فسخر الله له الريح تجري بأمره رخاء وعاصفة، وسخر له من الجن من يعمل بين يديه بإذن ربه، وعلمه منطق الطير، وآتاه من كل شيء، قال الله تعالى عنه: ﴿قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل: ٤٠]، بل عدّ ابن القيم رحمه الله إخراج آدم عليه السلام من الجنة متضمناً نعمة من الله عليه - استحقها بأوبته إليه -؛ لذة العودة إلى الجنة بعد مكابدة الحرمان منها، وكبد الحياة على الأرض.

يكون الرخاء نعمة إذا استعان به الإنسان على طاعة الله، ولم يخرج به عن فطرة الله التي فطره عليها في الدين والدنيا. ويتحول إلى نقمة إذا اشتغل به عن طاعة مولاه، فاستمرأ الكسل عن السعي والعمل الصالح لدينه ودنياه بخدمة نفسه، وأخيه، وأمته، ودينه، وطاعة من ولاه الله أمره.

وكما يغلب على الكثرة أن تكون مع الضلال: ﴿وَإِنْ تَطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ١١٦]؛ يغلب على الغنى والترف أن يقود إلى الطغيان: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ (٦) أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى﴾ [العلق: ٦، ٧]، ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٢٧]، ﴿وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا

مُجْرِمِينَ ﴿مُجْرِمِينَ﴾ [هود: ١١٦].

وكثير من الشعوب الغنية في العالم - خلال المائة سنة الأخيرة - وقعت في حبال الرخاء وعواقبه: فقد الحافز للعمل، والكسل، والسمنة، ومختلف أمراض كثرة الأكل ونعومتها، وقلة الحركة (جسمية ونفسية، دينية ودنيوية).

وأبرز مثال حي على مقدمات الترف ونتائجه: جزيرة (ناورو) في المحيط الهادي. ولذلك رأيت تقديم ملخص - للعبرة - عن تقرير نشرته مجلة (ريدز دايجست) العالمية عدد مايو ١٩٩٧م، يقارن بين ماضي الجزيرة وحاضرها ومستقبلها كما يُتوقع لها.

(ناورو) جزيرة من جزر المحيط الهادي في منتصف المسافة بين (هاواي) و(استراليا) صغيرة المساحة، قليلة عدد السكان، اكتشفها - قبل قرنين - قائد سفينة إنكليزية لصيد الحيتان، وسمّاها: (الجزيرة اللطيفة)، كان رزقها يأتيها رغداً، لاكتفائها بما حباها الله من نبات وثمار، وطيور وأسماك، وأيدٍ عاملة. ومنذ مائة عام تبين أنها من أغنى المناطق في العالم بأجود أنواع الفوسفات.

حصلت على الاستقلال عام ١٩٦٨، وقررت تأميم الفوسفات. وفجأة اكتشف أهلها حياة الكسل والاستهلاك الداخلي، والاستيراد والاستقدام الخارجي؛ فوفد إلى الجزيرة ما يقرب من نصف عدد السكان من العمال والسائقين والخدم الأجانب يكفون الأهالي مؤونة الحركة.

وكغيرهم لم يكتفوا بذلك؛ فامتلات المطابخ بأفران الميكرويف وأجهزة الطبخ والتنظيف الأوتوماتيكية، وضائق الغرف بأجهزة الهاتف والتلفزيون والكمبيوتر العابثة وآلات الرياضة الصناعية المهجورة، وضائق ساحات المنازل بالسيارات، فتعطلت الأيدي عن العمل، والأرجل عن المشي، وتعطلت القلوب

عن الفكر المفيد في مستقبل الدنيا والآخرة، وتعطلت الهمم عن التنافس والتعاون في مجالات البر والتقوى والإحسان.

وبتغير نوع التغذية وكمياتها، وبفقد حوافز الحركة ظهرت أمراض الترف: ٩٠٪ من السكان يعانون من السمنة المفرطة، زاد عدد مرضى القلب وضغط الدم مرتين، وعانى المواطنون من ثاني أعلى معدل لمرض السكر في العالم: ٥٠٪ ممن هم فوق ٥٠ سنة، و ٣٠٪ ممن هم بين ٢٥ و ٥٠ سنة.

وبعد عشرين سنة من الصرف بلا حساب، والتنافس على الإسراف، بدأ دخل الفوسفات يتناقص وأوشكت البيضة الذهبية على الفناء.

واليوم تواجه الجزيرة مستقبلاً موحشاً: دمرت عمليات استخراج الفوسفات أربعة أخماس مساحة الجزيرة، وهلكت الحياة الفطرية، وأسوأ من ذلك لم يعد الأهالي صالحين إلا للأعمال المكتبية: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا﴾ [العنكبوت: ٢٠].

والحق أن الإسراف في الاستهلاك معصية لله يشترك فيها الجميع: العالم والأمي، والكبير والصغير، والذكر والأنثى، والراعي والرعية. وكذلك يشترك الجميع - إلا من رحم الله - في السعي لاستجلاب المصلحة الخاصة على حساب المصلحة العامة، وتحول الإدارات الحكومية إلى مؤسسات للضمان الاجتماعي، وتحول الجامعات ومعاهد التعليم المتخصصة إلى مفارخ لفقس الموظفين الذين يزيد عددهم عن الحاجة، وبالتالي يعوق الأداء الصالح للمسئولية العلمية والعملية.

ومع أن هذا الوصف ينطبق على معظم الجماعات - المجتمعات - غير الصناعية بخاصة؛ فإن الإسراف - الذي لا يحبه الله - ليس من المنكرات في برامج الدعاة إلى دين الله على بصيرة، فضلاً عما عن دونهم من المصلحين، بل إن وسائل

الإعلام الخاصة والعامة - ومن بينها ما يوصف بالإسلامية - تنافس الدول الصناعية المنتجة في الدعاية التجارية إلى الاستهلاك، بل يتفق الصغير والكبير على أن الدعاية التجارية في التلفزيون أقدر على اجتذاب بصر المشاهد وقلبه من بقية البرامج: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾ [آل عمران: ١٤]. مع أن نشاطنا الأكبر ليس في الانتاج بل في استهلاك ما ينتجه من نسميهم: الأعداء.

وللإقلاع عن معصية الله بالإسراف الذي لا يحبه، لابد للمسلم أن يحذر من الانشغال بحفظ كتاب ربه وتجويد تلاوته - فضلاً عن المعاصي والمباحات - عن تدبره وفقهه والعمل به، ليكون مرجعه الأول في كل أمور حياته، في كل زمان ومكان، وفي كل حال. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُبْذِرْ تَبْذِيرًا﴾ (٢٦) إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ﴿[الإسراء: ٢٦، ٢٧]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩].

ونستغفر الله ونتوب إليه فإن أكثرنا أقرب إلى التبذير والإسراف - وبخاصة في المال العام - منا إلى العدل والإحسان، وأوضح دليل على ذلك: أن أحد من اتتمنتهم دولة مسلمة على ثروة البلاد، قام قبل عشرين عاماً على أبرز منابر الإعلام في البلاد يستحث الأمة على زيادة الإنفاق في مقابل زيادة الدخل، ولم يقف صوت واحد في وجه هذا المنكر - شرعاً وعقلاً - بل تسابق الأغلبية من الناس حسب استطاعتهم في الاستجابة لدعوة الشرّ والسفّه والفساد. والأغلبية دائماً في جانب الضلال إلا أن يشاء الله: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾.

وصلّى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته.



آيرلندا تضرب مثلاً

في بداية العقد السابع من القرن العشرين كان اقتصاد آيرلندا يُحتضر، وكان أمام الأيرلنديين في سنّ العمل طريقان: ركوب السفينة إلى إنكلترا، أو ركوب الطائرة إلى أمريكا، حيث يوجد السابقون من المهاجرين الأيرلنديين.

يقول (كفن ولن) مدير جامعة نوتردام - مركز دُبلن: كان الشعور العام أنه لم يبق لآيرلندا إلا أن تُطفئ المصابيح وتُغلق الأبواب ثم الرحيل، فقد توقفت البلاد عن الحركة. وهذا ما كان يحدث تقريباً؛ فقد هاجر أكثر من خمس السكان في العقد الثامن وحده، وتركوا آيرلندا في ركودها الاقتصادي والإضرابات والتضخم؛ بل في هاوية اليأس من الإصلاح.

وبعد مرور عشر سنوات، صارت آيرلندا مركزاً عالمياً للصناعة الخفيفة ذات التقنية العالية، واليوم يقدر معدل نموها الاقتصادي بـ ٢٥, ٧٪؛ أعلى من جميع معدلات النمو الاقتصادي في أوروبا، ومن أسرع معدلات النمو الاقتصادي ارتفاعاً في العالم، وانخفض معدل التضخم إلى ٢٪، وتدنى معدل البطالة إلى أدنى حدّ وصله منذ عشرين سنة، وارتفع مستوى المعيشة في آيرلندا إلى مماثلة إنكلترا جارتها (العظمى) وحاكمتها القديمة، وصارت الثانية في العالم بعد أمريكا في تصدير برامج الكمبيوتر وحدها، واختارتها مئات الشركات الأمريكية مركزاً لها في أوروبا.

وأهم نتيجة إنسانية، ودليل عملي على التحول إلى الأفضل: عودة عشرات الألوف من المهاجرين الأيرلنديين إلى ديارهم وأهلهم حيث يمكن لهم الجمع بين النجاح المادي والروابط العائلية الأيرلندية المشهورة بالمرح وحبّ الحياة والبعد عن

تعقيد التقاليد .

ولكن ، كيف تحولت آيرلندا - في سنوات قليلة - من الركود الاقتصادي إلى النمو ، ومن الفشل إلى النجاح ، ومن هجرة الأموال والأنفس والعقول منها إلى العودة إليها؟

كان وصول آيرلندا إلى هوة الأزمة الاقتصادية التي لا يظهر لها قرار ، نقمة ، ولكن النقمة دائماً تخفي نعمة لا يراها إلا من يبحث عنها ويسعى إليها ويجرؤ على استغلالها رغم العقبات التي جلبت النقمة .

لم يحتج الإصلاح إلى (سوبرمان) ، ولا إلى خبرة أو مهارة مستوردة في الإدارة والاقتصاد ، ولا إلى انتظار معجزة أو كرامة أو خارق عادة ، بل إلى :

- ١- إدراك الرعاة والرعية أن الأزمة وصلت إلى حد لا يجوز إهماله .
- ٢- جرأة الإدارات الحكومية على إحداث التغيير على حساب المصالح الفردية .
- ٣- تحمّل الأمة - على كل مستوى - صعوبات التغيير دون اللجوء إلى جنون المظاهرات والإضرابات باسم الديمقراطية وحرية التعبير .
- ٤- خفض مستوى الإنفاق العام بتخلي الدولة عن التدليل الشعبي في النواحي الجمالية والفنية والرياضية والاجتماعية ونحوها .
- ٥- إلغاء أربعين ألف وظيفة حكومية لا ضرورة لها (عدد السكان ٤ ملايين) ، وإغما وجدت لخدمة الموظف وإعاشته ولو على حساب الأداء الوظيفي .
- ٦- إلغاء البدلات والإضافات على الرواتب .
- ٧- خفض عدد الوزارات وتعويضها بالإدارات والمؤسسات عند الحاجة .

٨- تخلي الدولة عن كل خدمة لا تعم - ولا يضطر إليها - كل أفراد الأمة ، وتركها لنظرية العرض والطلب والاستثمار الخاص .

٩- التركيز في التعليم - بعد العام - على المواد المهنية والتطبيقية - والصناعية بخاصة - أما المواد النظرية فقد وفرتها وسائل الإعلام والاتصالات والنشر بطريقة أكثر جاذبية وبأقل جهد ومال .

وصلّى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته .



رأي في الديمقراطية

أ- معظم النظريات الإدارية والسياسية تبدو صالحة قبل اختبارها بالعمل، ووراءها في غالب الأحوال رغبة في الإصلاح، كما شهد الله لشرّ خلقه بأنهم: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الاعراف: ٣٠]، وأنهم: ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤]. ثم يظهر النقص بالتمحيص والاختبار، قال الله تعالى عن كتابه الكريم: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

ب- ونظرية الديمقراطية - ومعناها: حكم الشعب بالشعب - عندما اختبرت بالعمل أول مرة - في اليونان قبل ٢٥٠٠ سنة - لم تكن غير محاولة فكرية سياسية لإصلاح الولاية لا علاقة لها بعبادة الله الحق، ولا بعبادة أوثان الآلهة المفتراة، ولا بالقضاء بين الناس.

وبلغت الديمقراطية أوجها بتفتيت الإدارة المركزية اليونانية فيما سُمّي: (ولاية المدينة) أو (المدينة الولاية).

وبعد مائة عام من بداية التنفيذ اكتسحتها جيوش الإدارة المركزية المقدونية ثم الرومانية، ولم ينقذها بريق النظرية ولم تحمها نية الإصلاح.

ج- وقامت الديمقراطية - النظرية - على قاعدتين جذابتين:

١- إفتراض وجود حقوق طبيعية أساسية تولد مع الفرد ولا يجوز أن تُسلب منه إلا بالموت: حرية الفكر، وحرية القول، وحرية العمل، وحرية الدين.

ولا يصح أن تؤخذ هذه الحقوق على إطلاقها؛ فلو صح إطلاق هذه الحريات في اليونان الوثنية أو لورثتها من يفصل الدين عن الدولة - جدلاً - لما صلحت لمن

يعبد الله وفق شرعه ؛ فحريته مقيدة بنصوص الشريعة ، ثم بالمصلحة العامة فيما لا نص فيه .

٢- المساواة في الحقوق والواجبات ، وبخاصة في توزيع المال العام .

وهي فكرة خيالية أيضاً - بإطلاقها - مخالفة للفطرة التي فطر الله خلقه عليها : عدم التساوي في الخلق ولا الخلق ولا الرزق ولا العقل ولا الحال ولا المال ؛ قال الله تعالى : ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] ، وفي عهد الديمقراطية المثالية اليونانية - فضلاً عن غيرها - لم تتحقق المساواة ؛ فكان الشعب اليوناني طبقتين : سادة ، وعبداً مسخرين لخدمة السادة ، كما كانت في عهد فراعنة مصر .

د- وكان من خير ما حققته الديمقراطية في الماضي والحاضر وأقربه إلى فطرة الله لخلقه وشرعه لهم : الإقرار بأن المرء بريء حتى تثبت إدانته ، وهو ما يعزّ وجوده اليوم في البلاد المنتمية إلى الإسلام فضلاً عن غيرها ممن يرفض الدين والديمقراطية .

هـ- وجاءت الديمقراطية الحديثة إلى أوروبا في نهاية القرن الثامن عشر (الكريكوري) فكان أبرز رمز في ثورة الشعب الفرنسي : سقوط (الباستيل) وتحرير سبعة من أعتنى المجرمين كانوا هم كل سجنائه . واقترفت دكتاتورية الشعب الثائر أشنع جرائم الاعتداء والقتل والتشريد والتخويف والحقد والظلم في حق كلّ من يتهمه عضو واحد من أعضاء جمعية الأمن الشعبي - الظلم اللاحق - بالتعاون مع المتهمين بالظلم السابق ، دون تحقيق ولا محاكمة عادلة ، ولعل أصدق وأصوب ما روي عن إحدى ضحايا الثورة : (أيتها الحرية ، كم

باسمك تُقترف الآثام).

ثم تلتها الدكتاتورية الشعبية الغوغائية: دكتاتورية (دانتون) و(روبسبير) الفردية، واستمر الظلم وسفك الدماء عامين قبل استقرار النظام الفرنسي والأوروبي في شكله الدستوري الحاضر، المسمى في العربية الدّارجة: علمانياً. و- وكان من أسوأ ما أفرزته الديمقراطية المقلّدة والمقلّدة: الانتخاب العام والحزبية والإضرابات والمظاهرات.

فلم يحقق الانتخاب العام اختيار أفضل الولاة لسبيين:

١- أن القوة تختفي أو تظهر - دائماً - وراء أغلبية الأصوات؛ قوة الحزب أو قوة المال أو قوة الدعاية أو قوة الإرادة والمثابرة.

٢- أن أكثرية الناس - في كل زمان ومكان - هم أقلهم علماً وعقلاً وإيماناً وخلُقاً؛ قال الخالق تعالى عن أكثر خلقه: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣]، ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾، ﴿وَإِنْ تُطِيعْ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ يَصْلُوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [الأنعام: ١١٦]، ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

وقال الله تعالى عن ذرية نوح وإبراهيم عليهما الصلاة والسلام: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [الحديد: ٢٦].

ولهذا كان أقرب طرق اختيار الولاة إلى شرع الله وفطرته: بيعة النخبة من أهل الحلّ والعقد - أهل العلم - وهم القلة في كل زمان ومكان، قال الخالق تعالى عن خلقه: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤]، وعلى هذا اتفق علماء الأمة أن بيعة أهل الحلّ

والعقد لولي الأمر - مهما قل عددهم - ملزمة لبقية الأمة، وعلى هذا تمت البيعة للخلفاء الراشدين المهديين ومن سلك سبيلهم.

وتعدد الأحزاب الدينية والدنيوية مرض يفري جسد الأمة ودينها، ويذهب ريحها ويفرق شملها، لأن كل حزب يفرح بما لديه وبالتالي يمقت ما لدى غيره، قال الله الخالق تعالى وهو أعلم بخلقه: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣].

والإضرابات والمظاهرات وسائل - غير مشروعة ولا معقولة - لفرض رأي أو مصلحة فئة من الناس على حساب الآراء والمصالح العامة لبقية الأمة، ويزيد الأمر سوءاً - في البلاد المقلدة - بالإفساد في الأرض، وإتلاف الممتلكات الخاصة والعامة، وقتل النفس التي حرم الله بغير حق.

ز - وما تقدم يتبين أنه لا علاقة للديمقراطية بعقيدة معينة؛ فاليونان - حيث بدأت - تدين بالوثنية، وأوروبا وأمريكا - حيث توجد الآن - يدين أكثر أهلها بالنصرانية، وليست في البداية ولا في النهاية غير منهاج سياسي، وقد انتمت إليها الاشتراكية أو الشيوعية منهاجاً اقتصادياً وهي لا تدين بدين صحيح ولا باطل.

ح - وأول محاولة لفرض رأي شعبي على ولاة الأمر في تاريخ الإسلام كانت ثورة الخوارج على أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه وأرضاه، بدعوى: عدم المساواة في توزيع الأموال والمناصب العامة، وهو ثالث الخلفاء الراشدين المهديين الأربعة الذين أمر نبي الله - صلى الله وسلم وبارك عليه وعليهم - أمته باتباع سنتهم والعض عليها بالنواجذ، وشهد لهم بالجنة، ومات وهو عنهم راضٍ؛ بل مآزره رسول الله بشهادته له أنه: «رجل تستحي منه الملائكة»، وبين أنه

يموت شهيداً.

ولم يرضخ عثمان رضي الله عنه وأرضاه للغوغائية الشعبية؛ فلم يقبل التنازل عما ولاه الله عليه، وكان ذلك منه اتباعاً لشرع الله وهو أعلم به من جميع الثائرين عليه، وقد ورد في مسند الإمام أحمد رحمه الله أن النبي ﷺ قال لعثمان: «إن الله عسى أن يلبسك قميصاً، فإن أرادك المنافقون على خلعه فلا تفعل».

وباء الثائرون عليه بإثم سفك دمه، وبأوا بمخالفة أمر رسول الله ﷺ ومبايعته الصحابة ألا ينازعوا الأمر أهله [متفق عليه]، وأمره أمته بالسمع والطاعة «وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك» [رواه مسلم]، وأمره أمته بالصلاة وراء أمرائهم برّهم وفاجرهم «إن أحسنوا فلکم ولهم، وإن أساءوا فلکم وعليهم»، وبالصلاة وراءهم نافلة وإن أخرجوا - أو أمانوا - الصلاة عن وقتها [مسلم].

وكانت النتيجة - كالعادة من قبل ومن بعد - إيقاظ الفتنة النائمة، وفتح أبواب من الشرّ والفساد لا تكاد تغلق إلا أن يشاء الله.

وصلّى الله وسلم وبارك على عبد الله ورسوله وخاتم أنبيائه وآله وصحبه وأتباعه.



من يستفيد من التجارة الحرة؟

أجاب عن هذا السؤال كاتب أمريكي لا ينقصه المرح ولا الحكمة المعيشية . اسمه (أورورك) ، وجوابه : يستفيد الجميع . يقول في كتاب عنوانه : (كُلُوا الأغنياء)^(١) : السبب في غنى بقعة من العالم وفقر أخرى ليس الذكاء ؛ فلا يوجد على وجه الأرض أكثر غباوة من (هوليود) أغنى بقاع الأرض ، وفي روسيا التي يعدّ فيها الشطرنج رياضة شعبية يعيش أكثر المواطنين في مستوى الفقر . وليس وفرة الموارد الطبيعية ؛ فإن أفريقيا الفقيرة تملك كنوز الذهب واليورانيوم والنفط ، بينما تعدم هولندا الغنية كل ذلك إضافة إلى أن نصف مساحتها مغطاة بمياه البحر ، [ومثل هولندا ليس لسويسرا نصيب من الموارد الطبيعية ولا خفة الدم ، وأغلب أوروبا كذلك ، ولم تعد لأي منها مستعمرات تحميها الأساطيل] . السبب واضح لو فتح الناس أعينهم عليه : حرية التجارة ، وتعني الإقرار بحق الفرد في امتلاك ثمرة جهده والتصرف فيها بأي شكل يختاره دون تعدّ على حقوق الآخرين .

ولكن أكثر الناس لا يعقلون هذه الحقيقة ، ولا يقنعون ، ولا يعترفون بالحدود الفاصلة بين حقوقهم وحقوق غيرهم ؛ فمنهم من يسرق من المال الخاصّ أو العام ، ومن يغتصب أرض جاره أو يستمتع بمتاعه أو بشيء من حقوقه ، ومنهم من يخون أمانته في وظيفته أو وصايته على اليتيم أو القريب أو الولد أو الزوجة ، ومنهم من يضمر الحقد والحسد لأخيه الغني ويظهر المطالبة بتوزيع الثروة .

وقد رفض الاشتراكيون ودعاة المساواة الاقتصادية مبدأ حرية التجارة بحجة

(١) على نط الإشاعة الكاذبة عن ماري انطوانيت : (كلوا الكيك) عند فقد الخبز .

أنها لا تحقق العدل، وأنها السبب في وجود هوة سحيقة بين الأقلية الغنية وبين الأكثرية الفقيرة، وظنوا أن الطريق الصحيح لردم هذه الهوة أن تؤخذ أموال الأغنياء وتعطى الفقراء. ولكن التجربة أثبتت فشل هذه النظرية في الدول الاشتراكية الأصلية وفي الدول المقلدة لها؛ وكان الناتج في كل حال: اختناق العملية التجارية، وفقد حوافز العمل، بل فقد البضائع من الأسواق، لو تحقق الحلم بامتلاك الأكثرية لأموال الأقلية. وبهذا تتم تأميم الفقر.

المصيبة هي الفقر نفسه وليس الفرق بين غني وفقير، وعكس هذه الحقيقة ولّد مصائب أخرى لا تقل سوءاً: الحقد والحسد والخصام والاقتيال والظلم.

ومع أن هذا الرأي مبني على الفكر واستقراء التاريخ ونتائج الواقع الحاضر، فقد لفت الكاتب الانتباه إلى أن أهم الوصايا العشر في التوراة بعد النهي عن عبادة غير الله: النهي عن السرقة والاعتداء على الملكية الفردية وحسد الآخرين على ما يملكونه والطمع فيه.

والمسلم في غير حاجة إلى تحكيم الفكر أياً كان مصدره أو وصفه، ولا إلى تحكيم نصوص اختلط فيها الوحي والفكر فلا يمكن التمييز فيها بين الظن واليقين، وبين يديه وحي الله في كتابه وسنة رسوله وهو ما تعبده الله به وحده، لا يحياه ولا يهديه غيره، ولا يقبل منه غيره:

(١) ذكر الله فيما حرم على عباده من البشر بعد الشرك بالله وعقوق الوالدين: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكَُمْ وَصَاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (١٥١) وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ﴾، وجاء بعد هذه الآية من سورة الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥١، ١٥٢]، وتكرر الأمر بترتيبه في سورة الإسراء .

(٢) وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٨] .

(٣) ولم يخلق الله عباده من البشر متساوين في خلقهم ولا أخلاقهم ولا أرزاقهم ، في أجسامهم ولا عقولهم ، في تدينهم ولا في دنياهم ، وافتعال المساواة بينهم - في الرزق خاصة - محاولة للخروج عن سنة الله في خلقه مصيرها البوار : قال الله تعالى: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُلْخِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [الزخرف: ٣٢] ، فكثرة المال وترف العيش وزينة الدنيا لا تصلح مقياساً شرعياً ولا عقلياً للخير والفضل والسعادة ؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ لَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ﴾ (٣٣) وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُورًا عَلَيْهَا يُتَكُونُ (٣٤) وَزُخْرَفًا﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥] .

وعلاج الفقر لا يتحقق بنظرية خيالية عن توزيع الثروة ، ولا ضرورة لتحديد الملكية أو تقييدها بغير ما شرع الله ، وإنما يتحقق بسعي الفقير لكسب الرزق الحلال وطلب التوفيق والبركة من الله .

وصلّى الله وسلّم على محمد وآله وصحبه ومُتّبِعِي سُنَّتِهِ .



الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة	٣
الحكم بما أنزل الله فرض عين على كل مسلم	٦
الولاء والبراء الشرعي والحركي (١)	٩
الولاء والبراء الشرعي والحركي (٢)	١٢
الدعوة إلى الله بالموعظة اليقينية لا بالقصص الظني	١٧
الدعوة إلى الله بين اليسر والعسر	٢٤
حكم تعدد الجماعات والأحزاب في الإسلام	٢٨
مناظرة أهل الكتاب	٣٢
الإعجاز العلمي للقرآن	٣٥
المعروف المنكر والمنكر المعروف	٣٩
حقيقة المحبة الشرعية	٤٦
القول على الله بغير علم	٥٢
إنما المساجد لذكر الله وحده	٥٦
الجهاد الوهمي	٥٩
لزوم السنة والجماعة والسمع والطاعة	٦٥
الخلافة في الأرض	٦٩
رأي آخر في خطبة الجمعة	٧٣
زيادات على الشرع	٧٩
شرر التكفير والهجرة والثورة من فكر سيد قطب	٨٢

أسطورة (وامعتصماه)	٨٧
التقرب إلى الله بمعصيته	٩١
أرض شهاب الدين	٩٦
من بيني الحضارة؟ (١)	٩٧
من بيني الحضارة؟ (٢)	١٠٠
المشاحة في الاصطلاح	١٠٣
التراث والآثار	١٠٨
الآثار الدينية والوثنية	١١١
الأقدار خير من التوقعات	١١٦
معذرة! فالحياة حلوة	١٢٠
وارتفاع الحرارة نعمة	١٢٤
نعمة الله بالرخاء أو نقمته	١٢٧
أيرلندا تضرب مثلاً	١٣١
رأي في الديمقراطية	١٣٤
من يستفيد من التجارة الحرة؟	١٣٩

إنما اليقين في الوحي والفقه لا في الفكر الإسلامي

مقالات سعد الحصين

(٢)

جمع وترتيب

رداد بن عبد الله الرداد

ح سعد بن عبد الرحمن الحصين - ١٤٢٥ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الحصين، سعد بن عبد الرحمن

إنما اليقين في الوحي والفقہ لا في الفكر الإسلامي - سعد بن عبد الرحمن الحصين . الرياض، ١٤٢٥ هـ

... ص ؛ ... سم

ردمك : X - ٧٤٣ - ٤٤ - ٩٩٦٠

١- الإسلام - مقالات ومحاضرات أ- العنوان

١٤٢٥/١٧٢٤

ديوي ٢١٠، ٨

رقم الإيداع : ١٤٢٥/١٧٢٤

ردمك : X - ٧٤٣ - ٤٤ - ٩٩٦٠

حفظ حقوق التأليف قانون وضعي، والعلم
بشرع الله لا يجوز تحجيره ولا احتكاره،
ونشره ابتغاء وجه الله عبادة صالحة

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنّ محمداً عبده ورسوله، أما بعد:

فهذا هو القسم الثاني من المقالات، وسيلاحظ القارئ شيئاً من التكرار حين تدعو الحاجة إليه. وقد تكرر ذكر قصّة آدم وحواء في سُورِ عِدَّة، وتكرّرت الآية في السورة الواحدة وفي سُورِ عِدَّة، وتكرّر وصف الجنة والنار والحشر والحساب، وذكر الحياة والموت والدنيا والآخرة، وذكر خلق الله السموات والأرض واستوائه على العرش، وذكر الإيمان والشرك. وكان رسول الله ﷺ يُكرّر القول ليُفهم عنه، ويكرّر الأمر والنهي، ويكرّر الدعاء. ودين الله واحد لا يتغيّر بتغيّر الزمان ولا المكان ولا الحال ولا اللغة، وكذلك الدعوة إلى الله لا تتطوّر ولا تتجدد إلا بالعودة بها إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلّح به أولها.

وهذه المقالات محاولة للعودة بالقضايا المتعلقة بالدين والدعوة إليه إلى منهاج النبوة الموحى به من الله العليم الحكيم الخبير، وبالقضايا المتعلقة بالدنيا إلى العقل والمصلحة بعيداً عن التقليد البيغائي لما تنعّق به وسائل الإعلام

والنشر والإشاعة وهي أهم مصادر التحليلات السياسيّة والفكريّة والحركيّة اليوم.

وهي تركّز على ما أهمل أكثر الدعاة التركيز عليه وهو أهمّ ما أنزل الله به كتبه وأرسل به رسله: نشر التوحيد والسنة والتحذير من الشرك والبدعة، وجمع كلمة المسلمين على ذلك، وتحذيرهم من التفرّق على مناهج البشر مظنة الخطأ والزيف والضلال، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. وهي تركّز على أن تُبنى الدعوة إلى الله وشرعه على اليقين والفقہ في الدين وتجنّب ما تهواه الأنفس من الفكر والظنّ، قال الله تعالى: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾.

الفكر الإسلامي يخالف الوحي والفقّه

إبتلي الإسلام - بعد القرون المفضّلة - بانشغال بعض (المفكرين) في صفوف علمائه بالفكر اليوناني عن تدبّر الوحي والفقّه فيه، ظناً منهم - وبعض الظنّ إثم - أن الغاية تبرّر الوسيلة وأن حُسن النّيّة يُسوِّغ تحكيم الفكر في الدين، وتحكيم الظن في اليقين، وتحكيم الفلسفة الصّوفيّة الوثنية في معرفة الله.

وفي القرن الأخير شمّر (الإسلاميون) عن سواعدهم وعن أقلامهم وعن ألسنتهم وعن أهوائهم وعن إعانات المحسنين لاستغلال ما سمّوه (الفكر الإسلامي) لصالح الحزبيّة أو التّجارة أو السّمعة، بحجة البحث عن بدائل لأنماط الحياة الغربيّة، ولا بديل للضلال إلا الحقّ، ولا للظن إلا اليقين، ولا للفكر إلا الوحي، ولا للعادة إلا العبادة؛ فظهرت المطبوعات والمدارس والبنوك والمستشفيات ونوادي الرّياضة البدنية والفنون الموصوفة كلّها زوراً (بالإسلامية)، وظهر الفكر والفلسفة والاشتراكيّة والديمقراطية الموصوفة كلّها زوراً (بالإسلامية)، وظهر فكر الإعجاز العلمي للقرآن ليصرف الشيطان وأعوانه به المسلمين عن تدبّر كتاب الله وسنّة رسوله كما فقههم السلف الصالح - إلى محاولة بائسة لربط الوحي بالفكر وربط اليقين بالظن ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾. وتحوّلت المواعظ الدينيّة إلى محاضرات مبنية على فنون الفكر والبلاغة والشعر والقصص والأمثال الدّارجة والفكاهة، يجتمع عليها أكثر ممن يجتمع على المواعظ الشرعيّة بالآية والحديث والحكم الشرعي في الاعتقاد

والعبادة والمعاملة، وصار أكثر المسلمين (مثقّفوهم وعوامّهم، لا أقول علماؤهم) يرون البدعة هي السنة، حتى أعلن بعض قادة الفكر المنحرف أن: (تنزيه الوحي عن الفكر خطر عظيم على مستقبل الدّين) وأنّ: (الله تعبّدنا بالظنّ كما تعبّدنا باليقين) وأن (سنة التطوّر توجب إعادة النظر في كتابة التاريخ والسيرة بل في كتابة التفسير وفقه الأحكام الشرعية).

والفكر (الإسلامي) - بلا شك - قابل للتغيّر والتبدّل والتناقض والانحراف والخطأ، لاختلاف آراء المفكرين باختلاف أقدارهم و"كل ابن آدم خطاء"، ولتغيّر نظر المفكر نفسه بين أمسه ويومه وغده، ولكن الوحي الإلهي لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يتناقض ولا يخطئ لأن الخالق العليم الخبير الحكيم أنزله بعلمه، وهو أعلم بخلقه في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو أعلم بما يصلحهم وما يصلح لهم؛ وليس عليهم في الدين إلا الإتياع، أما الابتداع والاختراع في الدّين فهو استدراك على الله وعلى رسوله، ومعصية حرّية ألاّ تُغفر بدون التوبة قبل الموت؛ فهي مثل الشّرك بالله ليس لها من دوافع الغرائز البشريّة ما تُعذر به، وهي - مثله - من معاصي الشّبهات التي هي أكبر من معاصي الشّهوات قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

أ - ومن أحدث الأمثلة على التناقض بين الفكر (الإسلامي) وبين الوحي والفقہ فيه بل وبين الفكر والفكر: إعلان علقته على مفرق الطّريق إحدى المجلات (الإسلامية) في بعض بلاد المسلمين وهو نسخة مكبّرة - على

حساب الصَّدَقَة - لأحد أغلفتها يَأْمُر بمقاطعة بضائع الكفار، مع أن المجلَّة بغلافها وإعلانها مرتبطة بهذه البضائع من كل وجه:

١ - فكرة الإعلان ومواده وأدوات تنفيذه ونقله ونشره، كلها من صنائع وبضائع من تأمر المجلَّة بمقاطعتهم.

٢ - المجلَّة (الإسلامية) نفسها نشأت وترعرعت في بلد ودولة تصفها المجلَّة بالكفر والعلمانية (إنكلترا) وفيها مقرّ المركز الذي يصدرها؛ فهي مَدِينَة لها بوجودها وأمنها واستقرارها واستمرارها.

٣ - وهذه المجلَّة تقوم على فكر (مفكر إسلامي) من بلاد الشام (هاجر) من أرضٍ وصفها الله بالبركة والقداسة ومدحها رسول الله ﷺ، (ولجأ) إلى أوروبا (بديانتها النصرانية وسياستها العلمانية) بحثاً عن الأمن والديمقراطية التي يأمل لفكره الانتشار في ظلّها - إضافة إلى رغد العيشة، مع أنّه ينكر على الحكّام السّفَر إلى الغرب عند الحاجة لبيع منتجات بلادهم وشراء السّلاح وعقد الاتفاقات الدّنيويّة لمصلحة الجميع، وما كانت (هجرته) من بلده الأصلي خلافاً على الدّين بل على السّلطة، وإن تذرّع أمثاله بالاحتجاج على إسقاط فقرة من الدّستور تدّعي أن (الإسلام دين الدولة) وهم يعلمون أن الإسلام لم يكن دين الدولة منذ حُكْم (الخرافة) العثمانية، فيما عدى تهيئة المساجد للصلاة وبعض أحكام الأحوال الشخصية وما زال الأمر في بلاد الشام على ما كان عليه.

ب - والمجلَّة - بهذا الإعلان - تخالف العقل والفكر - وإن وافقت الهوى

والعاطفة - فهي تقوم - من الألف إلى الياء - على الصنائع والبضائع والأفكار والمخترعات والمنتجات والثقافة الغربية: المراجع والمطابع والخدمات ووسائل الاتصالات والمواصلات، بل وثياب القائمين عليها وجميع وسائل حياتهم.

ج - والمجلة - بهذا الإعلان - تخالف شرع الله تعالى في كتابه وفي سنة رسوله ﷺ؛ فقد قال الله تعالى في محكم كتابه: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ ١ إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ٢.

والفرق واضح لمن يفقه بين التولي وبين التعامل بالمعروف. ولا يقبل من المجلة - صاحبة الغلاف والإعلان - ولا من العاملين فيها ولا من وجهيها أن يدعوا أن أوروبا أو أمريكا قاتلتهم في الدين ولا أنها أخرجتهم من ديارهم ولا أنها ظاهرت على إخراجهم، وهم يدعون أنهم فرّوا إليها بدينهم ويُقرّون - عملياً - أنها آوتهم ومنّت عليهم بالرزق والأمن، ومنّت على أكثرهم - ومنهم موجهوا فكرهم - بصفة اللجوء السياسي وجواز السفر أو الجنسية، وما أقرب ذلك من التولي المنهي عنه في آخر الآية الكريمة وفي آيات كثيرة، فهُم بين شِقْيَى رَحَى المعصية.

وقال الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَتَآنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا﴾ ٣. وقال تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ ٤.

وثبت عن النبي ﷺ: أَنَّهُ كَانَ يَتَعَامَلُ مَعَ الْمَشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ وَالنَّصَارَى وَيَقَرُّ التَّعَامُلَ مَعَهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ، وَأَنَّهُ دَخَلَ فِي جَوَارِ أَحَدِهِمْ، وَاتَّخَذَ أَحَدَهُمْ دَلِيلًا لَهُ فِي هَجْرَتِهِ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَاتَّخَذَ أَحَدَهُمْ عَيْنًا (جاسوسًا) لَهُ، وَاسْتَعَارَ أَدْرَعَ أَحَدَهُمْ عَارِيَةً مَضْمُونَةً، وَزَارَعَ الْيَهُودَ (بَعْدَ كُلِّ غَدْرِهِمْ) فِي خَيْبَرَ، وَقَبِلَ الْهَدِيَّةَ مِنْ بَعْضِ الْيَهُودِ وَزَارَهُمْ وَزَارُوهُ وَأَكَلَ مِنْ طَعَامِهِمْ، وَلَبَسَ الْمَلَابِسَ مِنْ صِنَاعَةِ نَصَارَى الرُّومِ وَمَشْرُكِي الْيَمَنِ: "وَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي"، وَأَحَلَّ اللَّهُ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ الْأَكْلَ مِنْ طَعَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالزَّوْجِ مِنْ نِسَائِهِمْ.

وَفَقَّ اللَّهُ الْجَمِيعَ لَتَدَبَّرَ وَحْيَهُ، وَالْفَقْهَ فِي دِينِهِ، وَاتَّبَعَ سُنَّةَ نَبِيِّهِ، وَأَعَاذَهُمْ مِنَ الْهَوَى وَالْفَكْرِ وَالظَّنِّ، وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَمَتَّبِعِي سُنَّتِهِ.

أولى الاعتقاد في الدين والدعوة

استمرارًا لمحاولاتي المتكررة نصيحة الأمين العام للندوة العالمية للشباب بالسعي لإخراجها من براثن الحزبية والحركية التي أسست عليها من أول يوم؛ كتبتُ له هذا الخطاب ردًا على خطابه، مع ظني أنه خير أمثائها:

١ - لقد ظهر لي من أقوالكم الحدّ المحزن الذي بلغه بعض أبناء جزيرة العرب وبعض مؤسسات الدعوة التي تقوم وتموّل في بلاد التوحيد والسنة من جهل بدعوة التوحيد وانحراف عن منهجها النبوي وتأثر بمنهج الحركات الحزبية المبتدعة التي ترفع شعار الإسلام وتغزو جزيرة العرب - فيما ظهر لي منها- تطلب ما من الله به عليها من الدنيا وترفض ما من الله به عليها من الدين والدعوة على منهج سيد المرسلين.

٢ - والواجب محاربة هذه الفرق كلها وإخراجها من كل بلد مسلم، وبخاصة من جزيرة العرب كما يقول الشيخ د/ بكر أبو زيد زاده الله توفيقًا في كتابه (خصائص جزيرة العرب): (والجماعات إن استشرى تعددها في الجزيرة فهو خطر داهم يهدد واقعها ويهدم مستقبلها، ويجعلها مجمع صراع فكري وعقدي وسلوكي) ص ٨٦، ويقول: (فواجب والله تنظيف هذه الجزيرة من تلك المنهج الفكرية المبتدعة والأهواء الضالة وأن تبقى عنوان نصره للكتاب والسنة والسير على هدي سلف الأمة حُرًا للبدع والأهواء المضلة) ص ٨٨، وفي كتابه الفريد: (حكم الانتماء للجماعات والأحزاب الإسلامية) حُكّم

صريح بتحريم تعدد الجماعات والأحزاب الدينيّة وأنها الفرق المخالفة لمنهاج النبوة.

٣ - اعترفتم بأن الندوة منذ نشأتها (لم تعقد مؤتمراً واحداً لتصحيح العقيدة والعبادة)، واعترفتم بأن الندوة منذ نشأتها (لم ترفع راية الإعلان عن التوحيد ومحاربة البدع)، وإدراك الخطأ والاعتراف به أول مراحل الإصلاح لو أنكم رأيتم الباطل باطلاً، ولكنكم للأسف رأيتم الباطل حقاً هداًنا الله وإياكم، وهذا ما جناه الفكر - الموصوف زوراً بالإسلامي - على من استبدله بشريعة الله فاستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير وأضله السراب (مناهج البشر المبتدعة) عن الماء الزلال (مناهج النبوة)، وهذا ما جناه انتقال زمام الدعوة إلى الله من علماء الشرع إلى المثقفين والمفكرين والقصاص من الواعظين والكتاب والحركيين الموصوفين بالإسلاميين.

٤ - قرّرت أن: (من طبيعة عمل الدعوة ألا تُركّز على بعض الموضوعات [الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك] بذكرها بأسمائها، وهذا القرار مخالف لطبيعة عمل الدعوة) في منهج جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم؛ فقد (ركّز كلّ الرسل) على هذه الموضوعات دون استثناء: ﴿يَنْقُومِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، وذكروا هذه الموضوعات بأسمائها: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾، وفهم من أرسلوا إليهم ذلك فقالوا: ﴿أَتَنْهِنَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا﴾ وقالوا: ﴿أَجْعَلِ آلَاهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا﴾ وعدوا ذلك سباً لأهنتهم وتسفيهاً لأحلامهم وتفريقاً لجماعتهم.

٥- قرّرتُم أنّ (أفضل تأثير يأتي بشكل غير مباشر) وحسبتم (أن الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك بطريق غير مباشر قد يكون أنفع في هذا الوقت)، أستغفر الله لي ولكم ولكلّ مسلم موحد، أخشى أن يبلغ مثل هذا الكلام درجة الاستدراك على الله ورسوله والمشاقة لله ولرسوله، فإنّ أصغر طلاب العلم الشرعي يعرف من نصوص الكتاب المحكمة والسنة الصريحة الصحيحة أن الدعوة إلى التوحيد كانت دائماً مباشرة وصريحة ومقدّمة على غيرها، وأن شرع الله فيها أقرب إلى التحديد والحزم وفي بقية أمور الدين أقرب إلى السعة والتيسير، وإن فهم أكثر المسلمين اليوم وعملوا خلاف ذلك.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، وقال النبي ﷺ عن ربه في الحديث القدسي: "يا ابن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم أتيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة"، وقال ﷺ: "حق الله على العباد ألاّ يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله ألاّ يعذب من لا يشرك به شيئاً" [متفق عليه]. ويبيّن الله له الطّريق الصّحيح للدعوة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾.

٦- وبأمر الله (ركّز) النبي ﷺ على الأمر بالتوحيد والسنة والنهي عن الشرك والبدعة وبدأ به كما فعل كل نبيّ قبله بأمر الله، واستمر على ذلك عشرة أعوام قبل أن تُفرض الصلاة، ثمّ ما بعدها من الفرائض، ولم يضعف التركيز عليه بعد ذلك فلقد كان ذلك موضوع آخر خطبته وآخر كلماته قبل الموت بين خيرة المؤمنين من أهل بيته وصحابته رضي الله عنهم، وكانت كلّ خطبته يوم

الجمعة موجهة لبيان أحكام الاعتقاد وشرائع الدين مما لا يكاد يدخل في دائرة اهتمام الندوة.

ولا شك عند كل ذي بصيرة في دين الله والدعوة إليه أن أهم مشكلة تواجه المسلمين في هذا الوقت - ككل وقت - : فساد المعتقد والابتداع في الدين؛ فلا يوجد بلد مسلم خارج هذه البلاد والدولة المباركة إلا وفيه مساجد بنيت على القبور، وطُرُق صوفية ضالّة، وعبادات لم يأذن بها الله، وغير بعيد من مراكز الندوة في الخارج يتعبد كثير من المسلمين بالشرك الأكبر: الذبح للقبر أو للمقبور ودعاؤه، والطواف بالقبر والحلف به أو عنده، والتنافس على أوثان المزارات والمشاهد والمقامات بين المسلمين والنصارى واليهود وغيرهم، وليس الأمر مقصوراً على العوام؛ فقبل عشر سنوات وقف أحد مشايخي^(١) في كلية الشريعة بمكة المباركة (وهو من أشهر الدعاة المنتسبين إلى السنة) يستقبل رئيس طائفة الإسماعيلية البهّرة ويحتفل معه بكسوة قبر الحسين بالذهب والفضة، وقبله بقليل أكّد شيخ الأزهر (الحاصل على الدكتوراه من الأزهر ومن السربون) أنه لم يجرؤ على التأليف عن (البدوي) إلا بعد أن استأذنه فأذن له، وهذه مكاتب الدجالين والعرافين والمشعوذين والسحرة تعجّ بمرضى المسلمين من كل بلد مسلم بلا تكبر.

٧ - قرّرت أن: (المقصود من الدعوة النتيجة) وبنيت على هذه المقدمة الخاطئة نتيجة خاطئة فقلتم: (وإذا كان رفع الشعار [الأمر بالتوحيد والنهي

(١) الشيخ / محمد متولي شعراوي تجاوز الله عنا وعنّه.

عن الشرك] قد ينفر بعض الناس فلا ضرورة لرفعه).

أستغفر الله لي ولكم ولكل مسلم موحد، لا شك أن (رفع شعار التوحيد) في كل رسالة بعثها الله نفر أكثر الناس، والله يعلم ذلك قبل أن يحدث، ولم تختلف سنة الله في بعثة رسله؛ فكان الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك هو (الركيزة) وهو نقطة البداية وهو الأهم في كل حال وكل زمان وكل مكان منذ أن بُعث الرسول حتى يموت.

ولبت نوح عليه السلام ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾، ﴿وَمَاءَ أَمْنٍ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾، "ويأتي النبي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان، ويأتي النبي يوم القيامة وليس معه أحد"، والداعي إلى الله ليس مسئولاً عن (النتيجة) فأمرها بيد الله وحده، إنما يُسأل عن النية وعن المحاولة على منهج النبوة المعصوم من الخطأ، الموحى به من الله، لا على منهج غيره من البشر الخطأين.

ولو كنا مسئولين عن النتيجة فمن الذي أطلع الندوة على الغيب وضمن نتيجة أفضل للمناهج المبتدعة؟ التجربة تثبت فشل هذه المناهج المبتدعة جميعاً؛ ففي حيّ نظام الدين في دلهي الذي يقع فيه مركز (جماعة التبليغ) الأول والأهم لم تتأثر أوثانه منذ ستين سنة بدعوتهم بل زحفت القبور إلى مسجدهم، وهذه أوثان المقامات في مصر لم تتأثر (بجماعة الإخوان المسلمين) منذ ستين سنة أيضاً، بل قام بعض قادتهم^(١) بمجدون خرافات الصوفية ويعظمون

(١) سعيد حوى في (تربيتنا الروحية) وعمر التلمساني في (شهود المحراب) - مثلاً - رحمهم الله .

المقامات والمبتدعات، ولم تتأثر (بحزب الجهاد) في أي بلد، وأوثان فلسطين لم تتأثر بحركة (حزب التحرير) منذ أكثر من بضع وثلاثين سنة.

٨ - قرّرت أن: (الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والتوحيد قد ارتبطت بمناهج فيها كثير من عدم الحكمة وتنفير الناس).
هذه هي التّهمة التي يقذفها كلّ صوفي وكلّ خرافي وكلّ قبوري وكلّ حزبي منحرف عن منهج النبوة في الدين والدعوة لإسكات صوت الدعوة إلى التوحيد والسّنة على منهاج النبوة.

ولو تبصّر الأخ في الدين وفي وطن الدعوة إليه وتخلّص من تأثير الحركات الحزبية المبتدعة لأدرك أن: (الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والتوحيد) هي الحكمة سواء قبلها البشر أو نفروا عنها، وما الحكمة إلا السّنة قال الله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، ولو بحث أخي لم يجد دليلاً على ما يقول إلا الفكر المنحرف لمفكر جاهل بشرع الله، ولو جد أن جميع الرّسل صلوات الله وسلامه عليهم وجميع الدعاة المقتدين بهم - ومن خیرهم الدعاة المجدّدون في بلاد ودولة التوحيد والسنة في جزيرة العرب - ثبتوا على (الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والتوحيد) وقبولوا بالردّ والنفور من قبل أهل الضلال ثم نصرهم الله وخذل غيرهم من دعاة المناهج الحزبية المبتدعة جميعاً.

٩ - كان السلف - ولا يزال متبعوهم - على استعداد للتّخلي عن اسم أيّ من البشر غير محمّد ﷺ، ولا يجوز لي ولا لك ولا لأيّ مسلم الانتماء في الدّين لبشر ولا لمنهج عدا انتمائنا والتزامنا بمنهجه، لأنّه جاءه الوحي من عند

الله وأن الله أمرنا بالافتداء به: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

١٠ - إذا كان المنحرفون عن المنهج الشرعي الوحيد والدائم للدعوة صادقين في استنكارهم (ارتباط الدعوة الصريحة للعقيدة الصحيحة والسنة بمنهج فيها كثير من عدم الحكمة وتنفير الناس) كما ذكرتم؛ فلماذا لا يخلطون مناهجهم المبتدعة (بدعوة صريحة للعقيدة الصحيحة والسنة) تلتزم الحكمة وتتجنب تنفير الناس، ولكن الشيطان أعاذنا الله منه يقدم تهمة (عدم الحكمة وتنفير الناس) تسويعاً لفظياً لترك الدعوة إلى (العقيدة الصحيحة) لأنه يعرف أكثر من بعض أتباعه أنه لا تقبل طاعة ولا ينفع ترك معصية مع فساد الاعتقاد وترك السنة، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ١٠ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾.

١١ - وقوع الندوة بين برائن (حزب الإخوان المسلمين) حقيقة واقعة ومعروفة، ووجود بعض أعضائها (من سوريين ومصريين وباكستانيين وهنود) لم يكن مصادفة كما تظنون ولكنهم زرعوا في معظم المؤسسات الدينية والدينية الحكومية وغير الحكومية في البلاد المباركة وغيرها لجر المنفعة القيادية والمالية والإدارية لصالح الحزب بطريقة سلمية خفية بعد أن فشلت المحاولات العنيفة العلنية. واتفاقكم معي على وجود هؤلاء العاملين الحزبيين في الندوة كافٍ للإنذار بالخطر على مستقبل الدعوة في الجزيرة بخاصة والمراكز الدينية والقيادية فيها بعامة، وأخطر من ذلك أن قيادة الندوة لم تخرج مرة واحدة من أيدي الحزبية، ولو استعرض أخي أسماء من تولوا أمانتها العامة ونيايتها

ورئاسة أقسامها وفروعها لم يجد بينهم من يَسْلَم من الانتماء إلى (حزب الإخوان المسلمين) الذي اغتصب الوصاية غير الشرعية على الندوة من أول يوم.

١٢ - قرّرت أن : (كل الأنشطة الإسلامية المخلصة الموجودة الآن في

الساحة تصبّ في نهر الإسلام) ولست أعرف مقياسكم للإخلاص، فالحكم على القلوب لله وحده، وتحقّق أو ادّعاء الإخلاص وحُسن النية لا يكفي عن صلاح العمل، قال الله تعالى عن شرّ عباده ﴿ إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾.

وقال تعالى عنهم: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴾ ﴿١٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ

فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنََّّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾.

كل (الأنشطة الإسلامية) الحزبيّة تدّعي الإخلاص وتظنّ أنها على الهدى، وهي تصبّ في نهر الإسلام فتلوّثه وتكدر صفاءه، ولا أعرف واحداً منها يصحّ انتماؤه إلى منهج النبوة غير (تجديد الدين والدعوة في جزيرة العرب) التي يجتهد بعض أبنائها اليوم لاستبدال المناهج المبتدعة به، خاب مسعاهم، وهدانا الله وإياهم للحق وثبتنا وإياهم عليه.

ولعل الله أن يزيل هذه الأسماء والشعارات والمناهج وجميع أسباب ومظاهر التفرّق ولعل الله أن يكفينا باسم المسلمين الذي سمّانا به عن الأسماء الخاصّة المبتدعة التي سمّاها الناس وآباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان واستغلّها الشيطان ليختلف المسلمون ويتفرّقوا في الدين من بعدما جاءهم البينات، ولعل الله أن يكفينا بمنهاج النبوة عن مناهج البشر في الدين والدعوة، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعين سنته.

باب الشرك الأكبر

أطلعني بعض الأخوة أثابهم الله على رأيي للأستاذ/ إياد مدني في منتدى جريدة عكاظ عدد ١٣٢٨٣ في ٥ / ١١ / ١٤٢٣ هـ تَضَمَّن ما يلي:

١ - وجوب الاعتراف بمشاركة المرأة (مثلها مثل غيرها): وبما أن (غير المرأة) هو الرجل، وأن الله خلقها ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾، ولتربية أولادها ولتدبير بيتها، وأن الله كوَّنَها تكويناً مختلفاً غير تكوين الرجل لاختلاف وظائفها (المحاطة بالوظيفة المشتركة بينهما: عبادة الله وحده)، وبما أن الله ميَّز هذه الدولة على جميع دول الإسلام والكفر بعد القرون المفضلة بالدعوة إلى شرع الله وتحكيمه وتأسيسها على ذلك من أول يوم؛ فلا يليق بمثله ترديد ما يردده صغار الكتبة تقليداً لغير المسلمين أو للمسلمين ممن لم يميَّزهم الله بالدين ولا بالبلد ولا بالدولة. كيف (تصبح انطلاقتنا أكثر سلاسة) إذا تَرَكَّت المرأة وظيفتها الشرعية والطبيعية وناfst الرجل على وظيفته؟

٢ - والطامة الكبرى: تأكيدُه أن المؤسسة [التي أوْتَمَنَ عليها] (تنادي وتطالب بأن تكون هناك عناية بالمواقع التي يحرص معظم الحجاج والمعتمرين على زيارتها)، وأسَفَه (للنظرة التي تَحْكُمُنَا تجاه الآثار الدينية حتى لا تؤدي العناية بها إلى الشرك والبدع، وتجاه الآثار الوثنية لأنه يجب ألا يُلتَفَتَ إليها). واستشهدَ بفعل المنحرفين من العامة في بلد مجاور: (فليس هناك قبر لصحابي إلاّ وقد أنشئ بجواره مسجد)، وأَتَمَّهم عدداً من المسؤولين في هذه

البلاد والدولة المباركة باعتقاده تأييدهم هذا الاتجاه.

ولقد أسفت لمواطن في دولة التوحيد والسنة ميّزه الله بتعلّم التوحيد والسنة في كل مراحل التعليم العام، وجنبه مظاهر الشرك والبدع والمعاصي، وأعطاه الله من الثقافة ما أهله ليتبوأ منصباً من أهم المناصب التي وُجدت لتطهير بيوت الله من الشرك والبدع للطائفين والعاكفين والركع السجود، ثم هو ينزل إلى مستوى عوامّ الحجاج والمعتمرين والمبتدعة والمُخَرِّفين الذين لم يميّزهم الله بشيء مما ميّزه به.

وكان الواجب على مثله أن يدعوا الناس إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة، لا أن يُسايروهم ويلبّي رغباتهم المخالفة لشرع الله؛ فإن آخر وأهم وصايا الرسول ﷺ: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" [رواه البخاري ومسلم]، وفي رواية أخرى: "قبور أنبيائهم وصالحهم" كرّرها مرّات في الأيام الأخيرة لحياته، قالت عائشة رضي الله عنها: يحذّر مثلها صنعوا [متفق عليه].

والمساجد التي رآها (في عطلة عيد الفطر) هي الأوثان المسماة بالمقامات والمشاهد والمزارات، ولا توجد طائفة ضالّة منذ قوم نوح إلّا وقد بدأ ضلالها واستمرّ بسببها؛ فقد ذكر البخاري في صحيحه تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقول الله تعالى عن قوم نوح: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾. قال: (أولئك أسماء رجال صالحين لما ماتوا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن ابنوا في مجالسهم أنصاباً)، وذكر مثله ابن

جرير وابن كثير في تفسيريهما: وقال رسول الله ﷺ في مرض موته عن النصارى في بنائهم الكنائس على قبور الصالحين: "أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجداً ثم صوّروا تلك الصّور.. أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" [رواه البخاري ومسلم].

أما آثار الجاهلية (الوثنيّة) فإن رسول الله ﷺ نهى أصحابه لما مرّوا بالحجر (مدائن صالح) أن يَدْخُلُوا هذه الآثار وأمثالها إلا باكين خشية أن يصيبهم ما أصابهم في الحديث المتفق على صحته، وأمرهم أن يهريقوا الماء الذي استقوه منها ويلقوا العجين الذي عجنوه من مائها أو يعلفوه الإبل.

وقد هدم وُلَاة أمر هذه الدولة المباركة أعزّهم الله وأعزّ بهم دينه جميع المساجد والقباب التي بناها المبتدعة في عهود الفاطميين والعثمانيين على القبور مرّتين خلال قرنين من الزمان، وبذلك أعزّهم الله وحفظ بهم بلاد الحرمين وما حولها من آثار الشرك والبدع، وحفظهم بذلك من كلّ شرّ ومن كلّ ذي شرّ.

وقبل عشرات السنين أَمَرَتْ دولة التوحيد والسنة حفظ الله بها دينه بترحيل البادية من منطقة آثار (الحجر) وتعويضهم عن مساكنهم بإشراف هيئة كبار العلماء.

وقد ورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنّه قطع شجرة بيعة الرضوان خشية اعتيادها للصلاة عندها، وأنّه نهى عن قصد مكان صلى فيه النبي ﷺ في أحد أسفاره إلا أن تدركهم فيه الصّلاة مثل غيره، وقال: (إنما أهلك من كان قبلكم تتبّعهم آثار أنبيائهم).

والله قد أوجد هذه البلاد وهذه الدولة قدوة صالحة وأقامها من أول يوم بعقد شرعي صريح على إزالة البدع ومظاهر الشرك، ونشر التوحيد والسنة، وقد وَفَّت بفضل الله بهذا العقد استجابة لأمر الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾. وهذا أعظم العقود شأنًا.

وليس في مكة المباركة مكان شرع الله تعظيمه غير بيته الحرام للجميع ومشاعر الحج للحاج، ولم يشرع الله تعالى ولا سنّ رسول الله ﷺ زيارة مكان آخر؛ لا غار حراء ولا غار ثور ولا غيرهما، ولم يشرع الله تعالى ولا سنّ رسول الله ﷺ التّعبّد بزيارة مكان في المدينة النبوية غير مسجده ومسجد قباء للصلاة والذكر وزيارة قبره وقبري صاحبيه، وزيارة قبور أصحابه في البقيع وأُخذ للدعاء لهم، لا مسجد الغمامة ولا مسجد القبلتين ولا المساجد السبعة المزوّرة ولا غيرها.

قد يظنّ كثير من المثقّفين الجاهلين بشرع الله أن الشّرك قد انتهى بوجود المدارس والجامعات، ولكنّ من يهتمّ لهذا الأمر العظيم يدرك أنّ أكثر المنتسبين للإسلام والسنة - فضلًا عن غيرهم - يدعون أصحاب القبور، و: "الدعاء هو العبادة"، وينذرون ويذبحون لهم ويطوفون بقبورهم، أو أنهم لا ينهاون عن ذلك ولا تتمعّر وجوههم لمشاهدته ولو ادّعوا الدّعوة إلى الله والجهاد في سبيله.

وقال رسول الله ﷺ: "لا يذهب الليل والنّهار حتى تُعبّد اللّات والعزى" [رواه مسلم].

وقال ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليّات نساء دوس على ذي الخلصة"، وصدق رسول الله ﷺ لقد حدث هذا بعد القرون الخيرة فهَدَمَتْهُ

دولة التوحيد والسنة مرتين في المرحلة الأولى والحاضرة.
وأرى أن يتّقي الكاتب ربّه فيتوب إليه، وأن يتثبت فلا يتّهم أحداً من
الموحّدين بإقرارهم هذا الباطل وهو أكبر باب للشرك فتحه الشيطان لأتباعه
منذ قوم نوح حتى تقوم الساعة.
وأعرف أن أحد من اتّهمهم الكاتب بمشاركته هذا الإثم يعتزم تأليف
رسالة عن وصايا النبي ﷺ لبيان أهمّ وآخر وصاياه: سدّ ذريعة الشرك
الكبرى؛ بتحريم بناء المساجد على القبور.
وصلّى الله وسلّم على محمد وعلى آله وصحبه ومتّبعي سنته والدعاة إلى
منهاجه في الدين والدعوة.

سدّ ذرائع الشّرك

كتب أحد دُعاة البدعة والتّصوّف في بلاد التّوحيد والسنة (هدانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشدا) يوم الجمعة ١٨/١/١٤٢٤هـ في جريدة المدينة (الرّسالة ص ٥ - المنتدى) يؤيّد الدعوة الشّيطانيّة إلى إحياء ما يسمّى (الآثار الدّينية) أوسع أبواب الشّرك والابتداع والضّلال منذ قوم نوح وحتى تقوم الساعة؛ كما يشهد بذلك ما رواه البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس عن منشأ الوثنيّة في قوم نوح بوحي من الشّيطان (٤٩٢٠) وانظر تفسير ابن جرير وابن كثير لقوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ﴾. وما ورد عن عمر رضي الله عنه من النّهي عن تحرّي الصّلاة في مكان صلّى فيه النبي ﷺ وقوله: (إنما أهلك من كان قبلكم تتبعهم آثار أنبيائهم)، وما ورد عنه من قطعه الشجرة التي بايع الصحابة تحتها رسول الله ﷺ خشبة افتتان الناس بها، وظنّ داعي البدعة والخرافة أن التحذير من تعظيم ما لم يشرع الله تعظيمه (تنطّع ووهم وتكفير بغير حق)، ولعلّه لم يسمع بفقه سدّ الذرائع وحماية حمى التّوحيد.

وقد جمع له بعض طلبة العلم الشرعي (الذين لم يتخلّصوا من إرث أسلافهم، رغم استيطانهم ودراستهم العلوم الشرعيّة في بلد ميّزه الله من قبل ومن بعد بالطّهارة من أسوأ مظاهر الشّرك والبدع؛ المشاهد والمزارات والمقامات والأضرحة وزوايا التّصوّف وبيع الشّيطان) جمعوا له بضعة أحاديث

وآثار يضرب بها الآيات والأحاديث والآثار الصحيحة التي سيقت في التحذير من الغلو والابتداع؛ شأن الجهلة بشرع الله من المثقفين.

ولأنه لا يستطيع مجابهة الحقيقة - بفضل الله - اخترع أهدافاً يحاربها:

أ: (سوء الظنّ بنوايا المسلمين ومقاصدهم)، مع أن الدعوة إلى التمسك بالسنة وتجنب البدعة التي نُشرت في المكان نفسه وأثارت حفيظته بدأت بتقرير (إحسان الظنّ بنية الكتبة - الدّاعين إلى إحياء الآثار الدينيّة والوثنيّة - وإدراك سوء قولهم وعملهم). وليت دعاة البدعة يدركون أنّ حسن النية لا قيمة له إلا بصلاح العمل، أي متابعته لما كان عليه محمد ﷺ وأصحابه، فقد قال الله عن شرّ خلقه: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

ب: (التكفير)، ولم ترد في الدعوة التي انتدبه الشيطان للردّ عليها كلمة التكفير، بل إن كاتبها حذّر كثيراً من فتنة التكفير وطالب بمنع كُتب سيّد قطب - تجاوز الله عنه - وبخاصّة (في ظلال القرآن) و(العدالة الاجتماعية في الإسلام) و(معالم في الطريق) و(معركة الإسلام والرأسمالية) لأسباب من أهمّها: التكفير بغير حق.

وفرقٌ لم يدركه الكاتب بين تكفير المعين وتكفير فعله، وفرقٌ كبير لم يدركه الكاتب بين التكفير وسدّ أبواب الشرك والابتداع وذرائعهما يتبين من نقله نصّين مبتورين عن ابن تيمية وابن عبد الوهاب رحمهما الله عن تكفير الفعل لا الفاعل إلاّ بشروطه ولم يلتفت إلى واقع انتصارهما للسنة وتحذيرهما من الشرك والبدعة وهدمهما مظاهر الشرك، الأوّل في بلاد الشام، والثاني في

جزيرة العرب جزاهما الله خير الجزاء، بل لم يلتفت إلى وصف النبي ﷺ مطالبة بعض أصحابه بذات أنواط أنها مماثلة لمطالبة قوم موسى رسولهم عليه الصلاة والسلام أن يجعل لهم آلهة، وقوله: "بئس الخطيب أنت" لمن قال: (ومن يعصهما فقد غوى) وقوله: "أجعلتني لله ندا"؟ لمن قال: (ما شاء الله وشئت)، ولم يعن ذلك ردّتهم وكُفّرهم المخرج عن الملة.

ج : ردّ قول عمر رضي الله عنه وعمله في سدّ الذريعة بأثرين عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه وثالث عن الإمام أحمد رحمه الله في التبرّك بأثار صحيحة من آثار النبي ﷺ، ولم ينتبه إلى ما يلي:

١ - أن سنة عمر الخليفة الراشد المهدي رضي الله عنه لا تُردّ بقول مَنْ دُونَهُ أو عَمَلَهُ كائناً من كان؛ لأن النبي ﷺ حثّ أُمَّتَهُ على إتباع سنّته وسنّة الخلفاء الراشدين المهديين وعمر رضي الله عنه وعنهم خيرهم بعد أبي بكر: ٢ - أن من صحّ عنه التبرّك بأثر صحيح من آثار النبي ﷺ لم يُحجّه بالبناء عليه أو يجعله مزاراً، وأنه لا يقاس عليه أثر غيره.

٣ - أكثر الآثار التي بُنيت عليها المساجد في مكة المباركة والمدينة النبوية قبل ولاية دولة التوحيد لم تصحّ نسبتها إلى النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم كالمساجد السبعة التي اخترعها المزوّرون في المدينة وموقع المولد الذي اخترعه المزوّرون في مكة؛ ولم يسُنّ رسول الله ﷺ التقرّب إلى الله بزيارتها ولا زيارة غار حراء ولا غار ثور، ولا الصلاة عندها، قولاً ولا فعلاً ولا تقريراً، وما لم يسُنّه الرسول ﷺ فلن يكون ديناً إلى قيام الساعة؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ

اللَّهُ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾.

٣ - ليست المشكلة في الصلاة في موضع ثبت أن النبي ﷺ صلى فيه وحسب - وإنما ما جرّ إليه التّهاون في مقاومة الابتداع من بناء المساجد على الأنصاب المختلفة في أكثر بلاد المسلمين، ومن نذرٍ وذبحٍ ودعاءٍ وطوافٍ واستغاثةٍ عند القبور، وغير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصحّ إلا لله عزّ وجلّ بما سنّه رسوله ﷺ.

ومع أن ابن تيمية وابن عبد الوهاب رحمهما الله وغيرهما ورّدَ عنهما ما أورده الكاتب من رأي مبتور في عدم تكفير المعين؛ فقد بيّنّا بما لا يقبل الجدل - قولاً وعملاً - أن من قال أو فعل كُفراً وأصرّ عليه بعد بيان الحقّ له كفّر. ودعا كلّ منهما في زمنه إلى إزالة ما بناه المبتدعة - بوحى من الشيطان في زمن الفاطميين والعثمانيين ومن بينهما - من الأنصاب والقباب والمساجد على ما ادّعوا أنّه من آثار الأنبياء والصّالحين، بل وشارك كل منهما وبخاصة الثاني في إزالة ما قدّر عليه.

٤ - مما احتجّ به داعي البدعة - في غير موضعه الصّحيح - حديث مسلم: "إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلّون في جزيرة العرب" وهو أقرب ما احتجّ به إلى موضع النقاش على بُعده عنه؛ فيأُسّ الشيطان من ذلك دليل على عدم علمه بالغيب مما يحدث بعد انتهاء عصر النبوة وصفوة فقهاء الأئمة في القرون المفضّلة، وقد أوّله الأئمة الأوّل تأويلاً صحيحاً حتى لا يبدو

مناقضاً لقول النبي ﷺ في أحاديث صحيحة أخرى مثل حديث الصحيحين: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة"، وقد عاد ذو الخلصة واضطربت عليه أليات نساء دوس منذ الفاطميين ومن نهج نهجهم، ولم يُهْدَم حتى بعث الله دولة التوحيد والسنة تُجَدِّد الدين بالعودة به إلى أصله؛ فُهْدِمَ في عهد الإمام عبد العزيز بن محمد في بداية القرن الثالث عشر، ثم قام بعد زوال دولة آل سعود الأولى، فُهْدِمَ قبيل منتصف القرن الرابع عشر الهجري في عهد الملك عبد العزيز رحمهم الله جميعاً وهْدَمَ آل سعود من أمثاله ما لا يحصيه إلا الله، جزاهم الله عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء.

هـ - لعل الكاتب يرى من (الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة)، وَصَفَهُ المدافعين عن التوحيد والسنة (بالإرجاف والتنطع وادعاء الغيرة على الدين) والله الموفق.

تعدد الجماعات الدينية خروج عن الجماعة

قرأت مقالاً عن الجماعات الإسلامية في مجلة الفرقان الكويتية العدد الخامس شوال ١٤٠٩هـ بتوقيع عبد الرحمن عبد الخالق ما ظننت أن قلمه يتحمّل وِزَرَ تسطيره؛ فقد كان هجوماً شرساً على خيرة مشايخه من علمائنا ودعاتنا على بصيرة بسبب مخالفته لهم في الحكم على الانعزال عن جماعة المسلمين بيعة خاصة ملزمة أو أمير خاص مطاع أو منهج خاص؛ وصَفَهُم (بالعمى وبِقَصْر النظر وبالجهل بالسنة، وبالفتوى الباطلة والقول الجزاف)، وبأنهم (أوهموا الناس أن الرسول ﷺ لم يُجابه باطلاً ولا أقدم على خطر، ولا أسس أمة ولا جماعة، وأنه حرّم كل تنظيم وترتيب ودعا الناس ألا يتدبّروا أمراً، وأنّ كلاً منهم يجب أن يكون أمةً وحده لا يلتزم بجماعة ولا يطيع رأياً غيره، وأن يعيش مع أئمة الفسق والجور على ما يشاؤون ويطيعهم في الطاعة والمعصية) الخ.

ولعل هذا الكلام أُلقيَ في خطاب حماسي انفعالي ارتجالي لم ينل حظّه من جانب طالب العلم الداعي إلى الله على بصيرة في شخصية الشيخ/ عبد الرحمن عبد الخالق وإنما هو نزغٌ من ماضيه في الحزبية المبتدعة، وصدق الله تعالى ﴿وَلَوْ كَانِ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾، فكتبت له بما يلي:

١ - يصعب أن يُصدّق القارئ أن الكاتب كان يقصد الشيخ عبد العزيز ابن باز، وعبد الرزاق عفيفي، وعبد الله بن غديان، وعبد الله بن حسن بن

قعود، من هيئة كبار العلماء في المملكة المباركة في فتواهم رقم: ١٦٧٤ في ١٣٩٧/١٠/٧ بعدم جواز تعدد الجماعات والأحزاب باسم الدين وفيها ما يلي: (لا يجوز أن يتفرق المسلمون في دينهم شيعةً وأحزاباً.. فإن هذا التفرق مما نهى الله عنه وذم من أحدثه أو تابع أهله، وتوعد فاعليه بالعذاب العظيم.. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾. أما إن كان وليُّ أمر المسلمين هو الذي نظمهم ووَزَّع بينهم أعمال الحياة الدينية والدنيوية فهذا مشروع).

وفي فتوى للشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (جـ ٥ ص ٢٠٢ - ٢٠٤) تأكيد لهذه الفتوى، قال: (مما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في البلد المسلم مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً). وفي فتوى للشيخ محمد بن عثيمين: (ليس في الكتاب ولا في السنة ما يبيح تعدد الجماعات والأحزاب [الدينية]... ولا شك أن تعدد هذه الأحزاب ينافي ما أمر الله به)، الصَّحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، إعداد علي أبولوز ص ١٥٤.

وفي فتوى للشيخ د. صالح الفوزان (التفرق [إلى جماعات وأحزاب دينية] ليس من الدين لأن الدين أمرنا بأن نكون جماعة واحدة وأمة واحدة على عقيدة التوحيد وعلى متابعة الرسول ﷺ) مراجعات في فقه الواقع السياسي والفكري، إعداد د. عبد الله الرفاعي ص ٤٤ - ٤٥.

وفي فتوى للشيخ ناصر الدين الألباني: (التحزب والتكتل في جماعات

مختلفة المناهج والأساليب ليس من الإسلام في شيء) فتاوى الألباني، جمع عكاشة الطيبي ص ١٠٦.

وكل كتاب الشيخ د. بكر أبو زيد: (حكم الانتماء للجماعات والأحزاب الإسلامية) تحذير من هذا التعدد.

٢ - أخطأ الكاتب تجاوز الله عنا وعنه في خلطه بين الجمعيات الخاصة التي تُنشأ لغرض خاص (مثل بناء المساجد وحفر الآبار وطباعة الكتب وتوزيعها وجمع وتوزيع الطعام والكساء والمال لسد حاجات ذوي الحاجات)، وبين الجماعات والأحزاب المتعددة التي يَفْرَحُ كلُّ منها بما لديه، ويدّعي أنه الأفضل والأكمل، ويسعى إلى غلبة منهجه وكثرة عدده وسلطة قيادته، ويربط الناس بطاعة أميره في المنشط والمكره.

٣ - أخطأ الكاتب عفا الله عنا وعنه في ظنه أن ما يسمّيه (الصّحوة الإسلامية والبعث الجديد أثر من آثار الجماعات [والأحزاب] الإسلامية). وما أبعد هذا الظن من الحقيقة والواقع؛ فالحق أن يقظة الجماعات والأحزاب من سباتها وتزايد عددها في العقدين الأخيرين إنما هو أثر من آثار (الصّحوة الدينيّة) لا العكس.

ولعله لا يعلم أن ما سُمّي بالصّحوة الإسلامية جزء من تحرّك ديني عام سبق إليه الوثنيون من الهندوس بفلسفاتهم وتصوّفهم؛ فتلقّفه المترفون في أمريكا وأوروبا، ثم تلقّفه النصارى بنشر ما سُمّي بالولادة من جديد، ثم تلقّفه الجماعات والأحزاب المنتمية للإسلام كعادتها في التنافس على ما يجذب

الناس إليها ويكثر سوادها.

فُسِّر ذلك في البلاد العربية بهزيمة عام ٦٧ وفشل المنحى الاشتراكي القومي، وفُسِّر في غيرها بفشل الرخاء المادي في إشباع تطلّع البشر إلى السعادة، وادّعت كل جماعة أو فرقة مبتدعة بأنها السبب الأول والأخير، والحقيقة أن الأمر كله لله ومنه بلا سبب ظاهر؛ قد يكون مرحلة تمهيدية لأمر يريدّه الله بهذا العالم، وهو على كل حال فتنة وابتلاء من الله لخير جماعة المسلمين الموحّدين وشر الفرق والجماعات والأحزاب الخارجة عنها.

٤ - ولم يأمر أحد من علمائنا ودعاتنا على بصيرة (بالطاعة في المعصية) ولم يَنْه أحد منهم عن (بناء المساجد والإغاثة وطبع الكتب وتوزيعها) كما ادّعيتهم، بل هم السابقون إليه، ولكنهم ينهون عن الانعزال عن جماعة المسلمين باسم أو مركز أو بيعة أو أمير، أو منهج للعبادة أو الدعوة لم يأذن به الله، وهذا هو القاسم المشترك بين الجماعات والأحزاب والفرق الإسلامية في أغلب الأحوال، وبمثل هذا تَفَرَّق المسلمون شيعاً وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعاً لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، وكل فرد مُنْتَمٍ إلى جماعة أو حزب أو فرقة أو طائفة خاصّة فهو شِيعَةٌ لمؤسّسها أو قادتها أو منهاجها المبتدع.

٨ - وهذه البلاد المباركة تميّزت على جميع بلاد المسلمين - منذ نهاية القرون المفضلة - بتأسيسها من أوّل يوم على التعاون بين العلماء والأمراء على الدعوة إلى التوحيد والسنة ومحاربة الشرك والبدعة ونشر العلم وتشجيع الدعوة على منهاج النبوة المعصومة.

٩ - وقد (أقرّ النبي ﷺ اسم الأوس والخزرج والمهاجرين والأنصار) كما ذكرتم: (وكانت لهم راياتهم في الجهاد) تحت إمرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو نائبه، ولكن هل تصح المقارنة بين الاسم الأصلي المتَّبَع والاسم المبتدع الانعزالي، وبين الراية المنتمية إلى راية الجماعة والراية المنعزلة عنها محاولة الظهور عليها وانتزاع سلطتها؟

١٠ - ولا يَصِحُّ الاستدلال ولا المقارنة بين (تعدّد العلماء وتعدّد الجماعات) كما فعلتم؛ فشرع الله يأمر بالأوّل وينهى عن الثاني.

١١ - وإذا كان أخي الشيخ / عبد الرحمن - الذي كنت أعرفه والله الحمد والمثّة بالعلم والعمل، وبظاهر تَرْكِهِ الحزبية - هو الذي كتب هذا المقال فعلاً، فلا شكّ أن السبب نزغ من الشيطان فليستعذ بالله منه ولْيُعِد النظر فيما كتب.

١٢ - ولكني لا أزال أرجو الله أن يكون الكاتب حَزْبِيّاً أعماه التّعصب والجهل فَهَبَطَ إلى حضيض التعدي على خيرة علماء المسلمين ووصفهم بالعمى والجهل والتعصب والحرص الكاذب على الدين، والافتراء عليهم - في محاولة للصعود على أكتافهم - بأنهم (حرّموا ما أوجبه الله وألزم به عباده من التّواصي بالحقّ والصّبر والتّعاون على البرّ والتّقوى والاعتصام بحبل الله ودينه).

وعلى أيّ حال فإنّي أختم بالدعاء أن يعفو الله عنا وعن الكاتب ويهدينا ويهديه لأقرب من هذا رشداً، وصلى الله وسلم على محمد وآله ومتبعي سنته.

داء الشقاق من القدر الكوني

كتبت لبعض دعاة التوحيد والسنة بعد ظهور الشقاق بينهم ما يلي:
الحمد لله الذي اصطفانا للثبات على منهاج النبوة في الدين والدعوة الذي ارتضاه الله تعالى أساساً لوحدة هذه الأمة على التوحيد والسنة، وجنبنا الانتفاء للأسماء والمناهج والشعارات المحدثّة التي زينها الشيطان للأكثرين (الأقلين) من الدعاة سبباً للتفرق في الدين، ومعصيةً لأمر الله بالاعتصام بحبله جميعاً ونهيه عن التفرق والاختلاف في دينه.

ورأيي فيما حدث من خلاف بين المتممين لمنهاج السلف الصالح وعلاجه يتلخص فيما يلي:

أ - "كل ابن آدم خطاء" والكمال لله وحده، والعصمة من الخطأ (في أداء شعائر الله أو تبليغها) لرسول الله وحدهم.

ويزيد عدد الأخطاء الظاهرة من قول ابن آدم وعمله بزيادة نشاطه وإنتاجه وكثرة قوله وعمله، وعلم ما خفي لله وحده.

ب - وتأتي المبالغة في تكثير الأخطاء ونشرها بسبب الجهل أو الحسد أو العناد، أو القناعة من العلم والعمل بحبّ الجدل: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾.

ج - والشقاق والمنازعة من قدر الله الكوني على عباده، لا يحبه الله ولا يرضاه لهم بشرعه. ولم يُعطَ رسول الله ﷺ سُؤله ألا يجعل بأس هذه الأمة بينهم إلا ما شاء الله: "ولكن في التحريش بينهم". وانشقت فرق وثنية عن فرق وثنية كالبوذية عن الهندوسية وافترق المسلمون إلى سنة وشيعة ومتصوفة، وافترق كل من هذه الفرق إلى فرق كما افترق النصارى واليهود قبلهم من

بعدها جاءتهم البيّنات بغياً بينهم.

د - ولا تعجب لاختلاف أهل الأهواء؛ فالوحي وحده يؤخذ لأنه اليقين من ربّ العالمين، والفكر يُفرّق لتعدد مصادره: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ولأنّه الظن: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾، ومنهاج النبوة من الوحي يجتمع عليه كلّ مسلم، ومنهاج الفكر الموصوف بالإسلامي تُفرّق المسلمين إلى فرقٍ وأحزابٍ بعددها.

هـ - ولكن العجب من اختلاف أهل الحديث مع وحدة منهجهم ووحدة مرجعهم: كتاب الله وسنة رسوله وفقه الأئمة الأول في نصوصهما. ولا شكّ أنّه نزغٌ من الشيطان ليصدّ عن الصراط المستقيم، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

و - وكان الخطب أهون عندما تصدّى القاعدون من مختلف الفرق للقائمين على الدّعوة إلى منهاج النبوة حسداً من عند أنفسهم، وكرهيةً لفضل الله عليهم وتمييزه لهم، أو جهلاً وتلبساً وتسويلاً من الشيطان ومن الأنفس الأمّارة بالسوء الحاكمة بالهوى.

ز - ولكنّ العدوى انتقلت إلى بعض الدّعاة إلى الله على بصيرة فانشغلوا عن هذه الوظيفة العظيمة التي يصطفى لها الله خير خلقه بثلب إخوانهم في الدين والدّعوة والمنهاج، وتصدّ أخطائهم ونشرها، وجرّهم إلى الانشغال عن الدّعوة بالردّ عليهم وتبرئة (أو تزكية) أنفسهم.

ح - ولا أرى علاجاً ناجعاً لهذا المرض العضال غير:

١ - تدبّر المعتدي وعمله بقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ

وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيٍ مَا أَكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾، وقوله تعالى:

﴿وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾.

٢ - تَدَبُّرُ الْمُعْتَدِي عَلَيْهِ وَعَمَلُهُ بِقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلِإِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ ۖ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾ ١٦١ ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾.

٣ - نَبَذُ الْإِتِّمَاءِ (وَشَدُّ الْوَسْطِ فِي لَفْظِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ) لِبَشَرٍ غَيْرِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَلَا لِمَجْمَاعَةٍ غَيْرِ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا لِحِزْبٍ غَيْرِ حِزْبِ اللَّهِ الْمَفْلُحِينَ، وَلَا لِمَنْهَاجٍ غَيْرِ الْوَحْيِ وَالْفَقْهِ فِيهِ.

٤ - النَّصِيحَةُ (لَا الْفَضِيحَةُ) لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ، وَالدَّعْوَةُ لِدِينِ اللَّهِ الْحَقِّ عَلَى مَنْهَاجِ النَّبَوَّةِ بِالْحِكْمَةِ (وَهِيَ الْوَحْيُ) وَالْمَوْعِظَةُ الْحَسَنَةُ وَالْمُجَادَلَةُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ.

٥ - الْمَوَالَاةُ فِي صِحَّةِ الْإِعْتِقَادِ وَالِاتِّبَاعِ، وَالْمُعَادَاةُ فِي فَسَادِ الْإِعْتِقَادِ وَالِابْتِدَاعِ، وَمُعَامَلَةُ النَّاسِ (وَبِخَاصَّةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ) بِمَا نَحَبُّ أَنْ يُعَامِلُونَا بِهِ لَا بِمِثْلِ مَا يُعَامِلُونَا بِهِ: "وَأَخِيرُهُمَا الْبَادِي بِالسَّلَامِ"، وَمِنْ شُكْرِ الْعَبْدِ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ بِالْإِيمَانِ وَالِاتِّبَاعِ وَالْعِلْمِ وَحَسَنِ الْخُلُقِ أَنْ يَحْرِصَ عَلَى الْإِحْتِفَافِ بِهَذِهِ النِّعَمِ وَالتَّعَامُلِ بِهَا مَعَ الْجَمِيعِ، وَأَلَّا يَتَنَازَلَ عَنْ شَيْءٍ مِنْهَا فِي مُوَاجَهَةِ مَنْ حُرِّمَ بَعْضُهَا أَوْ كُلُّهَا.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ وَبَارَكَ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ.

رأس الدعوة إلى الفتنة

أ - في رمضان الماضي صرّح وزير الداخلية لجريدة السياسة الكويتية: (بأن مشكلاتنا كلّها جاءت من [حزب] الإخوان المسلمين، بعد أن لجأوا إلى المملكة فاستضافتهم وحمّتهم وأوجدت لهم سبل العمل، ولكنهم أخذوا يجنّدون النَّاس وينشؤون التّيارات ويُسيّئون إلى المملكة، والله تعالى يقول: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ﴾، بل سبّبوا المشاكل في كل عالمنا العربي والإسلامي).

وفي تصريح لاحق (للجريدة نفسها) أكّد سمّوه أن تاريخ الإخوان المسلمين يدلّ على أنّ (قصدهم القفز إلى الحكم وليس الدعوة إلى شرع الله وخير الإسلام والمسلمين).

ب - وهذه الدعوى يُؤيّدُها أن من أهمّ أهداف الحزب المُعلّنة: (استخلاص الحُكْم من أي حكومة لا تنفّذ أمر الله، بعد أن تنتشر مبادئ الإخوان وتسود، وبعد أن تتوفّر أسباب القوة: الإيمان ثم الوحدة ثم السّلاح) مجموعة رسائل حسن البنا، طبع المؤسسة الإسلامية ص ١٦٩.

وكّل الحكومات عند قاداته لا تنفّذ أمر الله: (إنه ليست على وجه الأرض اليوم دولة مسلمة ولا مجتمع مسلم قاعدة التّعامل فيه هي شريعة الله) في ظلال القرآن لسيد قطب ص ٢١٢٢ طبع دار الشروق.

وبخاصّة في سياسة الحُكْم فقد حكم عليها سيّد قطب بأنها (خرجت

نهائياً من دائرة الإسلام منذ عهد المنصور العباسي؛ بسبب الثراء الذي بدأ بداية صغيرة في عهد عمر وفشا فُشُوًا ذريعاً في عهد عثمان) العدالة الاجتماعية في الإسلام ص ١٦٨ - ١٧٥ طبع دار الشروق.

ويؤيد الدعوى بأن هذا الحزب (يهدف إلى القفز إلى الحكم لا إلى الدعوة إلى شرع الله): مسارعة الحزب إلى تأييد ثورة الخميني، ثم تأييد احتلال حزب البعث العراقي (وطاغوته) الكويت، لعله يُعطى جائزته.

ج - والحزب بلا شك لا يدعو إلى شرع الله بدليل:

١ - تعريف حسن البنّا الحركة بأنها: (دعوة سلفية وطريقة سنية وحقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية ورابطة علمية ثقافية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية) مجموعة رسائله ص ١٥٦ - ١٥٧؛ المهم: اجتذاب الجميع لاستخلاص الحكم من أيدي ولاته إلى أيدي القائمين على الحزب.

٢ - مناقضة فكر مؤسس الحزب، شرع الله مناقضة صريحة لما ثبت في الصحيحين عن عدد ونوع الموبقات:

فهي في فكر حسن البنّا: (الاستعمار، الخلافات السياسية والشخصية والمذهبية، الربا، الشركات الأجنبية، التقليد الغربي، القوانين الوضعية، الإلحاد والفوضى الفكرية، الشهوات والإباحية، فساد الخلق وإهمال الفضائل النفسانية، ضعف القيادة وفقدان المناهج العلمية) مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٩٥ - ٢٩٦.

وهي في الوحي من حديث من لا ينطق عن الفكر والهوى ﷺ: "الشرك

بالله، والسَّحَر؛ وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات" [متفق عليه]؛ فلم يوافق الفكر الوحي إلا في الربا.

٣ - مناقضة فكر الحزب شرع الله مناقضة صريحة لمحكم آيات الله عن عدد ونوع أهم وصايا الخالق للمخلوق:

فهي وصايا عشر في فكر حسن البنّا: تجاوز الله عنا وعنه (قُم إلى الصلاة متى سمعت النداء، أتل القرآن أو طالع أو استمع أو اذكر الله، اجتهد أن تتكلّم العربيّة الفصحى فإن ذلك من تعاليم الإسلام، لا تكثر الجدل في أيّ شأن، لا تكثر الضحك، لا تمزح، لا ترفع صوتك أكثر مما يحتاج إليه السّامع، تجنّب غيبة الأشخاص وتجريح الهيئات، تعرّف إلى من تلقاه من إخوانك، الواجبات أكثر من الأوقات فعاون غيرك على الانتفاع بوقته، وإن كانت لك مهمّة فأوجز في قضائها).

وهي في وحي الله من كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه: ﴿أَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ۚ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِمَّنْ إِلَيْكُمْ ۚ﴾، ﴿وَلَا تَقْرُبُوا أَلْفَوْاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۚ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۚ﴾، ﴿وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ ۚ وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ ۚ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدُوا ۚ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۚ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ۚ﴾، وختمها الله تعالى بالأمر باتّباع شريعة الوحي والنهي عن اتّباع سُبُل الفكر والهوى؛ فهي سبب التّفرق والضلال، فقال في سورة

الأنعام: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وقال في سورة الإسراء بعد ذكر هذه الوصايا نفسها: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.

٤- ومع أن حسن البناء نقل عدد الوصايا من رواية اليهود عن التوراة (المحرّفة) فإن الرواية اليهودية كانت أقرب إلى شرع الله من فكره؛ فقد بدأت بتحريم عبادة غير الله، وثنت بتحريم صنّع التماثيل والسجود لها، وبيّنت تحريم الزنى وتحريم السرقة وتحريم القتل، وأمرت ببرّ الوالدين، وهذه ست موافقة لشرع الله لم يوفق البناء رحمه الله لأيّ منها.

٤- مناقضة فكر الحزب شرع الله في كل رسالاته (ومع كل رسله) بإهماله دائماً نشر توحيد العبادة لله وحده والسنة ومحاربة الشرك الأكبر بالمقامات والمزارات والمشاهد وما دونه من البدع، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهُهُ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

د- وقد بدأت مرحلة العنف الإخواني في مناهضة السلطة الحاكمة باغتيال رئيس وزراء مصر مقابل اغتيال حسن البناء، ثم جاء سيّد قطب تجاوز الله عنه ليقود العنف الفكري والعملي:

١ - ظنّ أن وراثة الحكم (طعنة في قلب الإسلام ونظامه واتجاهه) ص ١٥٥ معركة الإسلام والرأسمالية طبع دار الشروق، مع أن سليمان ورث

المُلك من أبيه داود عليهما السلام، وورث يزيد (التابعي) المُلك من أبيه معاوية (الصّحابي، كاتب الوحي، المحدث، الفقيه، الفاتح العظيم)، وأن أبا بكر عَهد بالمُلك من بعده لعمر رضي الله عنهما، وتكرّر العهد بالملك ووراثة الحكم في القرون المفضّلة، وكان من خير نتائجه: عمر بن عبدالعزيز رحمه الله.

٢ - وظنّ سيّد أنّ تغيير نظام الحكم هو طريق الإصلاح فحرّض الشعب على الثورة: (الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بيدها.. إن أحداً لن يقدّم لهذه الجماهير عوناً إلاّ أنفسهم، فعليها أن تُعنى بأمرها ولا تتطلّع إلى معونة أخرى) المعركة ص ١١٣.

٣ - وسنّ للثورة طريق الاشتراكية المخالفة لشرع الله: (للدولة أن تنتزع الملكيّات والثروات جميعاً وتعيد توزيعها على أساس جديد ولو كانت هذه الملكيّات قد قامت على أسسٍ شرعية ونمّت بوسائل شرعيّة) المعركة ص ٤٤. و(أباح للدولة أن تأخذ نسبة من الرّبح أو من رأس المال) المعركة ص ١٢٣. وكان لسيّد ما تمّنّى من تغيير نظام الحكم ونزع الملكيّات وتأميم الثروات وتوزيع الأراضي الزراعيّة الخاصّة على من لا يملكها، ولم يتحقق الإصلاح بل تمّ تأميم الفقر والظلم.

وبعد أن (قرّبه قادة الثورة وعمل معهم ١٢ ساعة يومياً في بداية الثورة، وجعلوه موضع ثقتهم ورشّحوه لمناصب هامّة وتشاوروا معه في مثل: مسائل العمّال، والحركات الشيوعيّة التخريبيّة بينهم، وفترة الانتقال، والدستور، واستغرق في العمل معهم حتى فبراير ١٩٥٣م؛ بدأ الخلاف بينهم [إدارياً لا

شرعيًا] حول هيئة التحرير، ثم انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين، وانتهى الأمر بسجنه ومحاكمته وشنقه لاعترافه بالتآمر لقتل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وثلاثة من كبار المسؤولين وتفجير محطة الكهرباء ونسف بعض الجسور دفاعًا عن الحزب وأعضائه) كما يقول في مذكرة التحقيق التي نشرها أنصاره في العدد الثاني وما بعده من جريدة (المسلمون) وطبعها أنصاره في الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ضمن سلسلة كتاب الشرق الأوسط بعنوان: (لماذا أعدموني) ص ٥٠ - ٦١، وليس السبب ما أشاعه الحزب عن مطالبته بالحكم بما أنزل الله، فهو الذي قاد الثورة للاشتراكية.

هـ- ونتيجة لفكر سيد قطب المكفر لجميع الأمة بالكبائر بل الصغائر بل المباحات، وتحريضه أتباعه على اعتزال الناس وهجر مساجدهم والانعزال في بيوتهم وفكرهم واعتقاد أنهم وحدهم على الحق وأن غيرهم مرتدون جاهليون. (أنظر فكر سيد قطب بين رأيين طبع ونشر مكتبة السنة في الخبر عام ١٤٢٢هـ)؛ بدأت الحركة الأم تفقد أبناءها الذين ضاقوا بنفسيها الطويل فانعزلوا تحت عناوين جديدة: (التحرير، التكفير والهجرة، الجهاد، السرورين، القطبيين).
و - أما الفتنة الحاضرة فهي نتيجة لهذا كله، وأساسها: (المناجزة لا المصابرة).

وقد نشرت جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٧٩٧ بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٢هـ اعترافًا صريحًا من أكبر قادة ومفكري الفتنة الحاضرة (أيمن الظواهري) بأن فكر سيد قطب هو محرك الفتنة وبخاصة في كتابه الديناميت

(معالم في الطريق) وكتابه (العدالة الاجتماعية في الإسلام)، وهذا حقٌ ينقصه ذكر كتابه: (في ظلال القرآن) وكتابه: (معركة الإسلام والرأسمالية)، وكانت هذه المملكة المباركة السوق الأولى والأهم لكتب سيد قطب يقوم على نشرها أخوه محمد قطب (المقيم في مكة المباركة) مطبوعة في دار الشروق في مصر ولبنان.

ز - وبعد أن كانت كتب سيد (وبخاصة في الظلال) تُطبع وتوزع من قبل بعض المؤسسات الحكومية وتدرس في بعض معاهد التعليم (ومنها: معهد الأئمة والدعاة التابع للرابطة في مكة)، وتوضع في مكتبات المدارس والمساجد، بل تذايع مقتطفات منها في الإذاعة (ذكر سيد ذلك في مذكرته للمحققين ص ٧٧)؛ بدأ يظهر خطر ذلك واتخذت بعض الإجراءات التي قد تتلافى بعض هذا الخطر، ولكن فكر سيد ولو لم يُنسب إليه يُسيطر على أكثر الخطباء والمعلمين والدعاة وعلى بعض الصحفيين والمثقفين والمفكرين والعاملين في الإذاعة والتلفزيون، ومن ذلك:

١ - ادّعاء أن الحرب على الإرهاب حرب على الإسلام، والحق أنها حرب على المسلمين المشتركين في الإرهاب، وعلى غير المسلمين كما حورب ماركوس من قبل، وكما حورب البعث العراقي الملحد، والشيعة الإيرانيون، والصرب النصاري، والشيوعيون، وغيرهم.

٢ - تأكيد الأئمة في دعاء القنوات (والخطباء يوم الجمعة) أن المسلمين يواجهون اضطهادًا في الدين، وهذه فرية لا وجود لها اليوم في بلد مسلم ولا كافر، وأقرب شيء إلى الاضطهاد بعد أصحاب الأخدود ومشركي قريش

وحكام إسبانيا بعد زوال حكم المسلمين: مَنع أنور خوجه (الألباني الشيوعي) الصلاة في المساجد والكنائس والمعابد، ومَنع البعث العراقي دروس الدين للجميع في المساجد، ثم للسلفيين خاصة (بعد غزو الكويت واحتلالها ثم تحريرها) لأنهم بفضل الله يُعزّون للسعودية. أما المساجد في أوروبا وأمريكا (بل وإسرائيل) فمفتوحة ليلاً ونهاراً.

٣ - وَصَفَ المنتحرين بأنهم شهداء مخالفةً لشرع الله ولواقع حالهم؛ فلا يجوز أن يقال فلان شهيد لمن لم يشهد له (بعينه) الوحي بذلك، ولأنهم يقاتلون قولاً وفعلاً للحزب والأرض والهوية والقومية لا "لتكون كلمة الله هي العليا" غالباً.

وقى الله بلاد التوحيد والسنة شر الفتن ما ظهر منها وما بطن وجميع بلاد المسلمين، وردّها إلى دينه ردّاً جميلاً.

١٤٢٤/٨/٢٠

الدعوة بالجهل والابتداع

تلقيت سؤالاً من الشيخ راشد المرّي من قطر بتاريخ ١٩/٩/١٤١١
عن جماعة التبليغ فشكرت الله ثم شكرت أخي السائل على اهتمامه بصحة
المنهج في الدعوة إلى الله، وهذا ما يسّر الله لي من الجواب:

١ - تعلمون أن الدعوة إلى الله عبادة، والعبادة لا تكون إلا وفق شرع
الله في كتابه أو سنة رسوله ﷺ.

٢ - الدّعوة على منهج التبليغ (وقد عايشتها تسع سنوات) ليست
موافقة لشرع الله في أسلوبها ولا محتواها.

فإن ترتيب (الخروج) ثلاثة أيام وأربعين يوماً وأربعة أشهر، وتحديد
موضوع الدعوة بالكلام في (الصفات الست)، ثم قراءة السور العشر القصار
بعد صلاة كل فجر، والتّعريف بالجماعة بعد صلاة كلّ ظهر، والدعوة إلى
(الجولة) بعد صلاة كلّ عصر، وبيان تفصيل الصفات الستّ بعد صلاة كلّ
مغرب، والقراءة في (حياة الصّحابة للكاندهلوي) بعد صلاة كلّ عشاء،
وتوزيع الجماعة بين جالسٍ للذكر وقارئٍ لرياض الصّالحين، ودليل ومتكلمٍ في
الجولة، وتحديد الكلمات في الجولة والإعلان، كل هذا وأمثاله تحديد وإلزام
والتزام لم يجيء به شرع الله ولم يُعرف عن السلف الصّالح.. هذا في الأسلوب.

وفي المحتوى تخالف جماعة التبليغ رسالة الله لجميع رسله من نوح إلى
محمد عليهم الصّلاة والسلام ولجميع عباده: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا
أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي

إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٤٥﴾

إفراد الله وتوحيده بالعبودية أهم وأول قضية في محتوى الدعوة لكل رسول، قبل الصلاة والزكاة والحاكمة والآداب والأخلاق، وجماعة التبليغ (مثل الجماعات الإسلامية المنظمة الأخرى) لا تضع هذه القضية في أولياتها، بل لا تُعيرها أي اهتمام؛ بل هي لا تُعرف ولا تُعرف بالكلمة الطيبة: "لا إله إلا الله" بمعناها الصحيح: أن (لا معبود بحق إلا الله)، وإنما (إخراج اليقين الفاسد من القلب على الأشياء وإدخال اليقين الصحيح على ذات الله بأنه الخالق الرزاق المحيي المميت)، ولو كان هذا هو معناها لما ردّها مشركوا قريش وقد قال الله فيهم: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

٣- لِحُجُوجِ منهج التبليغ في الدعوة عن شرع الله لجميع رسله، وعن سنة رسول الله ﷺ لم تَسَعِ الجماعة في إصلاح عقيدة جيرانها من عبّاد أوثان القبور في منطقة أولياء [الشيطان] من [نظام الدين] بدهي، وهي تقيم بينهم منذ بدايتها قبل ستين سنة ملاصقة لأوثانهم، بل لم تحاول إصلاح عقيدة أتباعها؛ وجميع مشايخها من المتصوّفة، وتُظهر روائع فساد المعتقد من (بياناتهم) جميعاً لأنها تقوم على القصص والرؤى والخرافات لا على الدليل الصحيح من الكتاب والسنة بفهم علماء الأمة الأول.

وليس أظهر في الأدلة على ذلك من وجود القبور في مسجدهم الرئيس في (دهلي)، وبجوار مسجدهم الرئيس في (رائي وند) بالباكستان، وفي

مسجدهم الرئيس في السودان.

٤ - تعدّد الجماعات الإسلامية - في ذاته - خروج عن جماعة المسلمين الواحدة؛ بتمييزها باسم، أو أمير، أو مركز، أو - أهم من كل ذلك - بمنهج بشري، وبمثل هذا (التجمع) تفرّق المسلمون كما تفرّق من قبلهم شيعة وأحزاباً ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.

٥ - كون جماعة التبليغ (أكثر الجماعات تبعية) - كما ذكرتم - لا يعطيها أيّ ميزة شرعية، بل إن كثرة (التبعية) دليل غالب على الضلال الذي لا تقاومه النفس ولا يقاومه الشيطان قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوا أَكْثَرَ مَنْ فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُّشْرِكُونَ﴾.

ولا يصحّ اتخاذ العدد دليلاً على أي حال؛ فإن النبي "يأتي يوم القيامة ومعه الرجل والرجلان ويأتي النبي وليس معه أحد" ..

وأول أولوا العزم من الرسل نوح عليه الصلاة والسلام ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ بعد أن لبث في قومه ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾.

٦ - و(النشاط في الحركة والدعوة) - كما ذكرتم - ليس دليلاً على صحة المنهج أيضاً؛ فأهل الضلال - عموماً - أنشط من أهل الحق لأن الشيطان والنفس الأمارة بالسوء إلا ما رحم ربي يزَيِّنان الباطل ويشتطان عن الحق. وقد قال رسول الله ﷺ "وستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة

كلها في النار إلا واحدة"، وهي الطائفة التي لا تزال على الحق الذي أنزل به الوحي منصور لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم (وإن كثروا).

ومن عدّ الجماعات والأحزاب الدنيّة فرقا: الشيخ د. بكر أبو زيد في كتابه الفريد (حكم الانتفاء إلى الجماعات والأحزاب الإسلامية).

٧ - أما (إن لهم فضلاً في هداية بعض الناس) فلا شك أن المنهج الفاسد يلقي أقل مقاومة من النفس والشيطان؛ وعلى هذا يلقي المتصوفة والشيعة قبولاً أكثر من أهل السنة.. وإذا ضمنت النفس والشيطان فساد المعتقد والمنهج فلا أهمية لصلاح غيره، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

ولقد لمست أثناء خروجي مع الجماعة كثرة تساهلها مثل بقية الجماعات الإسلامية في المعتقد والتشدد فيما دونه، خلاف شرع الله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾، ويكفي النفس والشيطان أن يطراً اللين في المعتقد على جزيرة العرب - ملاذه الوحيد اليوم - بأي مقابل.

ثم إن نشاط جماعة التبليغ - وغيرها من الفرق والأحزاب في العقدين الماضيين - نتيجة لا سبب لما يُسمّى الصّحوة، وقد قضت أربعين سنة في الركود والخمول ثم نشطت مع الجميع، والفضل لله وحده في الاتجاه الدّيني الحاضر صالحاً أو طالحاً وإن ادّعاه كل لحزبه.

٨ - أما (إن بعض العلماء في السعودية أو غيرها قد أيد الجماعة)؛ فلا يُعرف عالم يُعتدّ به خرج مع الجماعة ثم زكّاها، وإنما يؤخذ بعض العلماء بتزكية

بعض أفرادها لها (ومبالغتهم في ذكر إنجازها وستر عيوبها) فيصدر منهم تأييد لها.

وقد حذّر منها عدد أكبر من العلماء، ومنهم المشايخ حمود التويجري، وعبد الرزاق عفيفي، وصالح اللحيدان، وعبد الله الغديان، وصالح الفوزان، من هيئة كبار العلماء^(١)، وحذّر منهم كثير من طلاب العلم الذين رافقوهم شهوّرًا وأعوامًا وانقطعوا لدعوتهم حتى آمنَ مشايخُهم منهم فأظهروا الجانب الخفيّ من دعوتهم وبدعهم؛ وبايعوهم على التّصوف، ثم تبرّأ الذين اتّبعوا من الذين اتّبعوا ومنهم الشيخ عبّاس الشرقاوي، وأطلّعوا الناس على النصوص الشّركية والخرافيّة والبدعيّة في مناهجهم وبخاصّة (تبليغي نصاب)، وقد كنتُ وقعتُ في تأييدهم وتزكيتهم لدى العلماء ودافعت عنهم، حتى اطلّعت على ما خفي عليّ من فساد الجماعة، هداانا الله وإياهم لأقرب من هذا رشدًا.

(١) وكذلك حذّر من من جهلهم بالعقيدة الشّيخ عبد العزيز بن باز في مجموع فتاواه ج ٨ ص ٣٣١، وأفتى (بعدم جواز الخروج معهم إلّا لطالب علم متمكّن من علم الاعتقاد لإصلاحهم) في آخر فتاواه عنهم عام ١٤١٤هـ، وأوصى بحذف أيّ رسالة صدرت باسمه تأييدًا لهم.

الدعوة إلى الله أهم وظائف المعلم

كتب صحفيٌّ جاهل بشرع الله في العدد (٩٢١) من جريدة الوطن بتاريخ ١٤٢٤/٢/٦ هـ داعياً إلى إقصاء الدعوة إلى الله عن المدارس، لأن وجودها (سبب مهم في تدني مستوى التعليم) كما يقول، وإني:

١- أوافقه في أن (كثيراً من المعلمين الدعاة ينقصهم الفقه) لأن بضاعتهم لا تتجاوز ما سُمّي - خطأً - بالفكر الإسلامي، وهو شيء آخر غير الفقه في الدين الذي يقوم على الوحي؛ فهو وحده اليقين من رب العالمين، ولا يجوز نسبة شيء إلى الإسلام إلا ما تضمّنه الوحي والفقه فيه.

٢- وأوافقه في أن (مصطلح داعية) الخطأ أيضاً فقد وصف الله خير دعاته: نبيه محمداً ﷺ بقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ﴾، مذكراً غير مؤنث - هذا المصطلح صار يطلق على الواعظين القصّاص والمفكرين والخطباء، وأكثرهم لا يستحقونه، إضافة إلى مصطلح العلامة والإمام إلخ.. وهذه خطيئة وسائل الإعلام قبل غيرها.

٣- وأوافقه في أن (الدعوة الفكرية غير الشرعية أفسدت وزاحت أمر التعليم بل أفسدت وزاحت أمر الدين الحق) في خير أرض الله وفي خير أهله فلم تنتج غير الفتنة لقلّة فقه أكثر القائمين على الجمعيات المدرسية الدينية والمراكز الصيفية والرحلات وانشغالهم بمناهجها الضالة عن منهاج النبوة.

٤ - ولكنني أخالفه في ظنه أن (المعلم لا يجوز له دعوة تلاميذه) إلى الله:

(كأننا لسنا مجتمعًا مُسْلِمًا بالفطرة، أو كأن الإسلام الذي نحن عليه ليس كافيًا) كما قال؛ فقد كان رسول الله ﷺ يدعو آل بيته وكبار صحابته والمسلمين عامة، ويحذّرهم من الابتداع في الدين وأشنع الشرك بالله في عبادته، وأكبر أبوابه منذ قوم نوح حتى تقوم الساعة: المزارات والمشاهد والمقامات والأضرحة، وهي أوثان الجاهلية الأولى والحاضرة والمقبلة، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

وقد ثبت في الصحيحين معًا، وفي كلّ منهما منفردًا، وفي مسند الإمام أحمد - رحمهم الله جميعًا - أن النبي ﷺ استمرّ في دعوة خيار المسلمين وصفوتهم حتى الساعة الأخيرة من حياته وأن آخر ما أوصاهم به سدّ ذرائع الشرك في مثل قول عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ لما حَضَرَتْهُ الوفاة جعل يلقي على وجهه طرف خميصة له فإذا اغتمّ كشفها عن وجهه وهو يقول: "لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"، قالت: (يحذّر مثل الذي صنعوا) [متفق عليه]، ومثل قولها رضي الله عنها: أن النبي ﷺ رفع رأسه [في مرض موته] فقال: [عن مشركي النصارى]: "أولئك إذا كان فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدًا ثم صوّروا تلك الصّور، أولئك شرار الخلق عند الله يوم القيامة" [متفق عليه].

ولا يكاد بلد مسلم - خارج هذه البلاد والدولة المباركة - يخلو من أوثان المقامات والمزارات؛ يختلف ويتقاتل المسلمون (أو يتفقون) عليها مع اليهود والنصارى وفِرَق الضلال الأخرى. وكانت أمثالها موجودة في هذه

الأرض المباركة - شرقها وغربها وشمالها وجنوبها - حتى بعث الله هذه الدولة المباركة لتجديد دينه بالعودة به إلى أصله؛ فأزالتها الدولة الأولى، ثم عادت تحت راية (الخراقة العثمانية) حتى أزالتها الدولة الحاضرة حفظها الله قدوة صالحة.

وعن المستقبل قال النبي ﷺ: "لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليآت نساء دوس على ذي الخلصة" [متفق عليه] وهو وثن في تبالة (قرب بيّشه) وفي (جبل دّوس) من (زهران)، وقد هُدم في زمن النبي ﷺ ثم قام فلم يُهدم حتى هدمته هذه الدولة المباركة (مرّتين) مع أمثاله.

وقال النبي ﷺ: "لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى" [رواه مسلم].

٥ - وأخالفه في ظنّه أن النهي عن زيارة القبور للنساء يلزم منه عدم تذكيرهن الموت، فقد كان النبي ﷺ يذكر خيار هذه الأمة الموت رجالهم ونساءهم، صغارهم وكبارهم، ويأمرهم وينهاهم في كل خطبة يوم الجمعة (وهي أهمُّ مثلٍ وقُدوةٍ للدعوة والدعاة قبل أن يحوّلها المبتدعة إلى ملحقٍ لوسائل الإعلام)، وقالت أم هشام بنت حارثة ابن النعمان: لقد كان تنوّرنّا وتنور رسول الله ﷺ واحدًا ستّين أو سنّةً وبعض سنّةٍ وما أخذت ﴿قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾، إلّا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها كلّ جمعة على المنبر إذا خطب الناس" [رواه مسلم في صحيحه].

٦ - ولكنني أوافق في أنّ (من أكبر أخطاء الدّعاء المفكرين غير الفقهاء: صرف الاهتمام إلى المهمّ - أو عدم المهمّ - عن الأهم)؛ فيُشغِلون النَّاسَ بما

(فوقه أو تحته خطّ كما قال)، بل بالنوافل عن الفرائض وبالصّغائر عن الكبائر، بل بالفتنة والتكفير والجهاد الوهمي عن نشر توحيد الله تعالى وسنة رسوله والتحذير من الشرك والابتداع.

٧ - وأهم وظائف المعلم: الدعوة إلى الله تعالى على بصيرة من كتاب الله وسنة رسوله، على منهاج النبوة المعصومة (لا على المناهج القاصرة لحسن البنّا أو سيّد قطب أو النّبّهاني أو محمد إلياس أو أي بشر غير معصوم) وبخاصّة في الدّولة الوحيدة التي أُسّست من أول يوم على منهاج النّبوة منذ القرون المفضّلة - أدامها الله على صراطه المستقيم، مميزة بشرعه، هادية مهتدية.

٨ - (إحاطة الدّعوة والدّعاة بنا من كل جانب) كما يقول الكاتب: مَنْقَبَةٌ لَا مَنْقَصَةٌ، وتمييزٌ من الله للدولة والبلاد وأهلها، بل هي ميزتها الأولى والعظمى والوحيدة ثبّتّها الله على ذلك، ولكن لا بد من اختيار القائمين على الدعوة في مؤسّسات التعليم العامّة والخاصّة على أُسُس صحيحة من العلم بشرع الله والفقّه في دينه والتزام منهاج نبيّه، والموازنة بين الأوّلِيّات؛ فلا إفراط ولا تفريط، والله ولي التوفيق.

مِنْ ضَلَالِ الْفِكْرِ (١)

قرأت كتاب (رحلة إلى مكة) لمؤلفه (مراد هُفْمَنْ) من منشورات (مكتبة العبيكان)، ورأيت ما يلي:

١ - ذُكِرَ على الغلاف أن كتاب هُفْمَنْ: (يحمل إلى الناس حقيقة الإيمان ونور الإسلام)، وهذا افتراءٌ على الكتاب وعلى الإسلام والمسلمين، فكاتبه (زاده الله هدى) اغترَّ بفكر بعض المسلمين وعاداتهم وتقاليدهم المبتدعة فأعشت بصره عن هدي الكتاب والسنة، ولو (دَرَسَ الإسلام بعمق) كما ذُكِرَ لما خدعه السَّرَابُ عن الماء الزُّلال.

٢ - من الأمثلة على ذلك: أنه ظنَّ الفلسفة والفنَّ طُرُقًا صالحة للوصول إلى الإسلام (ص ٣٩، ٤٨، ٤٩)، وظنَّ أنَّ (التصوِّف المبتدع له الفضل في حفظ الدِّين وبخاصة الذكر والدعاء)، وكان مثله الأكمل: ابن عربي الذي تُنسب إليه خرافة وحدة الوجود الوثنية، (ص: ٦٦). وظنَّ أن استعمال المسبحة من الدِّين (ص ٦٥). وظنَّ (المسلم المتَّبِع للسَّنة يعيش في شبكة من الرَّموز) مقتدياً بما قاله (شون)، (ص ٦٦)، ولم يَقُلْه الله ولا رسوله ولا الأئمة في القرون المفضلة، بل قاله غلاة الباطنية.

وظنَّ أن ترتيل الموشحات من الدِّين، وأن زكاة الفطر (هدية) تُخْرَجُ في ليلة ٢٧ من رمضان مماثلة لهدايا عيد الميلاد (ص ٨٥). وظنَّ أن فرض الصوم - ممیزاً عن غيره من الفرائض - لم يُفرض لله وإنما فُرِضَ للناس (ص ٨٥)

ناقضاً ما صحَّ في الحديث القدسي عن الله تعالى: "أما الصوم فإنه لي وأنا أجزي به". وهو يظن أن اختلاف بداية الصوم ونهايته في بلاد المسلمين: (مُخَزِّ ومُشِين)، وأنه اتَّبَعَ لتقاليد وأعراف قديمة (ص ٨٦، ٨٧)، ويجهل أن السبب الحقيقي أمر الرسول ﷺ أمته: "صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته"، ويغفل عن حقيقة اختلاف المطالع، ويُفهم منه أن الحجَّ وعيد الأضحى يحدّد بالحساب الفلكي (ص ٨٧)، ويغفل عن الفرق بين الصوم في أماكن مختلفة والحجَّ في مكان واحد.

٣ - كَتَبَ ٩ صفحات (من ٩٢ إلى ١٠١) عن تنظيم الإسلام آداب الطعام وحشاها بكثير من العادات والتقاليد لا علاقة للإسلام بها، بل تخالفه.
٤ - أفتى بأخذ الفوائد الربويّة على المال المدّخر، وإعطائها في حال عدم تعرّض المقرض للاستغلال (ص ١٢٢)، وخالف ما سمّاه: (المناقشة بالمفهوم الأصولي للربا) (ص ١٢٣).

٥ - ظن أن العادة المبتدعة: ذبح شاة عند الانتقال إلى مسكن جديد [أو بنائه] بما في ذلك من وضع نقطة من دمها على الجبين (ص ١٢٦) ظنّ ذلك أمراً مشروعاً مثل الهدي أو الفدية أو الأضحية أو العقيقة (وهي وحدها المشروع تعبّداً في دين الإسلام)؛ فهو يخلط العادة بالعبادة كثيراً كما يخلط الفكر بالوحي كثيراً ويخلط البدعة بالسنة كثيراً.

٦ - أخطأ في فهم الآية (١٢٩) من سورة النساء فأوردها دليلاً على شرط العدل (ص ١٣٤).

- ٧ - فسّر الآية (٣٤) من سورة النساء خلافاً لتفسير الأئمة القدوة وأتباعاً لبعض المترجمين، وهم - مثله - غير مؤهلين للقول على الله ولا الفقه في شرعه.
- ٨ - رأى أن وصول امرأة مسلمة إلى رئاسة الحكومة مفخرة للإسلام (ص ١٤١)، وعارض الفصل بين الجنسين (ص ١٤٢).
- ٩ - قدّم فكره على أحكام الشريعة في الحجاب بحجة (أن الإسلام أغنى وأعمق من مجرد غطاء رأس المرأة) (ص ١٤٥).
- ١٠ - تكلم عن حقوق (أو فقد حقوق) الولد (غير الشرعي) بما لا يتفق مع شرع الله، بل مع فهمه القاصر لشرع الله (ص ١٤٦).
- ١١ - وهو يريد للمسلمين في ألمانيا أن يجتذبوا استحسان بقية الألمان للإسلام بالإجماع على موقف إيجابي جديد من حقوق المرأة، والتمسك بالدستور، والفوائد الربوية (ص ١٩٨).
- ١٢ - ظن (ص ٢٠٤) أن (الفرق الوحيد بيننا وبين النصارى: ماهية المسيح عليه السلام؛ فإذا زال هذا الفارق زالت العوائق الفقهية بيننا)، وهذا خطأ فاحش، فإن الإسلام نسخ كل دين في أكثر الأحكام الشرعية، ما عدى العقيدة فواحدة قبل أن يدخلها التحريف والتبديل من قبل المنتسبين إلى الدين عامة، أما التعاون بالمعروف فجائز مع الجميع.
- ١٣ - هذه أمثلة قليلة تُبيّن أنّ مَنْ كَتَبَ التقريض على الغلاف دفعه إليه الفرح بمسلم جديد (بمرتبة سفير ألمانيا) أو الرغبة في اجتذاب القارئ المسلم لدفع الثمن أكثر من التثبت والتّين قبل الحكم - كما أمر الله -، هدى الله

١٤٢١/١٠/١٩

الجميع لأقرب من هذا ارشداً.

من ضلال الفكر (٢)

قرأت العدد ٦٤ من مجلة المستقبل الإسلامي التي تصدرها الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وأرجوا الله لمستقبل الإسلام وشبابه وشيبه خيراً مما تتمناه المجلة والندوة؛ فالإسلام الصحيح هو القائم على الوحي والفقہ في الدين لا على الفكر والعاطفة والظن. ولست بالحريص على قراءة هذه المجلة وأمثالها من المجلات الإسلامية الفكرية العاطفية، ولكن الندوة بروتينها الإداري تصرّ على تزويدي بها فأجد أنّ عليّ إظهار الحق وإبطال الباطل.

ليس في المجلة كلمة واحدة عن التوحيد ولا السنّة ولا عن الشرك ولا البدعة طبقاً لمنهج الندوة المخالف لمنهاج النبوة في الدعوة إلى الله على بصيرة (لفقد البصيرة)، وهذا لا يعني اتهام النية؛ فغالب المتدينين (بدين الحق أو الضلال) ﴿يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾ ولكن الخطأ هو في انحراف المنهاج والعمل عن منهاج وسنّة النبي ﷺ.

ويبدو أنّ المجلة - مثل المشرف العام عليها - ترى الدعوة إلى التوحيد والنهي عن الشرك بالصّمت عنهما؛ ولعلّ خير مثال على ما أدّعيه خلاصة بحث في هذا العدد بعنوان: (دراسات وبحوث: الشباب أولاً: عبرة الماضي من أجل المستقبل).

ومع احترامي لعبد الحليم عويس (وهو في نظري خير الإسلاميين)؛

فاختيار عبد القادر أحمد عبد القادر لهذا البحث غير موفق، وإلى الندوة والمجلة وقرائها البيان:

أ - (للشباب أولاً) وهل كان رسول الله ﷺ يخصّ الشباب بالدعوة إلى الله؟ أم أن الشيطان قد زين للأحزاب الإسلامية المبتدعة تمييز الشباب وبالتالي: عزلهم عن بقية الأمة، وبالتالي: الفتنة.

ب - يدعى البحث أن: (أخطر عوامل سقوط الخلافة إهمال ركن الجهاد)، وأركان الإسلام خمسة؛ فمن أضاف ركنًا سادسًا فقد استدرك على الله وعلى شرعه.

ج - (بعد المعتصم لم يسمع عن معارك قامت بها الدولة):

١ - والمعتصم (ورواية ومعتصماه) ركن آخر من أركان الدعوة الحزبية المبتدعة ضيّعت به حُطْب الجمعة ودروس الدين في المدارس والمساجد. والذي لا يفقهه الإسلاميون أن المعتصم تجاوز الله عنه هو الذي تولى كِبْرَهُ في محنة وفتنة خلق القرآن وتعذيب وسجن الإمام أحمد رحمه الله، فهل معاركه وأمثاله (لو صحّت) هي القتال لتكون كلمة الله هي العليا؟ ليس هذا أكبر همّ المفكرين الإسلاميين هدايا الله وإياهم.

٢ - وكيف لم تسمع الندوة وأمينها ونائبه (إن لم يسمع عبد الحلیم وعبد القادر) بمعارك الأئمة الأول والمتأخرين من آل سعود وآل الشيخ وغيرهم، وجُند الله حقًا ممن نصر الله بهم دينه؟ لقد زاغت أبصار الإسلاميين وبصائرهم عن معارك التوحيد والسنة التي قامت عليها دولة آل سعود ووحّدت بها

معظم جزيرة العرب على التوحيد والسنة، وهدمت أوثان الشرك والبدعة من العراق إلى بحر العرب ومن الخليج إلى البحر الأحمر، ولما قامت خرافة آل عثمان (التي يسميها البحث: آخر خلافة) بالانتصار للشرك والبدعة والعنصرية فهاجمت دولة التوحيد والسنة وانتصرت عسكرياً إلى حين؛ أعيدت جميع الأوثان والبدع إلى أقدس بقاع الأرض ومنها وثن ذي الخلصة الذي أخبر رسول الله ﷺ بعودته كما في صحيح مسلم، ثم جاءت دولة الإسلام والتوحيد والسنة فهدمت الأوثان مرة أخرى وأزالت البدع وتميّزت حتى اليوم بإقامة الدين الصحيح والدعوة إليه، يشهد بذلك أهل الحق وأهل الباطل؛ فالخرفانيون والحزبيون والمبتدعة يسمون الدّاعين إلى الله على بصيرة: (وهّابيين) أو (عملاء السعودية)، والحمد لله الذي اصطفانا لهذا ونعوذ به من أن يضلّنا الفكر عنه.

د - (الذين لا يملكون إرادة الهجوم يفقدون القدرة على الدفاع). طبيعة القتال الشرعي دفاعية؛ لا يُحارب المسلم إلاّ دفاعاً عن دينه وكلمة ربّه (لا انتصاراً لنفسه ولا لحزبه): ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾، ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا﴾، ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾، ﴿وَقَتِّلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾.

هـ - (منذ سقطت الخلافة العثمانية لم تتقدم أمّتنا):

١ - بلى والله! كان سقوط خرافة آل عثمان (وكرّم الله الخلافة عنها) خيراً

للمسلمين في دينهم ودنياهم.

٢ - هل سمع الإسلاميون بحديث مسلم: "الخلافة ثلاثون سنة ثم تكون بعد ذلك مُلْكًا"؟

٣ - وهل عرف الإسلاميون أن حكم خير العثمانيين عندهم: عبد الحميد كان قائمًا على الخرافة والشرك والتصوف مثل أو أكثر من غيره، وأن الصِّيادي الرَّفاعي المخرّف في عهده كان الخصم والحكم في دين الله؟
و- (العسكرية العثمانية التي قَدَّمتْ ما قَدَّمتْ للحضارة الإسلامية).

لو عرف الإسلاميون شرع الله المبنيّ على الوحي والفقہ لا على الهوى والفكر، لتبيّنوا أن ليس الأهم إضافة رقعة من الأرض في منهاج الوحي والنبوة؛ فلم يُبعث رسولٌ لهذا الغرض: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾.

ولكن اكتساب الأرض والحكم مقدّم على صحّة الاعتقاد وصحة العبادة في فكر الحزبيين، وكذلك الحق؛ فقد بُني صنم لصالح الدين على فرسه كيدًا للنصارى في الأردن، وهو أول تمثال يُقام فيها، وفُتِحَ بذلك ثغرة عظيمة، ولكن الله أيّد دينه وحمل هذه البقعة من الأرض المباركة من هذا التقليد الجاهلي فأمر ملك البلاد بهدم تمثال أقيم له إقتداءً بصنم صلاح الدين؛ بحجة أن رسول الله ﷺ إنما جاء لهدم الأصنام.

وفق الله ولاة الأمر لتغيير نهج الندوة وأمثالها من الفكر والعاطفة إلى الوحي والفقہ، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

من ضلال الفكر (٣)

في العدد ٨٩٧١ بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٤٠٨ من مجلة اليامة ص ٨٠ نُشرت مقابلة مع الشيخ / محمد الغزالي (تجاوز الله عنه):

١ - قُدِّمَ الغزالي للقراء بأنه (يعيش في الجزائر محاولاً اقتلاع الجذور الفرنسية، وأنه نجح إلى حدٍّ ما في عودة الروح الإسلامية للعروق الجزائرية).

٢ - وللإنصاف فإن هذه المحاولة، والنجاح المحدود في تحقيقها، حدثت في الجزائر قبل أن يُوظَّفَ الشيخ الغزالي معلِّماً في جامعته. وأكثر من ذلك فإنه لا يُعرف للشيخ منذ وصوله أي محاولة في هذا السبيل. وإذا كان للمجلة دليلٌ واحد على صحّة ادّعاء محرّرها فأرجو بيانه حتى لا نغمط الرّجل شيئاً من حقّه. وإذا لم يكن لها دليل ولكنها انسأقت إلى المدح جزافاً وبلا تثبّت (كالعادة) فأولى لها ألاّ تعود إلى مثل هذا الادّعاء الذي غمطت به جهاد شعب كامل في الاستقلال والتعريب وإزالة آثار الاحتلال الفرنسي الظّالم (دون عون من الغزالي).

٢ - من قراءتي للمقابلة ومما كَتَبَ الغزالي أو كُتِبَ عنه، بدا لي أن الشيخ ختم الله لنا وله برحمته؛ لم يعد قادراً على تقديم رأي محدّد صحيح واحد، وإنما هو المهجوم (الدونكشوتي) الذي لا تُعرَف له قضيّة عادلة ولا يتبيّن منه هدفٌ صحيح ولا تظهر له نتيجة صالحة.

وهو في هذه المقابلة - مثلاً - يَظهر تارة بمظهر المؤيد لتطبيق الأحكام الشرعية، وتارة يَظْهَرُ بمظهر الباحث عن عقبات تسدُّ طرقها؛ باسْتِراط (أن يحكم الشعب قبل ذلك في علاقاته بها أنزل الله).. يضرب مثلاً تارة بالسَّعوديّة للشعب الذي استحق تطبيق شرع الله عليه، وتارة يهاجم منهجها السِّلفي؛ أهم مزاياها، ثم ينفي عن الأحكام الشرعيّة تهمة (تشويه الأجسام) وليته قدّم مثلاً واحداً على ذلك حتى يتبيّن مقصده: هل يَعدُّ قطع اليد في حدّ السرقة، والقتل أو الصلب أو تقطيع الأيدي والأرجل من خلاف في حدّ الحرابة تهمة منفيّة عن الشرع (وتشويهاً للأجسام وتصويراً كاذباً مدسوساً على الإسلام)؟ ثم يقفز إلى تقرير أن الإسلام أعطى القضاة الحقّ في (إيقاف الحدّ إذا رأوا أنّ المتهم قد تاب توبة نصوحاً) بعد أن أورد إشارة إلى قصة (ماعرز).. ولم يحاول الجمع بين تقريره هذا الأمر وعدم (إيقاف) النبي ﷺ الحدّ عن (ماعرز) و(الغامدية) بعد أن رأى (وهو الوحيد الذي يستطيع التيقن من ذلك بما ينزل عليه من الوحي) أنّها تابا إلى الله توبة نصوحاً بدليل أنّهما (جادا بنفسيهما في سبيل الله). ولا يمكن الاعتذار عنه بأنّه يقصد ما قبل ثبوت الزنى؛ لأنّ أصغر طلاب العلم الشرعي يعلم أن حدّ الزنى لا يقام حتى يثبت بالاعتراف أو شهادة أربعة شهداء.

وعقبة (ثالثة) يضعها الشيخ عفا الله عنّا وعنه في طريق تطبيق الأحكام الشرعية عبّر عنها بأن (الحدود جزء من سبعين شعبة يتكون منها الإيمان، فلماذا تُختار الحدود فقط من بينها وتُنسى الأمور الأخرى)؟

وعقبة (رابعة) أو لعلها تفسير للثالثة: غيبة العدالة الاجتماعية، وهذه أقرب إلى وحي سيد قطب منها إلى وحي الله، وكأنه باشرطه إزالة العقبتين الأخيرتين يشترط وجود شُعب من الملائكة أو من الصديقين قبل تطبيق الشريعة في الحدود.

٣ - يقول عن الديمقراطية أنَّها: (من أحكم الأنظمة التي شهدتها الدنيا).. ولم يتضح موقعها من الحكمة في رأيه مقارنة بعهد النبوة والخلافة الراشدة. ولو نظر إليها بنفس المنظار والعداء الذي يواجه به المنهج السلفي لوجد فيها أغراضاً أوضح للتنفيس عن نزعته الهجومية.

٤ - يقيس (شرعية) الأحزاب السياسية بمقياس شرعية المذاهب الفقهية التي (اختلفت في أمور كثيرة لكنّها عايشة بعضها بعضاً وكانت في صالح الإسلام)، وينسى أن علماء الأمة الذين تُسببت إليهم هذه المذاهب بنوا آراءهم على الكتاب والسنة واجتهدوا بعلمهم وفقهم الشرعي فيما لم يجدوا فيه نصّاً.. أما الأحزاب السياسية في الغرب (الأصل) أو في الشرق (التقليد) ومثلها الأحزاب الدينية فتبني اتجاهاتها على المصالح الحزبية الخاصة وعلى الهوى.

وفكرة التعايش تسيطر عليه فيتصور مجتمعاً مسلماً يجتمع فيه محمد بن عبد الوهاب والأفغاني والكواكبي ومحمد عبده [وربما ابن سينا وابن عربي وإخوان الصفا] وتجتمع فيه الجماعات والفرق والطوائف الموصوفة زوراً بالإسلامية، لا ينكر أحد على أحد ولا يحاول أحد تصحيح مذهب أحد.. لذلك لا يُعرف عنه مهاجمة البدعة ولا المبتدعين ولا الوثنية الجديدة القديمة

ولا الوثنيين عبّاد القبور في مقر إقامته الأصلي أو الجديد.

الاستثناء الوحيد: مهاجمته أهل السنة الذين يحاولون نشرها بالقدوة إن

قصرُوا عن نشرها بالموعظة.

٥ - ثم عاد إلى هاجسه الذي لا يكاد يفارقه وهو الهجوم على السلفية والسلفيين الذي لم يهمله في كل ما كتب منذ انتهائه للحزبية المبتدعة وبخاصة منذ ذلك اليوم الذي سأله فيه شاب ممن يسميهم بالسلفيين عن حكم حلق اللحية (وكان الشيخ يومها حليقًا أكثر مما هو الآن)، فردّ بردّ يهون فيه أمرها، فوصفه الشاب (سفهاً) بأنّه (حمار). منذ ذلك اليوم أعلن حربه الضروس على السلفية والسلفيين بصفة عامة.. ومن أجل ذلك هاجم التمسك ببعض السنن مثل سنة الشرب قاعدًا.. ودلّل على صحة رأيه (كعاداته) بأنه رأى أحدهم في أمريكا يجلس للشرب فقال له: (إن التزامك هذا حريّ بأن يمنع الأمريكيان من الدخول في الإسلام) ويتساءل غيره: كم من الأمريكيان دخل الإسلام على يد الغزالي بسبب تهاونه وتهوينه شأن السنة القولية أو الفعلية، العادية أو العبادية؟ ومن أجل ذلك هاجم (في هذه المقابلة) ملازمة المرأة بيتها إلّا لضرورة. وقد يجهل (هدانا الله وإياه) أن النبي ﷺ أمر (في الأحاديث الصحيحة الثابتة) بتوفير اللحية والجلوس للشرب، بل وأمر بالتقيؤ من شرب قائمًا وأنّه أخبر بأن صلاة المرأة في بيتها خير من صلاتها في مسجده، وأن الله أسقط عنها الجهاد بمعنى القتال في سبيله.. ولكنه حريّ ألاّ يجهل قول الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى﴾، وقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ

اللَّهُ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴿٦٤﴾

٦ - وأمر أخير أرى أهمية التنبيه إليه:

لقبُ المفكر الإسلامي لا يليق بالدعاة إلى الله إن كان الغزالي أو لم يكن منهم؛ فشرع الله جاء بطريق الوحي في الكتاب والسنة لا بطريق الفكر.. والدعاة إلى الله على بصيرة هم الذين علموا شرع الله (بالأدلة الصحيحة) وعملوا به وسعوا إلى تبليغه، أما الفكر المجرد فهو أليق بالفلسفة أو السفسطة..

وأهمية إثارة هذا الأمر تبدو عند استقراء نتائج إطلاق هذا اللقب على الدعاة المثقفين الذين لم يعرفوا شرع الله أو أخذوا بالحضارة العلمانية؛ إنتاجها الصناعي ونظم إدارتها وطرق حياتها فسيطر على عقولهم شعور بأن النجاح والفلاح والسعادة في ربط دين الإسلام بعجلة الحضارة العلمانية.

ولعل الشيطان قد أوحى للصحف العربية بهذا اللقب حتى يسيطر على ميدان الدعوة إلى الله من لا يصلح لها.. وبالتالي يختلط الذهب بالنحاس ويعجز المسلم عن التمييز بين الدعوة إلى الله على بصيرة وبين مجرد الخطابة والشهرة الأدبية (الإسلامية).

أرجو من الله العليّ القدير أن يجعلنا أكثر دقة في تمييز الحق من الباطل، وتمييز الزبد مما ينفع الناس وخاصة عندما يتعلق الموضوع بشرع الله والدعوة إليه؛ فقد قام هذا البلد المبارك على العقيدة السلفية بفضل الله، ووجب عليه بذلك حمل مسؤولية نشرها والدفاع عنها.

وفق الله الجميع لما يحب ويرضاه وهدانا جميعاً لأقرب من هذا رشداً.

من ضلال الفكر (٤)

كتب صحفيّ جاهل بشرع الله في جريدة الوطن بتاريخ ٢١/٣/١٤٢٤هـ عن (الإنسان والوطن وابن تيمية).

ولم يعدّ من الغريب أن يقول صحفي على الشريعة أو كبار علمائها ما ليس له به علم، كما أنّه ليس من الغريب أن تدبّ حشرة على قبر واحد من أكبر فقهاء ودعاة الأمة. ولكن هذا الصحفي تميّز عمّن سبقه في طريق التّيه بأن أثبت لنفسه علم اليقين وهو - فيما يظهر من قوله - من أبعد الناس عنه، فقال: (يجب علينا كمثقفين [لاحظ كاف التشبيه الصحفية] يعلمون علم اليقين أين تكمن المشكلة أن نظهر وجوهنا ونرفع أصواتنا جميعًا بالقول: الإنسان - مسلم أو غير مسلم - أهمّ عندنا من نقد فقيه [ابن تيمية رحمه الله]، أو حتى سقوطه)، واليقين هو في الوحي وحده، ويُلحق به فقه الأئمة الأوّل فيه. وليت علماء بلاد التّوحيد والسنة - لا المتعالين - (يُظهرون وجوههم ويرفعون أصواتهم) حتى لا يخلو جوّ الإعلام منهم فتبيّض فيه وتُصفر وتَنعق الغربان والبوم، وحتى لا يستفحل ظنّ الجهلة بشرع الله وبعلمائه ظنّ الجاهلية فيقولوا عنهم: ﴿لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ﴾ :

١ - ظن هذا الصحفي غنمه الله العدل والعلم، والسّلامة من الإثم والجهل: أن ابن تيمية رحمه الله هو (منظر الجهاديين) باستلاله بضعة أسطر من

مجموع مؤلفاته التي قال عنها الذهبي رحمه الله أنَّها تبلغ أربعة آلاف كراس أو ثلثمائة مجلد، وإنما كان يعني أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد أولاً باللسان ثم بالسنان فرض كفاية، فإذا لم تقم الكفاية بالطريق المعتاد فعلى علماء الأمة - لا سفهائها - أن يقوموا بالأمر، ولم يعن مخالفة ولي الأمر؛ كما حدث في عصره عندما لم تقم الكفاية لدفع صولة التتر فقاد ابن تيمية رحمه الله الناس في بلده لقتالهم، ولم ير هو ولا غيره - في ذلك خروجاً على ولي الأمر بل إعانة له وتعاوناً معه على البر والتقوى كما أمر الله.

وقد بين ابن تيمية رحمه الله - كغيره من علماء السنة - عدم جواز الخروج على ولي الأمر في مجموع الفتاوى والعقيدة الواسطية وغيرهما في مواضع كثيرة تُبين تميزه باتباعه منهاج النبوة وتمسكه به ودعوته إليه، (ولا عليه إذا لم تفهم البقر). وأنى لصحفي أن يحيط بعلم ابن تيمية رحمه الله فضلاً عن فهمه ونقده، وجلُّ بضاعته أن ينقل كلمات لأحد المحدثين (ممن يوصفون بالمفكرين الإسلاميين) ويبنى عليها مطاولته لعلم من أعلام الهدى.

٢ - إذا كانت همّة الصحفي ومداركة لا تصل به إلى الكفاية من العلوم الشرعية فإن من السهل أن يتبين من مصادره الظنّية (الجراید) مَنْ هوَ (منظر الجهاديين) المبتدعين.

في الحلقة الثالثة مما وُصف بالوصية الأخيرة من مذكرات (الظواهري) القائد الثاني - أو الأول - لتنظيم القاعدة ونُشرت في الشرق الأوسط العدد ٨٤٠٧ بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٢: (أن سيد قطب هو الذي وضع دستور

[الجهاديين التكفيريين] في كتابه الديناميت معالم في الطريق، وأن فكر سيّد هو [وحده] مصدر الإحياء الأصولي [الجهادي التكفيري]، وأن كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام يُعدُّ أهمّ إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصوليّة، وأنّ فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفها بالإسلامية] ضدّ [من سبّاهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي ما زالت فصولها الدّامية تتجدّد يوماً بعد يوم).

هذا هو القول الفصل في منشأ واستمرار هذه الحركة غير الرّاشدة ولا المهديّة ولا المباركة من قلم رائدها الفكري والعملي هداه الله.

وسيد قطب تجاوز الله عن الجميع في (معالم في الطريق) [ط ١٠ ص ١٠١ دار الشروق] يحكم على كلّ المجتمعات المسلمة بالكفر: (لا لأنها تعتقد بالوهية أحد غير الله ولا لأنها تقدّم الشعائر لغير الله، ولكنّها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبوديّة لله وحده في نظام حياتها).

وفي (العدالة الاجتماعية) [ط. دار الشروق ١٤١٥ ص ١٨٥] يؤكّد هذا الشّطط في التكفير الجماعي الذي لم يُسبق إليه بما لا يجوز التكفير به (تنظيم الحياة) يقول: (ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النّحو قد توقّفت منذ فترة طويلة في جميع أنحاء الأرض، وأن وجود الإسلام ذاته - من ثمّ - قد توقّف كذلك).

ويؤكد هذا الحكم الجائر الخارج عن شريعة الله (في ظلال القرآن) آخر طبعات [دار الشروق ص ١٠٥٧] بالحكم بالردة على البشريّة كلها بمن فيها

(أولئك الذين يردّدون على المآذن في مشارق الأرض ومغاربها كلمات "لا إله إلا الله" بلا مدلول ولا واقع).

وكانت نتيجة هذا الشطط في التكفير لجميع المسلمين أن أوصى الخارجين على الجماعة بالصلاة في بيوتهم واعتزال معابد الجاهلية [المساجد] ص ١٨١٦ (في ظلال القرآن) و (بأن ينفصلوا عقديًا وشعوريًا ومنهج حياة عن أهل الجاهلية من قومها.. وبأن تشعر عصبتهم شعورًا كاملاً بأنها هي الأمة المسلمة، وأن ما حولها ومن حولها - ممن لم يدخلوا فيما دخلت فيه - جاهلية وأهل جاهلية) ص ٢١٢٢ (في ظلال القرآن).

وحكّم على الذين (يظنون لحظة واحدة أن الإسلام قائم وأن الذين يدّعون أنهم مسلمون ويتسمّون بأسماء المسلمين هم فعلاً مسلمون: بالسير وراء سراب كاذب تلوح فيه عمام تحرف الكلم عن مواضعه وترفع راية الإسلام على مساجد الضرار) [مساجد المسلمين] ص ٢١٦ العدالة الاجتماعية.

٣ - وفي المقابل يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى ج ٣ ص ٢٢٩: (إني دائبًا من أعظم الناس نهياً عن أن يُنسب مُعَيَّن إلى تكفير وتفسيق ومعصية إلا إذا عُلِمَ أنه قد قامت عليه الحجّة الرسالية التي من خالفها كان كافراً تارة وفاسقاً أخرى وعاصياً أخرى).

بل يقول في المرجع نفسه: (فإنه وإن كان القول تكذيباً لما قاله الرسول ﷺ لكن الرجل [القائل] قد يكون حديث عهد بالإسلام أو نشأ ببادية بعيدة، ومثل هذا لا يكفر بجحد ما يجحده حتى تقوم عليه الحجّة، وقد يكون الرجل

لم يسمع النصوص، أو سمعها ولم تثبت عنده، أو عارضها عنده معارض آخر أوجب تأويلها وإن كان مخطئاً).

ويرى رحمه الله وجوب طاعة الحكام حتى الظلمة الجائرين منهم: (وأما ما يقع من ظلمهم وجورهم بتأويل سائغ أو غير سائغ؛ فلا يجوز أن يُزال لما فيه من ظلم وجور، كما هو عادة أكثر النفوس تزيل الشر بما هو شر منه، وتزيل العدوان بما هو أعدى منه) [كما يفعل الجهاديون المبتدعون] (فالخروج عليهم يوجب من الظلم والفساد أكثر من ظلمهم) الفتاوى ج ٢٨، ص ١٧٩.

ويقول رحمه الله: (إن النبي ﷺ أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرّون به على سياسة الناس) ج ١ ص ١١٥، منهاج السنة. وهذا لون آخر من البيان لما يعنيه بما اقتطعه الصحفي من (الاختيارات)، كما أنه يبين أنه (لا طاعة لمن نزل نفسه منزلة ولي الأمر فلا يجوز أن يُسمع له ويُطاع كما يُسمع ويُطاع لولي الأمر القائم الظاهر)، كما يفعل أهل التحزّب والتعصب والفتن باسم الإسلام وهم مخالفون لهديه. (معاملة الحكام في ضوء الكتاب والسنة) ص ٢٩ للشيخ / عبد السلام بن برجس آل عبد الكريم ط ٢ عام ١٤١٤هـ.

ويقول ابن تيمية رحمه الله: (وكذلك مبايعة السلطان التي أمر الله بالوفاء بها ليس لأحد أن ينقضها ولو لم يحلف.. بل لو عاقد الرجل غيره على بيع أو إجارة أو نكاح لم يجز له أن يغدر به، ولو جَبَ الوفاء بهذا العقد؛ فكيف بمعاقدة ولادة الأمر على ما أمر الله به ورسوله من طاعتهم ومناصحتهم

والامتناع من الخروج عليهم) مجموع الفتاوى جـ ٣٥ ص ١٤٥ .
ويقول رحمه الله: (فالناس نوعان: رعاة ورعية؛ فحقوق الرعاة [طاعتهم] ومناصحتهم، وحقوق الرعية لزوم جماعتهم، فإن مصلحتهم لا تتم إلا باجتماعهم وهم لا يجتمعون على ضلالة) الفتاوى جـ ١ ص ١٢ .
فكيف يصلح هذا (تنظيراً للجهاديين المبتدعة) يا فلتات الصحافة؟ إن
فقه ابن تيمية رحمه الله بعيد عن تناول المفتونين من الجهاديين المبتدعين وعن
مدارك الصحفيين بُعد اليقين عن الظنّ وبُعد الفقه في الدين عن الفكر إسلامياً
أو علمانياً.

٤ - يُنكر الصحفي هداه الله على ابن تيمية رحمه الله - وشرّ البلية ما
يضحك - بقوله: (فكل من يظنّ نفسه عالماً سيحاول إزالة كلّ ما يظنّه
منكراً)، ولم يبيّن رأيه في نصوص الجهاد والقتال وتغيير المنكر في الكتاب
والسنة ما حكمه فيها؟ وهل يرد عليها ما يرد على أقوال الفقهاء من احتمال
وضعها في غير موضعها والتعسف في تأويلها؟

التّعلّم سبب من أسباب الفتنة إن لم يكن أهمّ أسبابها، وهو وباء هذا
العصر الأشدّ خطراً على الدين والدنيا، أصيب به (الجهاديّون المبتدعون) كما
أصيب به الحزبيّون والحركيّون والصحفيّون والإسلاميّون غير الشرعيّين.
وعلاجه لا يكون بالتّطاول من الصغار الجهلة بشرع الله على كبار العلماء
العاملين المجاهدين لتكون كلمة الله هي العليا (لا الهويّة ولا القوميّة ولا
التراب)، بل بالأخذ على أيدي السّفهاء وإسكات أفواه الحركيّين والصحفيّين

والمبتدعة عن القول على الله وشرعه وحملة دينه بغير علم، عاجلاً غير آجل.

٥ - وصدق الصحفي مرة واحدة فقال: (لابن تيمية في بلدنا هذا مكانة لم يعرفها في بلده في زمان)، بل كانت منزلته رحمه الله في أعلى الدرجات عند كبار علماء السنة وهم الأقلون كالعادة مثل ابن القيم وابن كثير والذهبي رحمهما الله، ولكن بلادنا ودولتنا المباركة ميّزها الله على دول المسلمين جميعاً منذ القرون المفضلة يوم قامت على منهاج النبوة في الدين والدعوة وفقه ابن تيمية وسلفه الإمام أحمد بن حنبل (رحمهما الله) في الدين.

وكان مذهب الإمام أحمد رحمه الله أقلّ المذاهب في عدد متّبعيه، و(مثل تلميذ فقهه ابن تيمية رحمه الله) عانى من مخالفة المبتدعة وشططهم وسجونهم وأذاهم، ثم جاءت دولة التوحيد والسنة فاحتضنت فقه الإمام أحمد منذ قيامها لتجديد الدين بالعودة به إلى ما كان عليه محمد وأصحابه، في منتصف القرن ١٢؛ يقول الشيخ/ محمد أبو زهرة رحمه الله في كتابه (ابن حنبل) ص ٣٥٦، ٣٥٧: (وإذا كان ذلك المذهب الجليل قد فقد الأتباع في الماضي فإن الله سبحانه وتعالى قد عوضه في الحاضر؛ وذلك بأن [السعودية] تسير حكومتها في أقصيتها وعبادتها على مقتضى أحكامه، وكان ذلك تعويضاً كريماً وإخلافاً حسناً لأن [السعودية] تطبق الشريعة الإسلامية في كل أقصيتها، بل إنها تطبق أحكام الحدود والقصاص تطبيقاً صحيحاً كاملاً، فالحدود فيها قائمة ومعالم الشريعة فيها معلنة؛ وبذلك قامت دولة الشريعة محكمة البنيان ثابتة الأركان تعلن الناس في كل البقاع والأصقاع أنّها خير شريعة أخرجت للناس، وقد

كان ذلك المذهب هو مذهب آل سعود، وإنما كان هؤلاء حنابلة اعتنقوا في العقائد والفقه مذهب محمد بن عبد الوهاب وهو يعتنق فيه مذهب ابن تيمية في العقائد والفقه، ومذهب ابن تيمية في العقائد هو مذهب جمهور المسلمين، وهو يمنع التوسّل والتقرب بالموتى ولو كانوا من [أهل] الصّلاح والتقوى في حياتهم، ومذهبه في الفقه هو مذهب الإمام أحمد مع بعض مسائل أفتى بها ولم يكن فيها مقلّداً لأحد بل كان متبّعاً لكتاب الله وسنة رسوله) انتهى مختصراً.

ثم يسّر الله لدولة التّوحيد والسّنة من وسائل الطّبع والنشر ما ميّزها من جديد بطبع ونشر مراجع الفقه الحنبلي لأول مرة في تاريخ المسلمين وكان أوّلها: (المغني والشرح الكبير) في عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، وتميّزت دولة التّوحيد والسّنة بجمع وطبع وإحياء فقه ابن تيمية في عهد الملك سعود رحمه الله فانتدّب الشيخ عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمّداً لجمع فتاوى ابن تيمية رحمه الله من مكتبات العالم ثم طبّعها في ٣٧ مجلّداً خدمة للإسلام والمسلمين، ثم يأتي سفيه من سفهاء الصّحافة فيحسب هذه الميزة والمّنة والنّعمة من الله على البلاد والدّولة المباركة جريمة ومصيبة، وحقّ أن يقال في حرّية الصحافة التي جرّته إلى هذا الدّرك ما قالته إحدى ضحايا الثورة الفرنسيّة الظّالمة: (أيتها الحرية [الصّحفيّة] كم باسمك تقترف الآثام).

٦ - يقول الصحفي عن ابن تيمية رحمه الله: (إنّه إقصائي أحادي لا مكان للرأي الآخر عنده، عاطفي وانفعالي، ويحدث أن تصدر بعض فتاويه كردود أفعال [لاحظ كاف التّشبيه في غير محلّها مع غيرها من الألفاظ

الصَّحْفِيَّة الدَّارِجَةُ [غير موزونة].

وفي مقابل الرأي الصحافي الآخر - الجاهل بشرع الله وبالفقه وبالفقهاء فيه يقول عنه تلميذه ابن القيم بأنَّه من هداه الله به إلى صحيح الاعتقاد والسنة في منظومته النونية (الكافية الشافية).

ويقول عنه الحافظ ابن عبد الهادي في كتابه (العقود الدرّية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية): انبهر أهل دمشق من فرط ذكائه وسيلان ذهنه وقوة حافظته وسرعة إدراكه.. حتى انتهت إليه الإمامة في العلم والعمل، والتواضع والحلم، والأناة والإنابة، وحسن الخلق ونفع الخلق والإحسان إليهم، والصبر على من آذاه والصّفح عنه والدعاء له).

ويقول عنه الحافظ المزّي: (ما رأيت مثله، ولا رأيت أحدا أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولا اتبع لهما منه).

ويقول عنه الحافظ ابن سيد الناس اليعمري: (كان يستوعب الشُّنن والآثار حفظاً؛ إن تكلم في التفسير فهو حامل رأيته، أو أفتى في الفقه فهو مدرك غايته، أو ذاكر بالحديث فهو صاحب علمه وروايته).

ويقول عنه الحافظ الذهبي: (كان يَحْضُرُ المدارس والمحافل في صِغَرِهِ ويُناظر ويُفحّم الكبار ويأتي بما يتحيرّ منه أعيان البلد في العلم). ويقول: (كان يقضى منه العجب: إذا سئل كأنَّ السَّنة بين عينيه وعلى طرف لسانه).

ويقول عنه ابن كثير: (صار إماماً في التفسير، عارفاً بالفقه، وكان عالماً باختلاف العلماء، عالماً في الأصول والفروع والنحو واللغة وغير ذلك من

العلوم الثقلية والعقلية، وما تكلم معه فاضل في فنٍّ من الفنون إلاَّ ظنَّ أن ذلك الفنَّ فنّه، وأثنى عليه جملة من علماء عصره مثل الخوي وابن دقيق العيد وابن النّحاس وابن الحريري وغيرهم).

وقال عنه ابن الزمكاني: (اجتمعت فيه شروط الاجتهاد، وأنَّ له اليد الطّولى في حسن التّصنيف، وكان عمره يومئذ نحو الثلاثين سنة).

ويقول عنه الشيخ محمد حامد الفقي: (نشأ شيخ الإسلام رحمه الله في هذا الجو المظلم بمتكاثف سُحُب الصوفية الوثنيّة وسُحُب الفلسفة الهندية والفارسيّة واليونانيّة، وسُحُب التّقليد الأعمى.. نشأ في هذه البيئة ليكون آية الله في خلقه وحبّته على الناس).

هذا بعض ما عرّف به علماء السنة ابن تيمية رحمهم الله جميعاً، وتقدّم ما ذكره الشيخ محمد أبو زهرة من علماء العصر عن ابن حنبل وابن تيمية رحمهم الله وما تميّزت به دولة التوحيد والسّنة من أتباع ونشر فقهما في الدين الموافق لمنهاج النبوة.

وأخيراً نختم هذا السجل الموجز من التوثيق والتّقريض والشهادة لله بسطور قليلة من كتاب الشيخ أبي الحسن النّدوي عن ابن تيمية رحمهما الله من سلسلة رجال الدّعوة والفقہ في الإسلام، مع ميله رحمه الله إلى الفكر:

(في القرن الثامن الهجري ظهرت الحاجة إلى ردّ فعل علميٍّ شرعيٍّ ضد طغيان الفلسفة وعدوان علم الكلام على العقيدة في الله، ظهر علم الكلام لمقاومة الفلسفة ونصرة الدين، غير أنَّه تأثر بالفلسفة في المنهج والموضوع والأسلوب، فوجدت فلسفة إلهية متأثرة بالفكر اليوناني رغم أنها ظهرت

لمضادته في الأصل.. وظهرت الحاجة إلى عالم كبير له إطلاع واسع على ما واجهته المسيحية والديانات الأخرى من تغيير وتحريف لرد هجمات النصرانية وراء ستار تقدّمها العلمي، وظهرت الحاجة إلى فضح المذاهب الباطنية المنحرفة والحركات الهدامة، وظهرت الحاجة إلى عالم مجاهد يتصدى لمحاربة العقائد الباطلة التي دبّت بين المسلمين من تأثير العجم وتهاون العلماء فأصبح الدّين الخالص والتّوحيد النقيّ وراء حجاب، ونشأ الغلوّ في الأولياء والصّالحين شأن اليهود والنصارى حتى بدأت عقيدة التوسّط والتّقرب بالأولياء والصّالحين شأن اليهود والنصارى ترسخ كما جاء في القرآن من قول مشركي العرب: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾، وأصبح كثير من العلماء لا يرون بأساً في الاستغاثة والاستعانة بغير الله، واتّخذت قبور الأنبياء والصّالحين مساجد، وتحقّق الخطر الذي أنذر به النبي ﷺ وشدّد النّهي عنه.

وظهرت الحاجة إلى مؤمن قويّ ومصلح جريء يتناول طوائف المتصوّفين المنحرفة بتأثير الفلسفة الإشراقية أوتنسك [الهنادكة]، وعقيدة الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، وتقسيم الظاهر والباطن، وفتنة الرّموز والأسرار، والشعوذة والتّهويل..

وظهرت الحاجة إلى محدّث فقيه وأصوليّ ضليع، مطّلع على المذاهب الفقهيّة لا يتعدى حدود السّلف مع قوة استنباطه وتحقيقه، عارف بمكانة الأئمة المجتهدين وفضلهم وحقّهم، جامع بين العلم والعمل والسّيف والقلم؛ فكان ذلك الرجل هو شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية الذي لا تزال آثاره خالدة على مرّ القرون والأجيال).

وصلی الله وسلم وبارک علی محمد وعلی آله وصحبه ومتبعي سنته.

الحدائة الإسلامية (١)

اطلعت علی تصريح لمدير معهد الفكر الإسلامي العالمي في أمريكا عن عزمهم علی: (إغراق المجال الإسلامي بإنتاج فكري إسلامي جديد لمثل الغزالي وعبد الحميد وعمر وغيرهم)، أرجو الله أن يجنب الإسلام والمسلمين سوء عاقبته.

وعاقبة تذليل شرع الله لفكر قاصر (وكل من ذكرهم قاصر في علوم الشريعة) لا تكون إلا شرًا وخروجًا عن سبيل المؤمنين من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين لهم بإحسان (في القرون الثلاثة المفضلة) رضي الله عنهم وأرضاهم.

وقد اصطلى الإسلام والمسلمون بعواقب هذا الانحراف في البداية عندما حدثت لوثة الخلط بين الوحي والفكر الوثني - الهندي واليوناني - وفي النهاية حيث تحدث لوثة الخلط بين الوحي والفكر الإسلامي - الولد غير الشرعي للثقافة الغربية المعاصرة -.

يا حسرة علی المسلمين؛ يُخربون دينهم بفكر أبنائهم ومن ورائه فكر أعداء دينهم وأمتهم بما يقيمون من مؤسسات فكرية بما استخلفهم الله فيه من أموال المسلمين لينظر كيف يعملون.

والهدف المعلن: تجديد الدين بفهم يناسب العصر كما ينعتق المفكرون منذ

عاد الأفغاني ومحمد عبده من باريس بالفكر، تجاوز الله عن الجميع.
والنتيجة المحققة (إلا أن يشاء الله): تغيير خلق الله بتغيير دينه.
منذ سمعت بإنشاء المعهد توجّست شراً؛ لأن الحركيّة والفكريّة التي لا
تستند إلى الوحي وسبيل المؤمنين الأوّلين في فهمه لم تنتج لنا في القرن الماضي
إلا غثاءً من الظنّ والعاطفة، يحسبه الكاتب والقارئ ماءً ثم يتبيّن أنّه ممّا يُلقِي
الشیطان على الأمانى ليشغل به المسلمين عن الحقّ الأبلج من وحي الله.
وقد حذر الله تعالى من اتباع الظنّ والعاطفة وترك الوحي اليقيني: ﴿إِنْ
يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾.
دين الله والدعوة إليه مبنيان على اليقين وإن ظنّ بعض كهول الفكر -
مثل الغزالي - وأفراخهم - مثل طه وعبد الحميد وعمر هداانا الله وإياهم جميعاً
- أنّهم آتون بما لم تستطعه الأوائل: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.
وصدق رسول الله ﷺ: "حتى إذا لم يُبْقِ عالماً اتخذه الناس رءوساً جهالاً
فضلّوا وأضلّوا".

وعجبٌ تسويغهم ما هم مقدمون عليه من المنكر ومدبرون عنه من
المعروف اليقيني بأن الله خاطب مختلف الطبقات فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وقال:
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾.. كيف بلغ منهج الفكر بمدير معهده من البعد عن منهج
الوحي أن يظن أن أمر الله الناس بالتقوى (مثلاً) يُستثنى منه المؤمنون؛ وأنّ أمر
الله المؤمنين بالطاعة وبالاتباع يستثنى منه الناس؟ أليس كلّ الإنس والجن
(الأمس واليوم والغد) مخاطبون بالقرآن كله وبالسنة كلها حتى تقوم الساعة؟

أصلح آخر هذه الأمة بغير ما صلح به أولها؟ ألم يكمل الله الدين ويؤتمم النعمة قبل أن ينقطع الوحي بموت النبي ﷺ؟

لا أرى إلا أنهم يفتحون على الناس باب ضلالة كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: (فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم).

وليعلم (المفكرون) أن الله أرسل رسوله ﷺ بما أرسل به الرسل من قبله على اختلاف المكان والزمان والحال، وهذه الرسالة الأخيرة من الله هي للثقلين في كل مكان وكل زمان وكل حال حتى تقوم الساعة، ولو كان بينهم عالم شرعي واحد يستحق هذا اللقب لأدركوا حدودهم ولما ذهب بهم الغرور خارج هذه الحدود.

ولتذكر أن اقتناع أي منا برأيه لا يدل على صحته؛ فلنعد إلى كتاب الله وسنة رسوله وفهم السلف (في القرون المفضلة) لهما ولنتوقف عن إنفاق أموال المسلمين في بلاد التوحيد والسنة على الحركية الحزبية المبنية على الظن والخرص: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ﴾ ولنحول معهد الفكر في أمريكا وجامعته في ماليزيا إلى مؤسسة لنشر شرع الله بلا تغيير ولا تبديل ولا تحريف ولا تأويل؛ فلا تجديد لهذا الدين إلا بالرجوع به إلى منبعه وإزالة ما علق به من بدع الفكر والقول والعمل، وما أكثر الفكر الإسلامي إلا مكر من الشيطان يخدع به الحركيين ليستبدلوا الذي هو أدنى (الفكر) بالذي هو خير (الوحي)، وكل مناهج الدعوة باطلة إلا منهج النبوة.

لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في فقه الأئمة كلمة: فكر، ولا كلمة:

إسلامي، وإنما ورد الحث على اتباع الوحي والتفقه فيه والعص على ذلك بالنواجذ، والنهي عن المحدثات في الدين، على مثل ذلك يجب أن نحیی وعليه يجب أن نموت غير منحرفين ولا مُفرطين ولا مُفرّطين.

لا أشك في حسن نية القائمين على المعهد ومؤسساته وإنتاجه ولا أشك في فساد سعيهم، وفيما يتعلّق بشرع الله لا بد أن يقترن صلاح النية بصلاح العمل فقد قال الله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ آتَخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴾.

هدى الله الجميع للإتباع وأعاذهم من الابتداع وصلى الله وسلم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.

١٤١٢/٩/٣٠هـ

الحداثة الإسلامية (٢)

قرأت في عدد مجلة المنار ١٨ الصادر في محرم ١٤٢٣ مقالاً بعنوان:
الصَّحوة الإسلامية.. خواطر في فقه المنهج لمحمد بن المختار الشنقيطي (كاتب
موريتاني مقيم بالولايات المتحدة).

ولم يوفق هداانا الله وإياه إلا في إثبات أن المجلة منارٌ للفكر لا للشرع ولا
للحق ولا للعدل، وكلمة (فقه) في عنوان مقاله مجرد ادعاءٍ ينفيه كل ما سَوَّدَ
به الصفحات من ١٤ إلى ٢٥، وَفَرَّقَ عَظِيمٌ - قد لا يدركه الكاتب - بين الفقه
في نصوص الوحي على منهاج أئمة الفقه في القرون المفضلة وبين الفكر ولو
وُصِفَ زوراً أو خطأً بالإسلامي؛ فالأول مُتَمِّمٌ إلى اليقين، والأخير مُتَمِّمٌ إلى
الظن على أحسن أحواله.

لم يتضمَّن المقال نصًّا من الكتاب ولا من السَّنة ولا من فقه السلف في
الدين، وإنما امتطى وهمه وهواه وفكر من وصفهم بأنهم (خيرة العقول المسلمة
في القرن العشرين) ص ١٥، وليس فيهم عالم بشرع الله ولا داع إلى الله على
بصيرة، بل هم بين: (إقبال) التَّائِه بين الفلسفة الضالَّة والتصوُّف الضالَّ إذا
صَحَّت الترجمة عنه، (ومالك بن نبي) الذي حاول أن يقبض قبضة من أثر
(الإبراهيمي وابن باديس ومبارك الميلي) رحمهم الله الدُّعاة حقًّا إلى الله على
منهاج النَّبوة، العلماء حقًّا بشرع الله، الذين أزال الله بهم معظم أوثان الجزائر

وبدعها؛ فشغله عن ذلك مثل ظن (إقبال) أن (المطلوب ليس العلم بالله بل الاتصال بالله والانكشاف للحقيقة الخالدة: تجلّي الذات العلوية) ص ١٧ نقلاً عن (وجهة العالم الإسلامي لمالك بن نبي ترجمة عبد الصبور شاهين ص ٥٤ ط ٥ دمشق ١٩٨٥)، بل فكر (بلزاك) ص ١٧، و(عبد الله نصيف) الذي ظنّ أننا (نحن المسلمون أشد أعداء الإسلام.. لا نزال نحارب المعتزلة، بينما يجب علينا التعامل مع الأفكار الطرية في ثقافتنا) ص ١٧، وهو هدايا الله وإياه لأقرب من هذا رشدًا شغلته (الأفكار الطرية) عن الإقتداء بجده محمد نصيف رحمه الله وكان علماً من أعلام الدين الحق، ونشر علوم الشريعة ونصر أهلها، وتأييد دعوة الحق من أول يوم، وكان منزله في جدة أول منزل للملك عبد العزيز رحمه الله عندما اختاره الله لتطهير بيته - وما حوله - من أوثان المشاهد والمزارات والأضرحة وبدع الفكر الصوفي والفساد الديني والديوي، و(الغنوشي) الذي يصف بعض علوم الاعتقاد وبخاصة الرد على المعتزلة والفلاسفة والأشاعرة (بالزيف) ويحكم عليها (بالدفن) ص ١٨ لتبقى حركته الضالة عن منهاج النبوة، ونظم ركيك (لعبد الله الحامد) يمثل ضياعه ومحاولة إظهار نفسه بأيّ كلام لا يفيد في الدنيا ولا في الآخرة، وأخيراً فكر (فكر) ضابط وكالة الاستخبارات الأمريكية (وبورغا) الخبير الفرنسي في الحركات الإسلامية و(الحكيم الإفريقي نلسن مندلا)، وبمثل هؤلاء ضلّ الفكر الإسلامي.

٢ - وكما توهم سيّد قطب رحمه الله تقصير السلف منذ عصر نزول

القرآن عن إبراز الجمال الفني في القرآن بانشغالهم بمعانيه وألفاظه (التصوير الفني في القرآن ص ٢٦ - ٢٧ طبع دار الشروق عام ٢٠٠٠)؛ توهم الشنقيطي هداه الله تقصير الفقهاء منذ القرن الأول عن الاهتمام بالجوانب السياسية والإدارية والتنظيمية، وانشغالهم بفقه المبدأ عن فقه المنهج (ص ١٤). والتفريق بين فقه المبدأ وفقه المنهج حلقة جديدة في سلسلة الابتداع الضالة بعد التفريق بين الظاهر والباطن وبين الحقيقة والطريقة، وإذا كان للمسلمين أن يكونوا (أشدّ أعداء الإسلام) كما نقل الشنقيطي عن نصيف (ص ١٧)؛ فأقرب صور هذا الإثم العظيم أن يتجرأ كتاب الفكر (الموصوف بالإسلامي زورًا) على مخالفة منهاج الصحابة والتابعين وتابعيهم في القرون المفضلة وهم المؤمنون الذين أمرنا الله باتباع سبيلهم: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

ولم يكن من سبيل الرسول ﷺ ولا أصحابه ولا أتباعه في القرون المفضلة: إبراز الجمال الفني في القرآن - كما يؤكد سيّد -، ولا كان من سبيلهم الاهتمام بالجوانب السياسية والإدارية والتنظيمية والتفريق بين فقه المبدأ وفقه المنهج - كما يؤكد الشنقيطي -. وهذه خطب النبي ﷺ يوم الجمعة وهي القدوة المفروضة في الدعوة لم تذكر مرة واحدة تنظيمًا إداريًا ولا حدثًا سياسيًا ولا طارئًا من الطوارئ على كثرتها وأهميتها ويقينها كما ثبت في صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها وفي كل ما ثبت من خطب النبي ﷺ وأصحابه ومتبعي سنة في القرون المفضلة، وكان أكبر همهم في تعلّم

القرآن: تدبر معناه، وكان أكبر همّهم في الدّين والدّعوة: أحكام الاعتقاد ثم العبادات ثم المعاملات لا كما يتوهم الشنقيطي ومن استشهد بفكرهم الضّال هدانا الله وإياهم جميعًا.

٣ - والشنقيطي (ردّه الله إلى شرعه ووحيه) يرى علاج مشكلات الصّحوة: (استنباط قواعد منهجيّة جديدة، والبحث عنها في ثنايا الحكمة الإنسانية عامّة، والاستفادة من التّراث الإنساني المعاصر والحضارة المعاصرة في مجال الفكر الاستراتيجي والتنظيمي) ص (١٥)، والحقّ أن أكبر مشكلات ما يسمّى بالصّحوة الإسلامية انشغال قادتها بالفكر الاستراتيجي والتنظيمي والفلسفي والصّوفي عن الرّدّ عند الاختلاف إلى الله والرّسول، وعن طاعة ولادة الأمر، وعن الرجوع إلى منهاج النّبوة وجماعة المسلمين ونّبذ مناهج البشر غير المعصومة وأحزابهم التي فرّق الشيطان بها شمل المسلمين، ونّبذ (الفكر الإسلامي) المنحرف الذي زيّنه الشيطان لأكثر المجلات الإسلامية ولمعهد الفكر الإسلامي العالمي في أمريكا وجامعته في ماليزيا ومفكره وإنتاجه؛ زيّنه بنفته ووسوسته، وحقّده على خير أمة أُخْرِجَتْ للناس (في القرون الثلاثة الأخيرة) منذ القرون الأولى المفضّلة: جدّدت الدين للناس بالرجوع به إلى نصوص الكتاب والسّنة بفهم سلف الأمة المعتدّ بهم، وقاتلت "لتكون كلمة الله هي العليا"، وأزال الله بها البدع، ومحا بها أوثان المقامات والمشاهد والمزارات من كربلاء إلى بحر العرب ومن الخليج إلى البحر الأحمر، (وكان من بينها وثن ذي الخلصة الذي أمر النبي ﷺ بهدمه وأخبر عن عودته)، ولمّا

قامت دولة البغي والظلم والبدع: الخرافة العثمانية غير الرّاشدة وغير المهدية بتدميرها - فيما يشبهه د. صالح العبود رئيس الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية بالحرب الصليبية في مقدمته لكتاب (حقيقة الدعوة إلى الله تعالى ص ١٤ ط ٤) وفيما يصفه بالحملة الصليبية د. زكريا سليمان بيومي أستاذ التاريخ الحديث في جامعة المنصورة بمصر في هذا العدد من مجلة المنار الجديد ص ٩٠؛ أعادها الله فقامت بقيادة الملك عبد العزيز آل سعود بما قامت به الدولة الأولى من إزالة البدع والأوثان التي أعادها سلطان آل عثمان، ولا زالت الدولة المسلمة الوحيدة التي منعت بناء المساجد على القبور ومنعت ما دون ذلك من البدع وزوايا التصوّف بوازع السلطان أكثر من وازع القرآن، ونشرت الكتاب والسنة داخل البلاد وخارجها، وأسست معاهد وكيّات وجامعات ومراكز الدين في الداخل والخارج، وطبعت ووزعت لأول مرة في التاريخ المراجع والكتب الدينية وأهمّها: جامع الأصول وتفسير الطبري وابن كثير والمغني والشرح الكبير ومجموع فتاوى ابن تيمية بعد جمعه من مكتبات العالم، فضلاً عن طباعة المصحف وكتب الحديث، وخدمة وتوسعة وتطهير الحرمين مما يصعب حصره.

ولكن هذا الكاتب يلومها على (التّحالفات والمعاهدات وعلى صلاتها الدّولية التي يدّعي أنها تحتمي بها) ص ٢٠، ويزيغ فكره عن تذّكر تحالف النّبي ﷺ وتعامله مع المشركين بل ودخوله في جوار المطعم ابن عدي المشرك، بل يزيغ فكره عن تذّكر أنّه هو (صاحب الفكر المنحرف عن منهاج النبوة في

الدين والدعوة) مهاجرٌ من بلاد المسلمين إلى بلاد أغلبية أهلها نصارى وسياستها علمانية، إما بدعوى (الاحتفاء) دون ضرورة أو في ملاحقة للدولار، ومن وراء ذلك ومن دونه: الانتفاء والولاء والحياة بين غير المسلمين وفي ظلّ راية نظام العلمانية، ومثله كثير من المفكرين والمعارضين الإسلاميين (زعموا) كفى الله الإسلام والمسلمين شرهم.

٥ - ويلوم الكاتب الضالّ عن منهاج النبوة دولة الدعوة إلى منهاج النبوة (من أوّل يوم) على كثرة أفراد الأسرة الحاكمة وهو لا يعقل أنّه بهذا التخريف يخالف شرع الله ووحيه؛ فقد شرّع الله كثرة النسل: "فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة". وهو يخالف قضاء الله وقدره: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنِئْنَا وَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ۖ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثًا ۖ وَبَجَعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا﴾.

وهو يغتاب - بل يبهت - خير من أعطاه الله الملك في القرون الثلاثة بل العشرة الأخيرة، ويعصي قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا﴾، وهو يحاول إثارة الفتنة في خير أرض وخير دولة: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمْعُونَهُمْ﴾، ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾.

٦ - ويهذي الكاتب هذيان الحقد أو الجنون فيلوم السعودي على اهتمامه (بتفاصيل عمل الحركات التنصيرية عبر العالم ووسائل تأثيرها على المسلمين في غرب إفريقيا وجنوب شرقي آسيا وهو غير مطلع على أساليب عمل السلطة في بلده وصلاتها الدولية).. إلخ (كما أنّه لا يعرف عدد أفراد الأسرة) ويلوم غير السعودي على معرفته (دقائق تاريخ الإخوان المسلمين وعن قادة

الأحزاب الأفغانية... وهو لم يسمع باسم الفضيل الورتلاني ولا قرأ لِعَلَّالِ الفاسي أو مالك ابن نبي، ولا هو يعرف عدد الوزراء في حكومة بلاده) ص ٢٠، أشكر الله الذي شغلني بالدعوة إليه عن القراءة للورتلاني والفاسي، ولم أقرأ لمالك بن نبي إلا قليلاً ثم صرفني عنه اعتماده على الفكر أكثر من الوحي الأمر الذي حبّبه إلى الشنقيطي، ولن يسألني الله عن عدد الوزراء في حكومة بلادي المباركة، ولا عن عدد أفراد الأسرة المالكة أعزّهم الله وأعزّ بهم دينه، وإن علمت - بالصدفة المقدّرة - أن المفكّر المحقّق عبدالرحمن الرّويشد رئيس تحرير مجلة الدعوة عدد سنين ومؤسّس مجلة الشبل أحصاهم بأسمائهم ذكوراً وإناثاً، صغاراً وكباراً، أحياء وأمواتاً، منذ محمد بن سعود (الذي نصر الله به وبأسرته دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حياته وبعد موته بأكثر من قرنين) فلم يتجاوز عددهم (٢٩٠٠). وإني لأضرع إلى الله أن يكثر عددهم ويحفظهم ذخراً لحفظ دينه وقدوة صالحة للمسلمين، وأن يقلل عدد الكتاب ممن هم على شاكلة محمد بن المختار الشنقيطي ويردّ كيدهم في نحورهم.

٧ - والشنقيطي يناقض فكّره الفاسد فكّره الفاسد في هذا المقال كما هي صفة الفكر اللازمة للتناقض والاختلاف: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ ؛ فهو ومن على شاكلته يسخرون من الرّد على المعتزلة وأمثالهم بعد انقضاء عصرهم (بل من التذكير بشرع الله في الوضوء والغسل والحيض والنفاس وغيرها من أحكام الاعتقاد والعبادة) ثم هو ينقل كلام ابن نبي في مدح ابن تيمية بأنه (لم يكن عالماً كسائر الشيوخ)، وزاد الشنقيطي على

ذلك بادّعاء: (وقوفه في وجه حكام الجور) ص ١٨، وهذا الادعاء افتراء على ابن تيمية فهو متّبع للأمر بالصبر على الحكام ولو ظلموا كما في الصّحيحين وغيرهما، وأكثر كُتُب ابن تيمية ردّ على الفلاسفة والمعتزلة والقدرية والمرجئة والصّوفية، وبيان أحكام الشريعة في الاعتقاد ثم العبادة ثم المعاملة.

وفي الصّحيفة نفسها يذكر ما يلي: (الشيخ محمد بن عبد الوهاب الذي كان رجلاً عملياً.. بنى التحالفات السياسيّة والقبليّة وحمل السلاح وهدم أوكار الخرافة والدجل) ثم هو في ص ٢٠ يسبّ الدّولة المباركة التي نصّر الله بها وحدها دعوة الحقّ في عهد محمد بن سعود وفي عهد ولديه عبد العزيز وسعود قبل وبعد موت الشيخ محمد رحمه الله جميعاً عام ١٢٠٦، ثم في عهد تركي بن عبد الله في المرحلة الثانية، ثم في عهد الملك عبد العزيز وأبنائه الملوك في المرحلة الثالثة حتى اليوم بعد قرنين من موت الشيخ محمد، وهم حماة دعوته بفضل الله بهم وعليهم. ولا تزال هذه الدّولة المباركة وحدها - لأنها أُسّست من أوّل يوم على الدعوة إلى الله على منهاج النّبوة - تخلو مساجدها من القبور، ولا يحصل على جنسيّتها إلا مسلم، ولا توجد فيها زاوية صوفيّة واحدة، ولا يُعلن فيها مولد، ولا يُحتفل بعيد غير عيدي الإسلام، ولا يُبنى على القبور، ولا يُباع الخمر ولا الخنزير في أسواقها، ولا يختلط الرّجال بالنّساء في العلم ولا العمل، ولا توجد بها ملاهٍ ليليّة ولا دور للسّينما، ويوقف العمل والتجارة واللهو أثناء كلّ صلاة، هذه بعض مزاياها ليتعلّم الجاهل ويزداد غيظ الحاقد: ﴿قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ﴾. ولا يزيح الإثم عن جمال سلطان، ولا عن مجلّته، ولا عن دار المنار

الجديد للنشر والتوزيع بالقاهرة، ولا عن التجمع الإسلامي في أمريكا الشمالية
ادعاء (أن المقالات المنشورة تُعبّر عن آراء أصحابها)، فكلُّ راعٍ ومسؤول عن
رعيّته، والله أعلم بما في نفوسكم وسيحاسبكم على ما حمّلتكم أنفسكم من نشر
ضلال الفكر، تجاوز الله عنا وعنكم.

وصلّى الله وسلّم وبارك على محمد وعلى آله وصحبه ومتبعي سنته.

خطبة الجمعة الفكرية

وصلني العدد ٢٤٠ من مجلة التوعية من منشورات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة، وقد لاحظت أن منهج الكاتب في إعداد خطبة الجمعة ص ٩٢ - ١٣٤ مخالف لمنهاج رسول الله ﷺ (وهو الأسوة بأمر الله تعالى)، ومنهاج خلفائه الراشدين المهديين (وهم القدوة بأمره ﷺ) وفقه أئمة الهدى في القرون المفصلة بخبره:

١ - وُفِّقَ وفقنا الله وإياه إلى إدراك الحقيقة في أن (حياة الناس وأحوالهم في كل زمان ومكان صورة واحدة فأحداث اليوم هي أحداث الأمس والبواعث والمثيرات في الماضي هي ذاتها في الحاضر)، (ينبغي الانطلاق من المسلّمات في الكتاب والسنة وأقوال أهل العلم... وبهذا تؤدي الخطبة دورها في جمع الكلمة والتمسك بشعب الإيمان)، (من أغراض الخطبة تثبيت العقيدة وتقوية الإيمان والدعوة إلى الإسلام ومسائل الإسلام).

٢ - ولم يُوفِّقْ هداًنا الله وإياه إلى وزن بقية مقاله بميزان شريعة الله وسنة رسول الله ﷺ وخلفائه وورثته علمه في أغلب رأيه؛ فمع إشارته إلى العقيدة والأحكام الشرعية، وَضَعَهَا في أسفل سلّم الخطب بعد الخطب النيابية والانتخابية والثقافية والعسكرية. واستشهد بقول منسوب إلى (أفلاطون) رأس الإلحاد والفلسفة الوثنية، ولم يستشهد بخطب النبي ﷺ وخلفائه وفقهاء الأمة في القرون المفصلة في موضوع الخطبة؛ ووصف من مصادر الخطبة: بعض كتب

التصوف مثل (إحياء علوم الدين للغزالي)، والشيعة مثل (الخطب المنسوبة لعلّي رضي الله عنه)، و(كتب الأدب القديم والحديث) للغافلين عن الشريعة أو مخالفيها، وخطبة الجمعة عبادة، والعبادة ليس لها مصدر صحيح غير كتاب الله وسنة نبيه وفقه أئمة القرون المفضلة، ويجب تنزيهاها عن الظنّ والابتداع والفكر.

٣ - وأخطأ عفا الله عنا وعنه في الحثّ على : (أن يلائم موضوع الخطبة الأحداث الجارية) و(مجاراة الأحداث) وقد ذكر جزاءه الله خيراً: (أن يتخوّل الخطيب جمهوره بالتذكير بفرائض الإسلام)، ولكن الصياغة تدلّ على الاهتمام بالطوّارئ أكثر من الثوابت.

ومنهاج رسول الله ﷺ وخلفائه وصحابته وفقهاء الأمة قبل أن يغتصب الفكر الإسلامي الضالّ مكان الوحي: قَصُر الخطبة يوم الجمعة على الثوابت الشرعية: التوحيد والشرك، السنة والبدعة، الحلال والحرام، الموت والحشر والجزاء، والتذكير بالله عموماً؛ كما ثبت في صحيح مسلم عن أم هشام بنت حارثة رضي الله عنها: (كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنة، وما أخذتُ ﴿قَدْ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾ إلا من فيه، كان يقرؤها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس)، مهما كثرت وعظمت وتالت الأحداث الجارية وهددت حاضر ومستقبل الإسلام.

٤ - ويزيد الخطأ سوءاً وضع الكاتب عفا الله عنا وعنه من مصادر الخطبة: (الصّحف والمجلّات) ومعلوم أنها من أسوأ مصادر الظنّ والفساد، ولا يليق بالمسلم ربطها بشرع الله في عبادة مفروضة ولا مندوبة استجابة لأمر الله تعالى:

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا﴾؛ فهي اختيار لغير ما اختار الله لعباده الصالحين: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾.

٥ - وَوُفِّقَ وفقنا الله وإياه إلى وصف القرآن: (المصدر الأول من مصادر الخطبة) وأخطأ عفا الله عنا وعنه في إشارته إلى (أسرار من المعاني العميقة في القرآن) خلافاً لوصف الله تعالى للقرآن باليسر والبيان، ووصف كلام الله بالأسرار لا يليق بغير الباطنية والصوفية والمبتدعة.

ومع دعائي بالعفو والعافية للجميع وبالتوفيق لأقرب من هذا رشداً، فإن هذا النوع من التوعية لا يليق بدين الله الحق ولا بالبلاد والدولة التي ميّزها الله بالتأسيس من أول يوم على شرعه، ثبتها الله عليه.

١٤١٨/١٢/٢٥ هـ

خطبة الجمعة الصحفية

في زاوية: (رزقي على الله) لأحد الصحفيين الجهلة بشرع الله بعنوان:
(خطبة الجمعة) في العدد ١٤٨٥٢ بتاريخ ٢٨ / ١٠ / ١٤٢٤ هـ ظن:

١ - أن خطبة الجمعة (درس)، وهذا صحيح، بل هي (الدرس) الشرعي الوحيد المفروض في دين الله، وغايته: تعليم الناس دينهم من اعتقاد وعبادة ومعاملة بما ورد في كتاب الله تعالى أو سنة رسوله ﷺ بفهم الأئمة المعتمد بهم في القرون المفضلة.

٢ - أن خطبة الجمعة (متابعة لأحداث وهموم واحتياجات وقضايا الناس)، وهذا ما لم يقله الله ولم يستنه رسوله ولا خلفاؤه ولا صحابته ولا متبوعوا سنته من فقهاء القرون المفضلة، وإنما ابتدعته أهواء الناس بعدهم وبخاصة في القرن الأخير: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ﴾، وبخاصة بعد عودة الأفغاني ومحمد عبده من أوروبا.

٣ - أنه يأسف لأن خطب بعض الأئمة (لا تتجاوز قراءة قديمة لقضايا تقليدية واستشهادات مكررة من الكتاب والسنة). وهذه القضايا التقليدية القديمة بين أمثلة لها: (نواقض الوضوء والدعاء والتخويف من النار).

ولولا أني أحسن الظن بالنية وأرى العذر بالجهل لخشيت على الكاتب الكفر، وعقاب الله له، أما (الرزق) فلن يقطع إلا لو اعتدى على مهنة الطب ونحوها من المهن، أما شرع الله والقول عليه بغير علم فقد صار حمى مستباحا

يعتدي عليه الطَّبيب والصَّحفي والممثل، والشكوى إلى الله.

٤ - خطبة الجمعة يا أخي عبادة مفروضة لا يصلح فيها إلا الآية من الكتاب، والحديث الصحيح من السنّة، والحكم الشرعي من فقه الفقهاء الأوّل في الدّين، والدعاء، والتذكير بالموت وما بعده والاستعداد له. قد يسمّيها الكاتب قضايا تقليديّة قديمة مكرّرة، ولكنها هي ما خُلِقَ الإنسان له، وهي ما يحتاجه في كل عصر، وهي التي يستوي الناس في الحاجة إليها. وهذا الدّرس الديني الذي فرضه الله مرّة في الأسبوع لا يستغنى عنه مسلم في حياته ولا بعد مماته، والظن لا يغني شيئاً. أمّا (متابعة الأحداث) فلن يُسأل عنها كلّ مسلم في قبره ولن يحاسب على تركها، ومكانها الجرايد والإذاعات ووسائل الإعلام الأخرى، ولو وَلَغَ فيها خطيب الجمعة كما يفعل اليوم أكثر الخطباء؛ فلن تكون الخطبة إلا نسخة باهتة مكرّرة لما ورد في الجريدة والإذاعة أو الإشاعة، وهي في أحسن أحوالها ظنٌّ لا يليق بالعبادة المبنية على اليقين من الوحي والفقہ في الدين.

وقد مرّت أحداث عظيمة على عهد رسول الله ﷺ وهو وحده القدوة: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾؛ مرّت غزوة بدر وقبلها الهجرة والإسراء والمعراج، وبعدها الغزوات الأخرى وقضية الإفك، فلم يذكرها مرّة واحدة قبل حدوثها ولا أثناء حدوثها ولا بعده إلا أن تكون آية تتلى أو حُكِّمَ شرعياً مثل: (الوضوء والغسل والحيض والنّفاس) التي يسخر منها الصّحفيّون اتّباعاً للحزبين الصّالّين. وتكرار الخطبة سنة ثابتة؛ فالدين لا يتغيّر بتغيّر الزمان أو المكان أو الحال،

وأصح ما ورد عن خطب النبي ﷺ ما أخرجه مسلم في صحيحه عن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها: (كان تنورنا وتنور رسول الله ﷺ واحداً سنتين أو سنة وبعض سنه، وما أخذت ﴿ق﴾ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ﴿﴾، إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرأها كل جمعة على المنبر إذا خطب الناس).

وقال الشافعي رحمه الله في (الأم ١/٢٠٣): (يخطب الإمام بحمد الله والصلاة على رسول الله ﷺ والعظة والقراءة [من القرآن] ولا يزيد على ذلك). وقال ابن القيم رحمه الله في (زاد المعاد - محقق ١/٤٢٤): (من تأمل خُطْبَ النبي ﷺ وخطب أصحابه وجدَّها كفيلة ببيان الهدى والتوحيد وذكر صفات الله جلَّ جلاله وأصول الإيمان الكلية والدعوة إلى الله وذكر آلائه التي تحببه إلى خلقه وأيامه التي تخوفهم بأسه والأمر بذكره وشكره).

وقال الصنعاني رحمه الله في سبيل السلام ٢/٥٠: (وكانت محافظته ﷺ على الخطبة بسورة ﴿ق﴾ اختياراً منه لما هو أحسن في الوعظ والتذكير، وفيه دلالة على ترديد الوعظ في الخطبة).

وقال سيّد سابق رحمه الله في فقه السنة ١/٣٠٩: (وفي الروضة النّدية: ثم اعلم أن الخطبة المشروعة هي ما كان يعتاده ﷺ من ترغيب الناس وترهيبهم، فهذا في الحقيقة روح الخطبة الذي لأجله شرعت). ونصيحتي لنفسي وإخواني أن يلزم كلَّ حدّه واختصاصه؛ للصّحفيين والكتّاب الانشغال بالتحليلات الفكرية، وللعلماء بشرع الله بيان الحلال والحرام والسنة والبدعة والتوحيد والشرك، و(ترديد الآيات والأحاديث). وفق الله الجميع لأقرب من هذا رشداً.

كل بدعة ضلالة

قرأت في العددین: ٩١، ٩٢ من مجلة التقوى اللبنانية ثلاث مقالات لي فيها نظر:

١ - كتب الشيخ القرضاوي في العدد ٩١ عن تجديد الدين ص ٨، ٩ ويبيّن جزاء الله بهداه أهمّ ما يجب أن يقال عنه: (ليس معنى تجديد الدين أن نهدم القديم ونقيم شيئاً مستحدثاً مكانه)، وهذا هو ما يجب أن يتنبّه له من يوصفون (بالمفكرين الإسلاميين)؛ فليس لتجديد الدين إلا طريق واحد: العودة به إلى ما كان عليه في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد خلفائه الراشدين المهديّين من بعده، رضي الله عنهم وأرضاهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾.

والإسلام هو ما جاء في القرآن وما صحّ من الحديث مقروناً بفهم فقهاء الأمة المعتدّ بهم في القرون المفضّلة. وقال رسول الله ﷺ عن الطائفة الناجية في آخر أمته: "من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي" وقال ﷺ: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عصّوا عليها بالنّواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكلّ بدعة ضلالة".

وعلى هذا فلا صحة لما رآه الشيخ القرضاوي من أنّ علينا: (أن نفهم الدّين فهماً جديداً)؛ فلو فُتح باب (الفهم الجديد)، لدخله كل (مفكر إسلامي) جاهل بشرع الله؛ باب الاجتهاد مفتوح في المعاملات فيما لم يرد فيه آية ولا حديث ولا حدّ من حدود الله، أما العقيدة والعبادة فلا مجال للاجتهاد الجديد

فيهما، وكلّ جديد فيهما شرع لم يأذن به الله. ولا مجال لدعوى (تقديم البديل) فلا بديل لشرع الله إلا الضلال عنه، وما لم يكن في عهد النبوة المعصومة ديناً فلن يكون ديناً إلى يوم القيامة. وإطلاق عنان (الفكر الإسلامي) في أمر الدين أوصل الكاتب نفسه (عفا الله عنّا وعنه) إلى أن يتساءل في ندوة (التعددية في الإسلام): (لماذا لا يتسع الإسلام للتعددية)؟ بعد أن قصّ قصة عن (فرحه بلقاء أحد الصائمين على الطائرة ثم نفوره منه بعد أن يتبين له أنه قادياني)، ثم (رجع إلى نفسه) فوسوست له بهذا السؤال. بل قاده الفكر في مجلة التقوى إلى القول بأنه: (لا يجوز أن يولد في المجتمع المسلم من يشكو من ضغط الدّم ومن يشكو من فقر الدم)، وهذا استدراك على الله لا يمكن تسويغه شرعاً ولا فكرياً (إسلامياً) ولا عقلاً مستقيماً.

٢ - وكتب الأستاذ البوطي في العدد ٩٢، ص ٩، بعنوان (هجرة الرسول ﷺ) فأورد عنها أحاديث صحيحة مسندة وأخرى ممّا حُشيت به التواريخ والسّير؛ فخلط الظنّ باليقين. ولم يعد هذا الصنيع مستغرباً، فجُلّ بضاعة الفكر (الإسلامي) من الظنّ، لا من الوحي ولا من الفقه في نصوصه. ولم يكفّه أن نقلَ الأسطورة عن نشيد ولائد بني النّجار ترحيباً بمقدمه ﷺ إلى المدينة النبوية في هجرته من مكة المباركة؛ وأوّل دليل على كذب القصة أن (ثنيّات الوداع)، لا يمرّ بها القادم إلى المدينة النبوية من مكّة، بل زاد عليها حديثاً لم يعزّه إلى مرجع صالح ولا فاسد: (أُتُحِبُّنِي؟ والله إنّ قلبي ليحبّكن)، ثم بنى على هذا الحديث المفترى على رسول الله ﷺ قصراً من الرّمال: (محبة رسول الله ﷺ ليست في مجرّد الاتباع له)، مما يوهّم بأن دعاة الاتباع يقولون

بذلك، ولم يقل بهذه الدّعى أحد من أهل السّنة ولا البدعة، وإنما الذي يؤكّده دعاة اتّباع السّنة: أن اتّباع سنّة النبي ﷺ دليل على صدق دعوى محبته، وعدم اتّباعها دليل على كذبها، والعلم بما في القلوب خاصّ بالله سبحانه وتعالى لا يجوز لخلقه الحكم عليه، إنما الحكم بعد انقطاع الوحي على الظاهر من القول والعمل، ولكن الكاتب عفا الله عنّا وعنه يميل عن أصل الخلاف كما فعل أكثر من مرّة في كتابه: (السّلفية ليست مذهباً)؛ فسوّغ فيه الانحراف عن السنة وعن منهاج السّلف بأن (العادات تختلف وتتطوّر في اللباس والمباني والأواني) ص ١٤ - ١٧، وأصغر طالب علم شرعي يفرّق بين العادات وبين أحكام العقيدة والعبادة والمعاملة الشرعية في وجوب الاتّباع، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾. وهذا بلا خلاف في أمر الدين لا في أمر الدنيا، وكما ذكر في الكتاب نفسه ص ٢٣٩، ٢٤٠ (ردّاً على دعاة الالتزام بالسّنة): (أن الاستدلال بحديث: "لا تُشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد" على عدم جواز شدّ الرحال إلى قبر النبي ﷺ فمن دونه؛ يترتب عليه عدم جواز شدّ الرحال إلى زيارة رحم أو طلب علم أو انتجاع رزق)، ومرة أخرى لا يفرّق الكاتب بين الدين والدنيا ولا بين ما شرعه الله وما لم يشرعه.

٣ - وفي العدد ٩٢ ص ٤٤ قرّر الشيخ زكريا المصري (أن الاستحسان طريق إلى العودة بالناس إلى الالتزام بالشرع)، وادّعى (أن علماء الأصول قالوا بالاستحسان لأن الحوادث والمستجدّات قد تستدعيه في بعض الأحيان)، وأنهم (عرّفوه بالعدول بحكم المسألة عن نظائرها لدليل خاصّ من الكتاب

والسنة؛ ويا عجباً للدعاوى التي تصادم البيّنات فضلاً عن أنها لا تقوم على شيء منها؛ كيف يكون اتباع الهوى (وهو مصدر الاستحسان) طريقاً إلى العودة بأحدٍ إلى الالتزام بالشرع؟

ومن هم علماء الأصول الذين ادّعى الكاتب أنهم شرعوا أو ابتدعوا الاستحسان وهو شرعٌ لم يأذن به الله كما قال أحد علماء الأصول في القرن السابع: ابن تيمية، مجموع الفتاوى ج ١١، ص ٣٤٤، ٣٤٥: (والقول بالمصالح المرسلة يشرع من الدين ما لم يأذن به الله [غالباً]، وهي تُشبه من وجوه مسألة الاستحسان والتحسين العقلي)، والقول الجامع أنّ الشريعة لا تهمل مصلحة قطّ، بل الله قد أكمل لنا الدين وأتمّ [علينا] النعمة، وكثير مما ابتدعه الناس من العقائد والأعمال من بدع أهل الكلام والتصوّف حَسِبُوهُ نافعاً وحقّاً صواباً ولم يكن كذلك)، بل كثيرٌ من الخارجين عن الإسلام ﴿صَلَّ سَعِيْهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

وكما قال أحد علماء الأصول في نهاية القرن الثاني: (الإمام الشافعي) رحمه الله: (من استحسن فقد شرّع)، وله رسالة مفصّلة عن ذلك بعنوان: (إبطال الاستحسان)، طُبعت على حاشية (الأم).

وكما قال أحد علماء الأصول في بداية القرن الثاني (الإمام مالك) رحمه الله: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها).

ولو تُرِكَتْ أحكام الشريعة للاستحسان اليوم أو غداً حتى قيام الساعة لضاع شرع الله، لأنّ العقول مختلفة وكلُّ يرى صواب رأيه ولو رآه غيره خطأ. عفا الله عنّا وعنهم أجمعين.

كفى الله المسلمين شرَّ الفتن والبدع

وصلني كتاب (حتى لا تكون فتنة) للدكتور غازي القصيبي مع رسالة منه إجابة لرسالة سابقة مني، وبدا لي فيها ما يلي:

١ - واضح لي أن حكمه على طلاب العلم الفكريين (سفر وزملائه) بالخمينة مبني على فهمه لما قالوه في تسجيلاتهم، وأن حكمهم عليه بالعلمانية مبني على فهمهم لما قاله في دواوين شعره، وعلى صفحات المجلات والجرائد، ورسالة الفاكس المزعومة، وكلا الحكمين خطأ؛ فإن رسول الله ﷺ غضب وأنكر على جبه وابن جبه أسامة بن زيد رضي الله عنهما حكمه المبني على فهمه لواقع نُطق المشرك المحارب كلمة التوحيد عندما علا السيف هامته "هلاً شققت عن قلبه"؟

٢ - لقد كتبت لأقربهم إلى منهاج النبوة قبل اتّباعه للفكر مخالفاً تحليلاته السياسية الساذجة وتوقيعه بيان النصيحة المبتدعة لولي الأمر منذ وصول نسخة منه إليّ، ولقد أظهرت الحركة الحزبية الموصوفة زوراً بالإسلامية - وأسلوب البيان من أساليبها - رغبة في اغتصاب السلطة باسم المطالبة بتحكيم شرع الله بمنشوراتها وهجماتها المسلّحة ونشر خارطة في إحدى الصحف العالمية استبدل فيها عنوان (دولة الإخوان المسلمين) - لا الإسلام - بعنوان (الجمهورية العربية السورية) أثناء فتنة حماة لا أعادها الله على المسلمين، وبخوضها الانتخابات مستقلة أو متحالفة مع الأحزاب العلمانية ليحصل ممثلوها على مقاعد في البرلمان بعد أن يُقسّموا على الإخلاص للدستور

(المخالف لشرع الله)، ووزارة العدل المتخصصة في الحكم بغير ما أنزل الله، ورئاسة البلديات التي ترخص أو تجدد ترخيص الخمارات وبناء الكنائس، ووزارة الأوقاف التي تطوّر أوثان المقامات.

وأكبر ظني أن القلة من دعاة السنة - في الكثرة من الحركيين - قد انساقوا إلى السير في نهج الحركية والحزبية بتوقيعهم على البيان كما أخطأوا في انسياقهم إلى السير في هذا النهج المنحرف بتحليلاتهم السياسيّة الساذجة للأحداث في دروس الدعوة الشرعية، وبالتالي الخلط بين الظن واليقين في العبادة التوقيفية منهاجاً ووسيلة كما يرى الشيخ/ بكر أبو زيد وفقه الله في كتابه الفريد: (حكم الانتماء للجماعات والأحزاب الإسلامية).

٣ - سبق أن رحّبت برأيك (أثناء الأحداث في عرب نيوز أو غيرها):
أننا في المملكة المباركة لا نحتاج إلى المنحى الديمقراطي المعاصر فلنا اتجاهنا المستقلّ، وفهمت أنك تقصد أننا محكومون بشرع الله الذي تميّزت المملكة بتأسيسها عليه منذ منتصف القرن الثاني عشر الهجري، وإن صحّ فهمي وفهمك فإننا لا نحتاج إلى انفصال مفتعل بين السلطات وإن تميّزت كلّ سلطة بمسؤوليتها المشروعة، ومع يقيني أن ما لقيصر هو الله من قبل ومن بعد؛ فإن مرجع الشؤون الدينيّة الفقهاء المعتدّ بهم من كبار العلماء، ومرجع الشؤون الدنيويّة الأمراء، ووليّ الأمر العالم بشرع الله مرّجّع فيهما معاً.

٤ - خير مرحلة مرّت بها المملكة المباركة في رأيي: دولة الأئمة محمد بن سعود وعبد العزيز بن محمد وسعود بن عبد العزيز، والإمام المجدد الشيخ

محمد بن عبد الوهاب وتلامذته، للفريق الأول السلطة التنفيذية الدنيوية، وللفريق الثاني الحكم الشرعي والقضائي من الكتاب والسنة والفقه فيهما، رحمهم الله جميعاً وجزاهم خير جزائه عنا وعن الإسلام وعن المسلمين عامة. ثم جاءت مرحلة أكثر تعقيداً بما طرأ من تطوّر دنيويّ وسار الملك عبد العزيز رحمه الله على نهج أجداده من حيث الرجوع إلى العلماء في كل أمر شرعي، وحدث اختلاف في بعض الأمور: أمن الجانب الدّيني أم الجانب الدنيوي: الاستعانة بغير المسلمين في استخراج النفط، الجمارك، وبدرجة أقل: استعمال وسائل دنيوية جديدة مثل السيارة والبرقية والهاتف، وقامت حرب بين بعض الإخوان غير العلماء وبين الملك، ولم يصل الخلاف بين العلماء وبين الملك إلى مثل هذا الدرك والله الحمد والمنّة؛ واستمر الرجوع في الأمور الشرعية اليقينية إلى العلماء بلا منازع والتنفيذ في يد الحكّام بلا منازع.

والخلاف بين ولي الأمر وبين العلماء ليس بجديد فقد حدث في أول وأبرز مظاهره بين أبي بكر وبقية الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين في قضية قتال مانعي الزكاة الذين يقرّون بالتّوحيد ويصلّون ويصومون ويحجّون، وخالف الحاكم رأي الجميع وكان الخير في ذلك، وخالف الملك عبد العزيز بعض الإخوان والعلماء في قضية الاستعانة بغير المسلمين في استخراج النفط ونحوه وكان الخير في ذلك بمشيئة الله تعالى.

يظهر مما تقدم أن على الحاكم الرجوع إلى العلماء لبيان شرع الله والحكم به في القضايا اليقينية: الاعتقاد والعبادات والمنصوص عليه من المعاملات،

وللحاكم الفصل في القضايا الدنيوية التي لم يرد فيها نص بحل أو حرمة، وعلى الحاكم استشارة العلماء في الأمور المشتبهة ثم الحكم بما أراه الله دون منازع، قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾. أي: فإذا عزمتم على إمضاء ما تريد بعد المشاورة فثق بالله لا بالمشاورة (السيوطي في الجلالين).

٥ - في مسألة التوحيد (إفراد الله بالعبادة خاصة) لا مجال للتساهل فقد أدى التساهل في الماضي والحاضر إلى عبادة الأوثان تقرباً إلى الله: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، وطغت الأصنام على المسجد الحرام قبل الفتح الأكبر، ثم طغت أوثان المقامات والمزارات على أكثر بيوت الله وهي أوثان الجاهلية الأولى نفسها، ولكن مع فارق أن الأولين كانوا لا يتقربون بها إلى الله إلا في الرخاء: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾، أما الآخرين فيلجأون إليها في الرخاء وفي الشدة وفيما بينهما، هدى الله الجميع لاتباع شرعه. وكان رسول الله ﷺ يتدرج في النكير وفق شرع الله مع من يتبول في المسجد مثلاً ومن يستأذنه في الزنى، ولكن لم يشرع التسامح ولا التدرج في الإنكار في أمر الشرك فقد صح عنه أنه قال: "أجعلني لله ندّاً؟" لمن قال له: ما شاء الله وشئت، وفي صحيح مسلم أنه ﷺ قال لخطيب الوفد: "بئس الخطيب أنت" لمن قال: من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى، وقد تأخر التشريع في الخمر والزنى والربا وفي الصلاة والجهاد والصوم والزكاة، وتقدم الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك؛ للزنى والربا والسرقة

دوافعها الغريزية التي قد تدلّ على حكمة التدرّج بشأنها، ولكن لا دوافع ولا موانع طبيعيّة تجيز شيئاً من ذلك بشأن إهمال التوحيد وإقتراف الشرك، وهذا يعني أن نسَمّي الأشياء بأسمائها، ولا يعني ذلك نفي الإحسان في الموعظة ولا يعني ذلك التكفير قبل إقامة الحجة.

٦ - مخالفتي لمنهج الشيخ/ القرضاوي، وبدرجة أكبر الغزالي والبوطي، وبدرجة أكبر فهمي هو يدي ومحمد عمارة، هو مثالٌ لمخالفتي الفكر الإسلامي بعامة، ولا أنكر الاجتهاد من أهله الفقهاء في الدين، وهم غير هؤلاء وأمثالهم، ولكنني أنكر الاجتهاد من غير أهله أو مع وجود النصّ فيتفرّق المسلمون بتعدد الأهواء الفكرية.

المعيار الصحيح: الكتاب والسنة وسبيل المؤمنين وخاصة في القرون الثلاثة الأولى في فهمهما، قال الله تعالى: ﴿ فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ 》.

وقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا 》.

وقال النبي ﷺ: "خير الناس قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم".

٧ - لم اتهم أحداً بتعمد الخروج على الكتاب والسنة، وإنما اتهم المفكرين الإسلاميين بالخروج عن سبيل المؤمنين الأئمة الأعلام في فهمهما، حتى ردّ بعضهم الأحاديث الصحيحة إذا خالفت فهمه القاصر للقرآن مثل الغزالي والتراي، وإليك رسالة لجمال سلطان (من خير ما كتبت) في الردّ على منهج

الغزالي، علّما توضح الأمر أكثر.

٨ - لا يَغُرُّنكَ ما تقرأ من دعاوى (الباحثين المعاصرين) - وأخصّ العرب - عن نسبة الاجتهادات البشرية في الفقه مقارنة بالنصوص؛ فدعاوى العرب من كل اختصاص عريضة لأن الروادع الدنيّة والعقليّة والخُلُقِيّة ضعيفة جدًّا؛ فنحن نعيش على هامش الحضارة الدنيويّة المعاصرة وعلى هامش الشرع نجتزّ بعض المصطلحات الشرعية أو المهنيّة محاولين الحصول على المظهر إذ أعجزنا الكسل والتخلف الديني والدنيوي عن المساهمة الحقيقيّة في القيادة الدينية والدنيوية.

٩ - لا يمكن فصل النصوص عن فهم السلف الصالح لها، وكان لهم زمام اللغة العربية وزمام العلوم الشرعية وما يؤدي إليها، وكان لهم المركز الأول في القيادة الدينية والدنيوية، وحتى النظر في المصالح المرسلّة في المعاملات (عند من أقرّه) حيث لا نصّ من أمر ولا نهي صريح لم يكن معزولاً عن الفقه في النصوص.

هدى الله الجميع لأقرب من هذا رشداً ورّدهم إلى دينه الحق رداً جميلاً.

التَّصَوُّفُ شَرْعٌ لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ

رأيت كتاب الشيخ أبي الحسن الندوي تجاوز الله عنا وعنه بعنوان (ربانية لا رهبانية) وفرحت به أول الأمر، إذ ظننته إنكاراً لبدعة التَّصَوُّف المحدثه، ورَدَّ للمخدوعين بها إلى منبع الشريعة الصافي من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وقلت: لعلها هداية الله غلبت على التَّنَشُّة الصوفية والبيئة الصوفية المحيطة به، ثم بسبب حرصه على الدين وبحثه عن الحق، وعضويته في مجلس الجامعة والرابطة مع الشيخ ابن باز.

ولكنني للأسف وجدت فيها تزييناً لهذه البدعة الضالة المضلة وتثبيتاً لها بالإشارة المتكررة إلى أن: (العقدة أو سبب الخلاف بين أهل السنة وأهل التَّصَوُّف هي في التسمية والاصطلاح، فلو أزيل هذا الاسم [التَّصَوُّف] لانحلت العقدة وهان الخطب) ص ٧، وأن (القرآن نوه عن التَّصَوُّف بلفظ التزكية ركنًا مستقلاً من أركان أربعة بُعث الرسول ﷺ لتحقيقها في الآية الثانية من سورة الجمعة) ص ٨، وأنه (الطريق إلى الإحسان). ثم يتكلم عن فقه الظاهر وفقه الباطن ويلبسه لباساً غير لباسه في الفكر الصوفي قديماً وحديثاً، وأن (فقه الباطن هو علم جاء مطابقاً للكتاب والسنة؛ ليتكفل بتزكية النفوس وتهذيبها وتخليتها بالفضائل الشرعية وتخليتها عن الرذائل النفسية والخلقية) إلى آخر ما أورده ص ١٠، ممّا سمّاه (علم الباطن) أو (علم التصوف)، وقد كتبت له بما يلي:

أعجب كيف يتبع الشيخ الإدعاء الصوفي المتوارث بأن التصوف ما هو

إلاّ التزكية كما وردت في القرآن، والإحسان كما ورد في الحديث، وهو حريّ أن يعلم أن الطريق الوحيد للتزكية والإحسان ما أنزله الله وحياً في كتابه أو سنة رسوله، أما طريق (النقشبندية) التي مدح أحد شيوخها ص ١٣، فجادّتها إلى التزكية والإحسان: الذّكر (الشريف) في القلب لا يتحرّك به اللسان خلافاً لسنة النبي ﷺ، هذا إذا لم يصل كلّ أتباعها إلى ما يصل إليه بعضهم من الرّابطة الشريفة: (ذكر الله مستحضراً صورة شيخه لأنّه طريقه الوحيد إلى الله، وأما طريق (الجشتيّة) فالمرآبة عند القبر والذكر بلفظ: (الله ناظري الله حاضري) والطريقتان من الطرق الأربع التي يبايع عليها مسلموا القارة الهندية عدا أهل الحديث.

لقد ورد لفظ التزكية في القرآن بضعاً وعشرين مرة بمعاني مختلفة في معرض المدح والذم والحث والنهي وفي الدنيا والآخرة، ولو كان معناها في آية الجمعة مثلاً أن يجعلهم صوفيّة في الدنيا فهل يكون معناها في آية البقرة أن لا يجعلهم صوفية يوم القيامة؟ وهل الخلاف بين السنّة وبين البدعة الصوفيّة سواء في دروشتها الجاهلة أو فكرها الضالّ المتصل بالفكر الهندي الوثني يقتصر على (تغيير الاسم لينقش الضباب وتُحلّ العقدة النفسية ويزول المقت والكرامية) ص ١٩، أم هو الخلاف بين الإتياع والتقيّد بنصّ الوحي في جهة وأفكار النّاس وشطحاتهم والتشريع دون إذن من الله في الجهة الأخرى؟ بأيّ نصّ شرع الله البيعة الصوفية للمسلمين؟ ص ٤١، وهل بايع المسلمون القدوة في القرن الأول أحداً غير بيعتهم الشرعية لولي الأمر؟

وأنتى لرجل (يجلس في زاوية بعيدة) أن (يجاهد التتار والمغول ويضيء ظلام القلوب) كما ذكر ص ٣٦.

هذه هي الصوفية على أحسن أحوالها: رجل يجلس في زاوية بعيدة يردّد ذكرًا ما ردّده رسول الله ﷺ ويستدل على دين الله بِقَالَ الشاعر رحمه الله ص ٣٦، وصرّح أرندل ص ٣٣، ونقل أرندل ص ٣٤)، وأن (مشايخ الصوفية هم الذين حفظوا للأمة دينها وأنقذوا الإسلام من أعدائه وأدخلوهم فيه) ص ٣١ - ٣٢، بأيّ سلاح يا ترى: بالبخور والرقص والطبل وترديد الذكر المبتدع، أم بحدّثي قلبي عن ربي (البسطامي)، وما في الجبة إلا الله (الحلاج)، وقال لي الحق: أنت الأصل وأنا الفرع (ابن عربي)؟

علّمنا رسول الله ﷺ أن نعالج الغضب بالاستعاذة من الشيطان، أما (شيخكم ومربّيكم الروحي ومن هو من كبار أئمة التصوف في هذا العصر) ص ٣٦، فله علاج آخر غير الرجوع إلى العلاج النبوي (الرجوع إلى الشيخ والاتصال به، وبغير هذا لا يزول الغضب)، ص ٤١.

دين التصوف وشرعه الذي لم يأذن به الله قائم كما يتبين من مطالعة كتابكم على التأويل الباطل والحديث الموضوع والضعيف وتقديس البشر والاعتماد على الكشف؛ من أين أخذ شيخكم (اللطائف الست) ص ٤٢، وكيف (كانت صحبة بعض شيوخه تحول التراب تبرًا والخصى جوهرًا)؟ وهل طاب لنا شرع الله بالمحبة المرتبطة بالطاعة والمتابعة، أم بالعشق ص ٤٤ - ٤٥؟

تنقلون عن شيخكم قصة الشيخ (العارف غلام رسول) أي: عبد الرسول

وأنه لا يجالس أحداً إلا ويصبح من القائمين في الليل، ولا يحضر وعظه مشرك مرة واحدة إلا أسلم، ويذكر الله بلفظ (إلا الله) فتسمعه الهندوكيات فيردّدن: "لا إله إلا الله" أفضل مما جاء به الشيخ (ويُسلّمُن) ص ٤٤، لقد أوصلتم المشايخ المبتدعة إلى ما لم ينقل لنا المؤرخون أن رسول الله ﷺ وصل إليه؛ كان يجلس إلى بعض المشركين ويعظهم مراراً وتكراراً فلا يُسلمون ومنهم عمّه أبو طالب، ويقول الله تعالى له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ ويقول له: ﴿أَسْتَغْفِرُ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾.

وتقولون عن شيخكم عبد القادر الرائبوري رحمه الله أنه (كان معترفاً بإخلاصه وقبوله عند الله كلّ الاعتراف) ص ٤٦، وهل في وسع البشر التأكد من الإخلاص ومحله القلب، أو من القبول وعلمه عند الله وحده؟

وتنقلون عن شيخكم قوله: (إن على الفرد أداء الفرائض وسائر العبادات والدوام على ذكر الله، فإذا وُجّه إلى عمل خاصّ بإلهام من الله أو بإرشاد من شيخه أدّى هذا العمل، وإلا فيحسن له القناعة بالعبادات والأذكار وهي تكفي لنجاته) ص ٤٧، ويظهر لي من قبولكم هذا التخريف، أنكم تُقرّون سبيلين للتشريع لم يأذن بهما الله: الإلهام وإرشاد الشيخ، وترون أن الاكتفاء بالعبادات المشروعة سمة القناعة، وقد قال رسول الله ﷺ فيما رواه عن ربه عزّ وجلّ: "ما تقرب إليّ عبدي بأفضل مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه" رواه البخاري.

وتذكرون عن شيخكم ص ٥٢، أنه (خطر سؤال على قلب أحد جلسائه

فاطّل عليه الشيخ بفراسته ونور باطنه)، هل هذا موطن الفراسة أو علم ما في الصدور؟

وليس عندي من الصّبر ولا الوقت ما يعينني على متابعة هذه الملاحظات، ولم يكن عندي عزم على إبدائها لكم لولا أنّي أطلّعت على رسالة للأستاذ/ محمود الغراب هداه الله يرّد بها على الشيخ/ علي الطنطاوي أثابه الله إنكاره التّصوّف الضالّ الذي مثّل لأبشعه وأكثره كُفْرًا بمؤلّف الغراب: (شرح كلمات الصوفيّة والرّد على ابن تيمية) انتصارًا لفكر ابن عربي، وفي هذه الرسالة استشهاد بتقديركم لمؤلّفه: (أرجو مواصلة هذا الإخراج العلمي الجميل لعلوم الشيخ الأكبر [ابن عربي] ولكم شكر الناس وجزاء من الله كريم)! كيف يا شيخ هدانا الله وإياك لأقرب من هذا رشدًا؟ هل تقرّ ما كتبه عن وحدة الوجود بعنوان (سبحان من أوجد الأشياء وهو عينها)؟ هل تقرّ قوله: (فيقول العبد الكامل الذي الحقّ على لسانه وسمعه وبصره وقواه وجوارحه: أنا الله، كأبي يزيد وأمثاله)؟ هل تقرّ تفسيرهم آية سورة البقرة المحكّمة: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾: بأنّها نزلت في الأولياء الذين ختم الله على قلوبهم فليس فيها إلا محبة الله، وعلى سمعهم فلا يسمعون إلّا منه، وعلى أبصارهم غشاوة فلا يرون إلّا إيّاه، ولهم عذاب عظيم مثلما عذّب محمد ﷺ عندما صار قاب قوسين أو أدنى فلم يصل؟ هل تقرّ الغراب على نشر كُتُب ابن عربي ومطالبة الناس بقبولها وعدم الرّد عليها بالعقل أو النقل لأنّه تلقّاها بطريق الكشف؟

كنّا نأسى لِمُدافعة بعض المتصوفة ومن خُدعوا بهم عن ابن عربي بأن كلّ ما نُسب إليه من أقوال الكفر مدسوس عليه، وهو دفاع ظاهر البطلان، إذ لا تقتصر أقواله الكافرة على صفحة أو كتاب؛ بل هي منتشرة في جميع كتبه؛ إما أن يكون نسبة كلّ كتبه إليه جميعاً باطلة أو صحيحة، وكان ادعاء دسّها أهون مما جاء به الغراب: (هدانا الله وإياكم وإياه) مِنْ نَذَر نفسه لنشرها ومطالبة الناس بتأويلها عند الضرورة كأنها من نصوص الوحي، وليس عندنا لأقوال البشر إلا أن نعرضها على كتاب الله وسنة نبيّه ﷺ فما وافقهما قُبِلَ وما خالفهما رُدّ، وبعد انقطاع الوحي ليس لنا اطلاع ولا حكم على ما في الصدور، لنا الحكم على الظاهر، واللغة العربية ليست ملكاً للغراب ولا لابن عربي يتصرف فيها كيف شاء بل إذا قال كلمة الكفر كفرنا قوله حُكِّمًا على ظاهر قوله لا على نيّته ولا على ما لقي عليه ربّه.

أرجو الله أن يدلّنا وإيّاكم على الحق وأن يثبتنا وإياكم عليه وأن يعيذنا وإياكم من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته.

حقوق للمرأة لم يشرعها الله

في شهر ذي القعدة عام ١٤٢٤هـ ادّعى د. عايض القرني في جريدة الحياة (وأَيّده د. سلمان العودة في قناة الجزيرة) أنّ (المرأة السعودية لم تُعطَ حقوقها الشرعيّة) ودعا كلّ منهما إلى إعطائها هذه الحقوق.

ولأني بدراساتي العلوم الشرعيّة وعملي في التعليم والدعوة خلال خمسين سنة الماضية لا أعرف أي حق شرعي للمرأة المسلمة السعودية لم تنله من قَبْل أو من بَعْد؛ فقد كتبت للأخوين آملاً التّفصّل بتعريقي بالحقوق الشرعيّة التي حُرِّمَتْ منها أمهاتنا وبناتنا وأخواتنا - مستدلّين بنصوص الوحي وفقه الأئمة الأوّل من القرون المفضّلة في هذه النّصوص -.

فالذي أعرفه أن المرأة في السعودية أُعطيت حقوقاً لم تُعطها أمّهات المؤمنين في عهد النّبوة والخلافة الراشدة المهديّة، ولا النّساء بعدهن في القرون الثلاثة عشر الماضية، لأن الله لم يأمر بها، ولا سنّها رسوله ﷺ، وإنما أُقِرَّت في هذه البلاد والدولة المباركة أخذاً بما سُمّي بالمصالح المرسلة:

رَخَّص النبي ﷺ للمرأة المسلمة في الخروج للصلاة في مسجد الجماعة ولكنه بيّن أن صلاتها في بيتها أفضل، ثم زاد الناس الرُّخص في هذا العصر بإنشاء بنوك نسائيّة وأسواق نسائيّة، وتخصيص أيام للنساء في حدائق الحيوان والملاهي، فضلاً عن إنشاء كليّات نسائيّة للدراسة العليا ومساجد نسائيّة ملحقة بمباني المساجد العامّة، كأن الله تعالى لم يأمر أمّهات المؤمنين قدوة جميع المؤمنات بقوله: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وكأن الرسول ﷺ لم يحث المرأة على القرار

في بيتها وتجنّب الخروج منه ولو للصلاة.

المرأة في السّعودية بسبب تحكيم ما أنزل الله تُعطى حقها في الميراث وفي المهر، وفي التّملك عامّة، وفي البيع والشراء والخروج من بيتها لهذا الغرض عند الحاجة، وجميع حقوقها الشرعيّة، وأُعْطِيَتْ حقوقاً لم ينزل بها الوحي، وإنّما شرعتها وسائل الإعلام بتولّي الإعلاميين الفتوى قولاً على الله بغير علم.

أذكر نفسي وأذكر أخويّ أن فتنة التبرج والسفور بدأت بمطالبة (قاسم أمين) أن تُعطى المرأة ما أقرّه بعض الفقهاء الأوّل من حقها في كشف الوجه والكفين، وكالعادة كشفت بعض النّساء بقية أعضاء جسمها عضواً عضواً، حتى لم يبق مستوراً غير العورة المغلّظة؛ ولهذا رأى ولاية الأمر في هذه البلاد والدولة المباركة الأخذ بالأحوط من آراء الفقهاء سداً للذريعة.

وقد تلقيت إجابة موجزة من د. سلمان وفقه الله لم يذكر فيها حقاً شرعياً واحداً حرّمت منه المرأة السّعوديّة، بل إشارة إلى تحذير النبي ﷺ أصحابه من الإساءة إلى نسائهم، والنّقص الفردي في تنفيذ الأمر والنهي لا يعني عدم بيان الحقوق والواجبات وتقريرها والحكم بها، وبخاصّة في عهد النبي ﷺ، ثم في عهد أوّل دولة تقوم على منهاجه في الدين والدعوة بعد القرون المفضّلة. وفقّ الله الجميع لما يحبه ويرضاه.

لا يقال فلان شهيد

بَيَّنْ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ: أَنَّ اللَّهَ: "يَقْبُضُ الْعِلْمَ - فِي آخِرِ الزَّمَانِ - بِقَبْضِ الْعُلَمَاءِ" حَتَّى إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالَمًا اتَّخَذَ النَّاسُ رُءُوسًا جَهْلًا، فَسُئِلُوا، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا" متفق عليه.

وقد وصل المسلمون - بعد القرون المفضلة - إلى حال قريبة من هذا المآل المظلم منذ ظهور الفاطميين ثم العثمانيين وَمَنْ بَيْنَهُمَا وَلَكِنَّ اللَّهَ "يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ قَرْنٍ مَنْ يَجِدُ لَهَا دِينَهَا" بالعودة به إلى أصله، فضلاً منه وإحساناً. وفي هذا العصر احتلَّ بعض طلاب العلم والفكر - ممن لا يملكون من العلم أكثر من ألقابه المستوردة -، وبعض القصاص من الواعظين - الذين لا يملكون أكثر من شهرة بين العوامِّ وأشباههم بحفظ الشعر وغرائب القصص والأمثال وحن القول - مجلس العالم بشرع الله والداعي إلى سبيله على بصيرة من كتابه وسنة رسوله وفقه أئمة الدين.

وقبل أيام قدّمت لنا جريدة الحياة في عددها ١٤٢٦٨ بتاريخ ١٤٢٣/١/٣٠ هـ نوعاً جديداً من الرؤوس المتّحيلة لمجالس العلم والفتوى لم ينتظروا اتّخاذ النَّاسِ إِبَاهِمَ رُءُوسًا وَلَا سِوَاهِمَ، فَأَفْتَوْا بِغَيْرِ عِلْمٍ، بَلْ وَنَقَضُوا فَتَاوَى كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الَّتِي لَا تَوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ.

قال شاعر مشهور يخاطب المفجّرين المنتحرين:

يشهد الله أنكم شهداء يشهد الأنبياء والأولياء

والله يعلم أن هذا افتراء عليه وعلى أنبيائه وهم خير أوليائه.

ويناظر العلماء وعلى رأسهم المفتي العام لدولة التوحيد والسنة:
 قل لمن دبجو الفتاوى رويداً رب فتوى تضجّ منها السماء
 دون أن يأتي بكتاب ولا أثارة من علم ينقض ما جاءوا به من محكم
 الكتاب وصحيح السنة وفقه أئمة القرون المفضلة في نصوصها، بل دعا
 بدعوى الجاهلية: إرفعوا أقلام العلم الشرعي واطبوا صُحفه وكمّوا أفواه
 المستفتين والمفتين والفقهاء، ودعوا الحكم للهوى وحده:
 حين يدعو الجهاد يصمت حبر ويراعُ والكتب والفقهاء
 حين يدعو الجهاد لا استفتاء الفتاوى يوم الجهاد الدماء
 والعلم بشرع الله يحمله من كل خلفٍ عدُوُّه، وليس منهم شعراء
 الظنون والعواطف فقد قال الله تعالى فيهم: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿١١﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾
 ومن هذا المثل يتبين أن الشعراء يتبعون الغاوين أيضاً، فهم في الغواية
 يعمهون؛ فلا يصلحون - بأيّ حال - مفتين، ولا ناقلين لفتاوى العلماء،
 شرعاً ولا عقلاً.

وهذا الشاعر نفسه - هداًنا الله وإياه - حكم على طلاب العلم الفكريين
 في (صوت الكويت ١٠ / ٥ / ١٤١٠ هـ): (أن يبقوا في مجالات تخصصهم وألاً
 يزجوا بأنفسهم في بحار السياسة حتى لا يغرقوا ويغرقوا شبابنا الحائر معهم)؛
 فماله لا يقبل فتواه لغيره فيبقى في تخصصه السياسي، مع أن السياسة تقوم
 على الظنّ فلكلّ أن يرى فيها رأيه، وإذا كان من العلم بالسياسة تشجيع

التفجير الانتحاري المعتدي الغادر الذي لا يميز بين صغير وكبير ولا بين بريء ومذنب، فلن يكون الجهل بها أسوأ.

أما شرع الله فنجد اليقين عنه في كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا تَجْرِمَنكُمْ شَتَائِنُ قَوْمٍ أَنْ صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَنْ تَعْتَدُوا وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَتَائِنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾. وفي صحيح البخاري باب ٧٧ من كتاب الجهاد ٥٦: (لا يقال فلان شهيد)، وحديث: "الله أعلم بمن يُجاهد في سبيله، والله أعلم بمن يُكَلِّم في سبيله"، وحديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ وفي عسكره لا يترك للمشركين شاذة ولا فاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه، حتى قال بعض الصحابة: ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان، فقال رسول الله ﷺ: "أما إنه من أهل النار"؛ لأنه قتل نفسه. وفي صحيح مسلم ذكر غلام النبي ﷺ الذي قُتل يوم خيبر فقال بعض الصحابة: هنيئاً له الشهادة يا رسول الله، فقال: "كلاً والذي نفس محمد بيده، إن الشملة لتلتهب عليه ناراً أخذها من الغنائم يوم خيبر لم تصبها المقاسم"، ورواه البخاري بلفظ آخر. هذا في الغزو مع النبي ﷺ "لتكون كلمة الله هي العليا"، فكيف بالقتال للأرض والهوية وحمية الجاهلية والحزبية؟ والله الموفق.

لزوم ما لا يلزم في التعليم

بين حين وآخر يُلوّح بعض المسؤولين عن التعليم برأيهم أو عزمهم على فرض تعليم اللغة الإنكليزية (لطلّاب الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية إضافة إلى طلّاب المرحلتين المتوسطة والثانوية)، وعلى توفير الحاسب الآلي للطلاب (وبخاصة للمرحلتين الأخيرتين من مراحل التعليم العام).

وخلال ربع قرن من عملي في التعليم وصلتُ إلى قناعة تامة بما يلي:

أ - دراسة اللغة الانكليزية - وكل لغة أعجمية - في البلاد العربية (في مراحل التعليم العام أو قبلها أو بعدها) لا تصل بالطلّاب لأي نتيجة حقيقية أو وهمية يهدف إليها القائمون على التعليم، عدا الاستغناء بالشكل عن المضمون والتظاهر بالتطوير؛ للأسباب التالية:

١ - اللغة مهارة لفظية عملية تقوم على التدريب العملي في بيئة حقيقية، ولا تصلح - لو صلح غيرها من المهارات العملية - للافتعال المعزول في الخبرة المدرسية النظرية.

٢ - إكتشفتُ أثناء عملي مديراً للبعثات الخارجية ثم الإدارة العامة للثقافة، ثم عندما جرّبت الدّراسة في الخارج باللغة الانكليزية؛ أن الطالب الذي درس اللغة الانكليزية في المرحلتين المتوسطة والثانوية بنجاح يستوي هو والطالب الذي لم يعرف من هذه اللغة غير كتيب (كيف تتكلم الانكليزية في أربعة أيام بلا معلم) في حاجة كلّ منهما إلى تعلّم الإنكليزية سنة دراسية كاملة على الأقلّ للالتحاق بالجامعات في انكلترا وأمريكا ونحوهما.

ولقد كنت - نفسي - من الصنف الثاني، ولم أشهد حالة واحدة تخالف هذه القاعدة أثناء دراستي أو أثناء عملي - تسع سنوات - مشرفاً على الدّراسين في الخارج.

٣ - أثناء عملي مديراً عاماً للتعليم الثانوي - بضع سنوات أخرى - ووقوفي على المعدّل الحقيقي للرّسوب والتّسرّب (في لغة المؤسسات التعليميّة) تبين لي أن أهمّ سببٍ لترك الطّلاب الدراسة: فشلهم في اجتياز امتحان اللغة الانكليزية (ومادّتي الرياضيات والعلوم).

وإذا فشل الطّالب سنتين أو توقّع الفشل ترك الدراسة إذ لا يوجد له طريق آخر لتحصيل المعرفة في المدارس الأخرى؛ دينيّة أو عامّة أو مهنيّة؛ فكلّها مبتلاة بالتزام وفرض النجاح في هذه الموادّ تقليدياً للدّول الصّناعيّة الأعجمية.

٤ - عندما حصلتُ على موافقة ولاية الأمر - حفظهم الله قدوة صالحة - على تجربة نظريّتي للدراسة الثانويّة في أربع مدارس سُمّيت بالمدارس الشاملة؛ كان من أهمّ ما تميّزت به: حصر الإلزام والالتزام بمادّتي الدين واللغة العربيّة؛ - فهما وحدهما ما ألزم الله به الطالب العربي شرعاً أو قدراً - وتخييره فيما عدى ذلك من المواد الدّراسيّة.

وكانت النتيجة: أن عاد إلى مقاعد الدّراسة من اضطرّ إلى تركها بسبب عجزه عن اجتياز الامتحان في مادّة ثانويّة لم يفرضها الله عليه بشّرعٍ ولم يهيّئ لها بقدره. ومن جانب آخر: اختار ٨٠٪ تقريباً من الطّلاب دراسة اللغة الإنكليزية، أمّا ٢٠٪ تقريباً من الطّلاب ممن يعجزون عن دراستها أو لا

يرغبونها أو لا يحتاجون إليها فقد سَلَمُوا من ظُلْمٍ وطُغْيَانٍ وَحُقَّ القاعدة الفاسدة: لزوم ما لا يلزم.

٥ - ولو أُلْزم الأطفال في الصفوف الثلاثة الأخيرة من المرحلة الابتدائية أو في صفٍّ من صفوف المرحلة أو جميع صفوفها دراسة اللغة الانكليزية لزاد الهدر في الإنفاق المالي والجهد والوقت، ولزادت نِسْبُ الرسوب والتسرّب وهي لا تحتمل المزيد، وَلَقُطِعَ طريق العلم في وجه عدد أكبر من الطّلاب ونحن نردّد كالبيغاء بلا وَعْيٍ ولا صِدْقٍ: (العلم من المهد إلى اللحد).

ب - وإدخال الحاسب الآلي صفوف الدّراسة على أيّ وجه؛ إنّما مثله مثَلُ تدريس اللغة الأعجمية (بل هو أسوأ): مجرد تقليد مُسْرِف لا يسنده الشرع ولا العقل، والمستفيد الأوّل من ذلك الشركات الأعجميّة المنتجة وعملاؤها المحليّون على حساب الأمة والتعليم.

وإذا كان الحاسب الآلي مُهِمًّا في هذا العصر لبعض الأفراد وبعض الوظائف والمهن؛ فإن من يحتاج إليه ويهتمُّ به يستطيع التّدرب عليه بضعة أسابيع أو بضعة أشهر قبل (أو أثناء) مباشرة العمل في الوظيفة التي تتطلبه، والتّدرب أثناء العمل أَعْقِلُ وأوفر وأنجع أنواع التّدريب لإحاطة المدرّب والمتدرّب بحدود الحاجة والمهارة المطلوب التّدرب عليها. والله الموفق.

إنما يُلْتَمَسُ الإِصْلَاحُ عِنْدَ أَهْلِهِ

كتب صحفي جاهل بشرع الله في جريدة الوطن (العدد ٩٥٠ والتاريخ ٦/٣/١٤٢٤هـ) مستشيرًا رئيس مجلس الشورى ووزير التربية والتعليم ونائبه في مواجهة ما يسمّيه (الإرهاب الاجتماعي، ومعاناة الوزارة منه وتأثيره على مناهج الدراسة العامة)، وأشار الصحفي إلى (عجز الوزير عن تجديد وقت لبداية تعليم الدين ووقت لنهايته، وشكوى نائبه من تدخل الكثيرين في أمورهم) أي: أمور التعليم، وركّز الصحفي على (مناهج تعليم الدين والحاجة إلى وضعها تحت المجهر وضمن مسيرة التطور) وطالب الصحفي الوزير ونائبه: (بالوقوف بشجاعة في وجه [ما سمّاه] الإرهاب الاجتماعي لإيقافه عند حدّه، فإن فهمَ وإلا فليقابل بالصمت حتى تتفتّح مسامّ عقله) مما يُمكن أن يسمّيه العلماء والتربويّون: (إرهابًا صحفيًا ناقص عقل ودين).

ولم تتوفّر للصحفي الشجاعة - وهو يعيب الوزير ونائبه بفقدائها - فلم يقل بصراحة: (إرهاب علماء الشريعة بتدخلهم في مناهج التعليم الديني)، كما يظهر من مقاله هذا ومقالاته السابقة، ولعلّه تذكّر الآن أن هذه البلاد وهذه الدولة المباركة إنما ميّزها الله على جميع البلاد والدول منذ القرون المفضّلة بتأسيسها من أوّل يوم على العلم الشرعي والعمل به والدعوة إليه أمرًا بالمعروف ونهيًا عن المنكر في الدّاخل والخارج، (وأنّ لحوم العلماء مسمومة وعادة الله في منتقصهم معلومة).

وليعلم هذا الصحفي الجاهل ومن يظنّ ظنّه البعيد عن الحق والعدل:

أن الدولة المباركة استجابت كعادتها للدعوة إلى إصلاح التعليم وبالذات تطوير المناهج؛ فعينت لجنة لتحقيق ذلك - قبل ٣٠ سنة - ضمت عددًا من أبرز علماء الشريعة وعلى رأسهم الشيخ ناصر الحمد الراشد رحمه الله، والأدباء أو المثقفين أو الكتاب وعلى رأسهم عبد العزيز الرفاعي رحمه الله، والتربويين وأبرزهم عبد الله خياط رحمه الله، والمتخصصين فيما دون علوم الدين من فنون اجتماعية ورياضية وطبيعية وفنية، وحرصَ ولادة الأمر على أن يشترك في هذه اللجنة خير المواطنين والوافدين في هذه البلاد المباركة علمًا وخُلقًا وخبرةً ودينًا. وبعد تسع سنوات من العمل المتواصل أقرت اللجنة العليا للتعليم هذه المناهج الجديدة، وبدأ تنفيذها، وفي الوقت نفسه بدأت الشكوى منها. والشكوى من أنظمة التعليم (أو مناهجه أو معلّميها أو إدارته أو نتائجها) لا تكاد تتوقف في أيّ زمان وأيّ مكان وعلى أيّ حال، لأن التعليم جزء من حياة كل فرد؛ معلّمًا أو متعلّمًا، متأثرًا به أو مؤثرًا فيه، ولأن أفراد الأمة متفاوتون في نصيب كلّ منهم من الدين والعلم والعقل والخلق، ومتفاوتون في قسمة الله لكلّ منهم من آثاره.

وفيما عدى الأنظمة الشيوعية والاشتراكية الدكتاتورية يتيسر للجميع - حتى للصّحفيّين مع بُعدهم عن التّخصص النظري والعملية وبعدهم عن اليقين - إبداء رأيهم في التعليم بشرط الوقوف عند حدودهم وعدم محاولة فرض آرائهم؛ فمجرّد الاقتناع بالرّأي لا يدلّ أبدًا على صحته. وعندما سبق الاتحاد السوفيتي إلى إطلاق القمر الصناعي الأول في الفضاء ضجّ الأمريكيّون

- أكثر من المعتاد - بالشكوى، وأعيد النظر في التعليم (الرياضيات والعلوم بخاصة)، ولكن أمريكا سبقت إلى النزول على القمر بقرار سياسي وبأيدي وعقول من درسوا الرياضيات على النظام القديم.

وعندما تفوّقت اليابان في الإنتاج الصناعي الخفيف وبالتالي في التجارة به، ظن الكثيرون أن السبب تفوّق التنظيم التعليمي في اليابان، ولكن - بعد فحصه - تبين أنه التنظيم التقليدي للتعليم الذي يشكو منه الناس في كل مكان بل يُعدّ أكثر تخلّفًا عن مسيرة التطوير (التي أشار إليها الصحفي) لما عُرف عن اليابانيين من محافظة على التقاليد والعادات. ثم تقهقر الإنتاج الصناعي في اليابان وبالتالي عانت اليابان مما عانى منه غيرها في الأزمة الاقتصادية العالمية الحاضرة.

ولعل هذا الصحفي الجاهل ومن استشارهم يتذكرون ما يلي:

١ - (الحد الأدنى لوقت التعليم الديني) بداية سنّ السابعة (أول سنوات المرحلة الابتدائية)، قال رسول الله ﷺ: "عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلَاةَ ابْنَ سَبْعٍ" في رواية الترمذي عن سبره، و(الحد الأقصى لوقت التعليم الديني): خروج الروح، أو بلوغ أرذل العمر، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّىٰ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾، وكان النبي ﷺ يعلم آل بيته وأصحابه والناس كافة علم الدين حتى اللحظات الأخيرة من حياته فيما رواه البخاري ومسلم وغيرهما، عما رَدَّده ﷺ في مرض موته.

هذا هو شرع الله لهذه الأمة حتى تقوم الساعة؛ ولو تُرك الأمر لأهواء

البشر وظنونهم لضاع الدين وضاعت الأمة: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

٢- أمر التعليم الديني لا يؤتمن عليه غير أولي العلم (الديني) بالنصوص من الوحي وبالفقه في هذه النصوص.

وللمحافظة على دين الله (وعلى البلاد والدولة المباركة التي ميّزها الله بالتأسيس عليه من أول يوم) يجب فرض رقابة على منهاجه من هيئة كبار العلماء، لئلا يتولاه بعض الحزبيين والحركيين فيشغل وقت التعليم بما يسمونه الثقافة أو التوعية أو التربية الإسلامية مما لا يُسَمِّن ولا يغني من جوع.

٣- وإن تعجب فعجب فزع هذا الصحفي (وأمثاله ممن يصفون أنفسهم بالمفكرين الإسلاميين أو العلمانيين) مِنْ تَدَخُّل علماء الشريعة في اختصاصهم (تعليم الشريعة)، وهو (الصحفي) الجاهل بشرع الله يملئ توجيهاته على الجميع (ليؤقفوا المتدخلين [غيره] عند حدّهم؛ فإن فهموا [مثل فهمه القاصر] وإلا فليشربوا من بحر الصمت حتى تفتّح مسامع عقولهم) كما تفتّحت مسامع عقله على الجهل المركّب، الجريء على العلم والحق.

٤ - الواقع أن كمّية المقررات زادت قبل ربع قرن استجابة للطلب والشكوى المستمرة من ضعف الطلاب في اللغة والعلوم الشرعية والفنون والمهارات والسلوك، ولو نُقِصَتْ كمّية المقررات اليوم لجاءت المطالبة بالزيادة غداً. ولقد قرأت نصّاً لأفلاطون يشكو - قبل ٢٤٠٠ سنة - من مستوى الجيل الجديد في التربية، وقرأت كتاب (التعليم العالي) - ومؤلفه (هتشنز) مِنْ كبار التربويين العالميين ورأس جامعة (شيكاكو) عشرين سنة - يطالب بالعودة إلى

عصر أفلاطون الذي اشتكى منه أفلاطون، وطُرد الألعاب الرياضية والمهارات الفنية بل المهن جميعاً من الجامعات الأمريكية.

٥ - وعند ما كان أهل المدن في هذه المملكة المباركة قبل ربع قرن يشكون مُرَّ الشكوى من التنظيم التعليمي وكثافته وسوء نتائجه انتدبت نفسي للإقامة بضعة أيام في قرية (الحيمة) من قرى (أبها)، كانت شكواها: قِلَّة المقررات الدَّرَاسية مقارنة بوقت الدَّرَاسة وإنجاز الطَّلاب، كان الطَّلاب في مدرستها الوحيدة الابتدائية يُنْهون دراستهم للمقرَّر التعليمي الرَّسمي خلال شهرين من بدء العام الدَّرَاسي، ويتسلَّون في الأشهر السبعة الباقية بِنَسْخ الكتب الدَّرَاسية، حتى تدرَّب جميعهم على الخطَّ الجميل إضافة إلى هضمهم الجيِّد لجميع موادَّ الدَّرَاسة. ولم تميَّز القرية عن المدن والقرى الأخرى إلا بأن أهلها من قبيلة بدويَّة نزحوا إليها (حديثاً)، لم يتوفَّر لهم بَعْدُ الكهرباء ولا الهاتف ولا الماء الجاري ولا المذياع ولا الجرايد ولا التلفاز ولا السيارة، ولا يَصِلُهم من أخبار الخارج أو الداخل ما يعكِّر صفاء أذهانهم، وكان المدرِّسون من خريجي المعاهد الثانويَّة الدينيَّة المصرية، وكان بعض الطلاب يمشون للدَّرَاسة يوميًّا مسافة تصل إلى سبعة كيَّلات في كلِّ غدوة وكلِّ راحة ستة أيام في الأسبوع.

٧ - وعلى ما تقدم؛ فالأمر أعظم من أن يَحْتَكِر الرأي فيه مختصُّ أو غير مختصَّ من القائمين عليه فضلاً عن صحفيٍّ لا يتوفَّر له ما يتوفَّر لهم من العقل أو العلم أو الخبرة النظرية أو العملية.

بل يجب أن يشترك المعنيون جميعاً من المواطنين (كلُّ في حدود اختصاصه الديني والمِهني) في دراسة مستمرة لهذه القضية المعقّدة البالغة الأهمية في حياة الجميع الأخروية والدينيّة.

وإذا كان لأحد أن يُحرّم من إبداء الرّأي في ذلك فهم الصحفيون ولهم علينا ألا نشاركهم في التّحليلات السياسيّة، بل ليت خطباء الجمعة ممّا يُمنعون من تدنيس حُطَب الجمعة (العبادة اليقينية المفروضة) بأقاويل التّحليلات السياسيّة المبنية على الظن والحرص والإشاعة والهوى، والله ولي التوفيق.

لغة الجرايد ووهم الإصلاح

في جريدة عكاظ عدد (١٣٤٥٠) بتاريخ ٢٤ / ٤ / ١٤٢٤ هـ كتب حسين شبكشي بلغة الجرايد المولدة والمترجمة والمعرّبة عما أسماه (الشفافية ونبض الشارع)، وكتب وليد فتحي عما أسماه (عَرْبَنَة) المرأة المسلمة، وكتب عبد اللطيف الميمني عما أسماه (أَدْجَلَة) فكر الخوارج. ورأيت في مجموع ذلك ما يلي:

أ - طغيان لغة الجرايد على اللغة العربية الفصحى التي أنزل بها القرآن والسنة، وكتبَ بها فقه أئمة الفقه في القرون المفضلة، وحملَ بها دين الله الحق إلى الناس كافة، وحفظَ بها الله دينه.

ب - طغيان الصحفيين على منهاج النبوة في الدين والدعوة باحتلالهم كراسي العلماء والمفتين حاكمين بغير شرع الله في بلاد التوحيد والسنة. وفي صحيفة واحدة عدّة أمثال على ذلك:

١ - ينهى حسين شبكشي عن المعروف من حث خطباء الجمعة المسلمين على التمسك بالسنة وتحذيرهم من البدع ومنها بدعة المولد التي لم يتلفظ رسول الله ﷺ باسمها ولم يأمر بها ولم يفعلها ولم يقرّها هو ولا خلفاؤه الراشدون ولا صحابته ولا التابعون لهم بإحسان في القرون الثلاثة المفضلة حتى قلّد مبتدعة المسلمين مبتدعة النصارى في العهد الفاطمي العبيدي.

٢ - يأمر حسين شبكشي بالمنكر من إخضاع خطبة الجمعة (العبادة المفروضة) لما يسمّيه (نبض الشارع).

ومعلوم لمن يفقه دين الله على منهاج النبوة أن رسول الله ﷺ (ومن

اهتدى بهديه وتأسى بسنته) لم يخرج بخطبة الجمعة عن الثوابت (من نصوص وأحكام الشريعة) مرة واحدة، ولم يصرف كلمة واحدة منها إلى شيء من الفكر والظن والشائعات، ولا الأحداث والطوارئ العظيمة في عهده على أهميتها وخطورها؛ لا غزوة بدر ولا ما بعدها من الغزوات ولا حادثة الإفك ولا ذكرى ما قبلها من البعثة والإسراء والمعراج والهجرة.

كان في كل خطبه يوم الجمعة يتلو الآي من كتاب ربه يعلمهم به أمر دينهم، ويأمرهم به وينهاهم، ويذكرهم به الموت والاستعداد له، ويرغبهم به في طاعته وثوابه، ويحذّرهم به من معصيته وعقابه.

وأصح ما ورد في ذلك وأصرّحه ما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أم هشام بنت حارثة قالت: (ما أخذت ﴿قَدْ وَالْقُرْآنَ الْمَجِيدِ﴾ إلا عن لسان رسول الله ﷺ يقرؤها على المنبر كل جمعة إذا خطب الناس)، وفي رواية: (يخطب بها كل جمعة).

٣ - يتّهم حسين شبكشي خطباء الجمعة بنشر (الفكر الإرهابي والتفجيري) في خطبهم (المرهبة والمنفرة والمعادية).

والخطب الشرعيّة الملتزمة بالشريعة من نصوص وأحكام الكتاب والسنة بفهم أئمة القرون المفضلة لا تفتن ولا تُرهب ولا تُفجر ولا تُنفر ولا تعتدي، ولا تُعادي إلا أعداء الدين، ولا توالي إلا أولياء الله، ولا تنصّر إلا السنة ولا تحارب إلا البدعة.

أما الخطب المبتدعة التي يتمناها حسين شبكشي محكومة (بنبض

الشارع) فهي الفاسدة المفسدة الضالة المضلة المفتونة الفاتنة.

وأما ما يتعلق بالخلط الفاسد بين الجهاد الشرعي وبين الاعتداء والخطف والقتل وزعزعة الأمر وترويع المسلمين أو غيرهم بغير حق سواء بالتنفيذ أو التأييد في الداخل أو في الخارج؛ فلا بد من إنكاره في خطب الجمعة وغيرها وبيان مخالفته لشرع الله لا لنقض الشارع.

٢- يظنّ وليد فتحي أن خير علاج لما يسمّيه مَنْ نَقَلَ عنه: (غَرْبَنَةُ المرأة المسلمة والانحرافات السلوكية) إنشاء أندية للفتيات على الشواطئ تشمل الصّالات الرياضية وأحواض السّباحة ومراكز اللياقة والتزلج على الجليد) مستشهداً بقول جريء مثله على شرع الله بغير علم ولا هدى ولا صراط مستقيم، يدّعي أنّ (في العهد النبوي والخلافة الراشدة كان ثمة حضورٌ تألّقت فيه المرأة على كافة الأصعدة) وأن (من تولى كِبَر تغيير ذلك فقهاء آثمون اجترأوا على نصوص القرآن والسنة بمؤلفات لا ريب أنها تحتاج إلى إعادة نظر).

وهذه الدّعوى الكاذبة المفترية على شرع الله وعلى عهد النّبوة والخلافة وفقهاء الأمة إنما هي حلقة في سلسلة صحفية طويلة من الاعتداء على الإسلام وأئمتهم وفقهه أسأل الله أن يلهم ولاية الأمر في بلاد التوحيد والسنة، المميّزة من الله بالدعوة إليهما ونفي الخبث عنهما، قطع هذه السلسلة الضالة وقطع دابر العابثين بشرع الله وبمنهاج الدولة الوحيدة القائمة عليه. وإن قصد وليد فتحي ومن نَقَلَ عنه هداهما الله - بالغَرْبَنَةُ: التّغريب والتقليد الغربي فيمن أين

جاءا بنوادي الفتيا على الشواطئ والصّالات الرياضية ومراكز اللياقة والتزلج على الجليد؟ أم هي المداواة بالتي كانت هي الداء. أما نصوص القرآن فتأمر نساء النبيّ قدوةً لمتّبعات سنته بالقرار في البيوت وتنهاهنّ عن تبرج الجاهليّة الأولى - فضلاً عن الأخيرة -، وأمّا نصوص السنة فتحضّ المسلمات على الصّلاة في دورهن خير لهنّ من الصّلاة وراء النبي في مسجده، وأمّا في عهد النبوّة والخلافة الراشدة فلم يكن لخير النساء المؤمنات (حضور) في ولاية الأمر، ولا مجلس أهل الحلّ والعقد (الشورى) ولا القضاء، ولا في أصل الجهاد لتكون كلمة الله هي العليا، ولا الوظائف العامّة فضلاً عن أندية الفتيا على الشواطئ والتزلج على الجليد.

٦ - ويظنّ عبد اللطيف الميمني أن ما يسمّيه (مرحلة الأذلّجة) في فكر الخوارج المُحدّثين يحتاج إلى دراسة متخصصة ومتعمّقة حول مصادرها الفكرية والتنظيميّة.

ولا أرى الأمر من الغموض بحيث يستحقّ هذا التعقيد المقلّد للشكل الغربي، فقد بيّنه بما لا يحتمل الشك ولا العناء قائد هذا الفكر (أيمن الظواهري) فيما نشرته جريدة الشرق الأوسط في عددها ٨٤٠٧ بتاريخ ١٩/٩/١٤٢٢هـ من مذكراته: (إن سيّد قطب هو الذي وضع دستور [التكفيريّين الجهاديين] في كتابه الديناميت: (معالم في الطريق)، وإن فكر سيّد [وَحْدَه] هو مصدر الإحياء الأصولي، وإن كتابه: (العدالة الاجتماعية في الإسلام) يُعدّ أهمّ إنتاج عقلي وفكري للتيارات الأصولية، وإن فكر سيد كان

شرارة البدء في إشعال الثورة [التي وصفها بالإسلامية] ضدّ [من سَمَّاهم] أعداء الإسلام في الداخل والخارج والتي ما زالت فصولها الدامية تتجدّد يوماً بعد يوم).

ومن يقرأ كتاب (العدالة الاجتماعية) المطبوع عام ١٩٤٩م وكتاب (معركة الإسلام والراسماليّة) المطبوع عام (١٩٥٠) لسيد تجاوز الله عنّا وعنه، ويعرف صِلَتَه بالثوار في بداية عهد الثورة المصريّة ١٩٥٣/٥٢ يرى بوضوح أن فكر الثورة الاشتراكي مقتبس منهما، ثم انقلب السحر على الساحر فسعى سيّد إلى اغتيال رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وعدد من الولاة وتفجير محطة الكهرباء وبعض المنشآت دفاعاً عن حزب الإخوان المسلمين، فحاكمه الثوار وأعدموه بسبب ذلك كما أكّده سيّد نفسه في بيان الدّفاع عن نفسه أثناء محاكمته ونشره أنصاره في جريدة (المسلمون) ابتداء من عددها الثاني من وثيقة بخط يده، ثم طبعه أنصاره في الشركة السعودية للأبحاث والتسويق ضمن سلسلة كتاب الشرق الأوسط بعنوان: (لماذا أعدموني)، (أنظر ص ٥٠ - ٦١).

وكما شهد أتباع فكره وشهدت معظم كتبه - أوّلها وآخرها وبخاصّة ما وصف منها زوراً بالإسلامية - له بالإمامة في التكفير والتفجير والخروج على الشرع والحكّم والسنة والجماعة والإجماع (راجع فكر سيد قطب بين رأيين من منشورات دار السنة بالخبر عام ١٤٢٢هـ)؛ فإن كتبه - أوّلها وآخرها - تشهد له بالإمامة في الجرأة على القول على الله ودينه والفقه والفقهاء فيه بغير علم في هذا الزمان، فشمر الصحفيون والمفكرون والشعراء والممثلون والأطباء

وغيرهم من المهنيين الدنيويين يحذون حذوه في الجرأة على الدين والأمة والولاية.

وكان أكبر همّ سيّد وحزبه: سياسة الحكم والمال والثورة من أجلهما: (الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بيدها.. ينبغي أن تفكر في وسائل الخلاص.. وتختار؛ إن أحداً لن يقدم لهذه الجماهير عوناً إلا أنفسها، فعليها أن تُعنى بأمرها ولا تتطّلع إلى معونة أخرى) معركة الإسلام والرأسمالية ص ١١٣، ط ١٣ عام ١٤١٤ هـ دار الشروق.

واستجابت الجماهير العربية لهذا النداء المنشور قبل الثورة المصرية ببضع سنوات، فإذا كانت النتيجة في كلّ شعب أجاب النداء في مختلف البلاد المسلمة من الجانب الديني أو الدنيوي؟ وهل بعد هذا البيان حاجة إلى (دراسة متخصصة ومتعمقة للبحث عن جذور الفكر الخارجي المُحدّث)؟

وقى الله الإسلام والمسلمين شرّ هذا الفكر وشرّ المخدوعين به وتجاوز عن الجميع وردّهم إلى دينه ردّاً جميلاً.

مطاردة الخيال

عندما قدّر الله تعالى على خلقه - في العقود الثلاثة الأخيرة - التّوجه إلى التّدين في كلّ مكان وفي كلّ ملة؛ لم يَنْبُتْ غراس ما سُمّي بالصّحوة الإسلامية في مجالس العلم الشرعي، ولا اعتنّى بها علماءه، ولا قادها الدّعاة إلى الله على بصيرة بالآية من كتاب الله تعالى ولا الحديث من سنة نبيه ﷺ ولا بالفقه في الدين من أهله في القرون المفضلة؛ بل أراد الله - ولا رادّ لقضائه وهو أعلم وأحكم - أن يَنْبُتَ التّوجّه العالمي إلى التّدين - فجأة وبلا سبب ظاهر - في أرض سبخة لا يوجد فيها علّم ولا عالمٌ بشرع الله، فتيسّر للشيطان - أعاد الله الجميع منه - أن يخرّفها عن الوحي إلى الفكر وعن اليقين إلى الظّنّ والعاطفة.

ظهر الاتجاه إلى التّدين - أوّل ما ظهر - في أمريكا وعلى الأخصّ في ولاية كاليفورنيا حيث يتوافر فيها - أكثر من أي مكان آخر - الوقت والمال والثقافة للبحث عن جديد. وكان أوّل دعائه المتصوفة الوثنيون من طائفة كريشنا الهندوسية، وتركزت دعوتهم على ضرورة البحث عن إرضاء الرّغبات (والتطلّعات الإنسانية) من داخل النّفس لا من خارجها، من الرّوح لا من الجسد، أو كما يقول النّصارى: (من الرّوحانيات لا من المادّيّات).

ولما كانت أمريكا تقود العالم إلى كلّ تجديد في سبُل الحياة اليوميّة، وكانت ولاية كاليفورنيا (مدينة لوس أنجلوس على الأخص) تقود أمريكا إلى التجديد المادّي والفكري بإنتاج (هولي وُد) وجاذبيّتها بدأ التّوجّه إلى التّدين هناك بين

أثرياء الممثلين والمُغَنِّين.

ولأن النصرانية الحاضرة - مثل الهندوسية - تدعو إلى تغليب الجانب الموصوف (بالروحي) على الجانب الموصوف بالمادّي كانت أوّل الأديان استجابة لدعوة كريشنا (للبحث عن الذات) فظهر ما سُمّي (بالولادة من جديد)، أي: العودة إلى النصرانية بعد بضع سنوات من حركة كريشنا. وبعدها - بما لا يزيد عن سنتين - ظهر الاتجاه إلى التّدنّ بين الطّلاب المسلمين في أمريكا وبدأت (جمعيات الطّلاب المسلمين) تحتلّ مكان (جمعيات الطّلاب العرب) الذي احتكرته الأخيرة فيما مضى.

ولكن جمعيات الطّلاب العرب ثم المسلمين لم تكن مؤهلة لقيادة أفرادها - فضلاً عن بقيّة الأمة - إلى الدّين الحق؛ فلم يكن بين قادتها ولا أعضائها عالمٌ بشرع الله، وإنما قامت الجمعيات من قَبْل على الفكر السّياسي والقومية العربيّة، ثم قامت بعد تغيير عنوانها على الحركيّة والفكر السّياسي الموصوف بالإسلامي، منشغلة بذلك - وشاغلة غيرها به - عن الوحي والفقہ فيه.

وكان أبرز فكر أنتجه من يصفون أنفسهم بالإسلاميين: فكر سيّد قطب تجاوز الله عنّا وعنه، وكان ألْحَنَ المفكرين المسلمين بلسان الصّحافة السّلس الذي تستسهل النّفس قبوله والتأثر والتأثير به، والنّفس أمارة بالسّوء إلا ما رحم ربّي؛ فتلقّفه دعاة الصّحوة الإسلامية الفكرية الحركية في البلاد العربيّة يشغلون به مجالس الذّكر والعلم في المساجد (الاجتماعات وخطب الجمعة والمكتبات ودُور القرآن) وفي المدارس (جمعيات التوعية الدينيّة وبرامج التّربية

الدينية والثقافة الإسلامية والرحلات والمراكز الصيفيّة). واستغل الحزبيّون الحركيّون إقبال الشّباب - بخاصة - والناس - بعامة - على التّدين العاطفي، فقادوهم إلى مناهجهم وأهدافهم وتنظيياتهم.

وبفضل الله كثرت المساجد وكثر المصلّون فيها، ولكن أُهْمِلَ جانب نشر الاعتقاد والسّنة والأحكام الشرعيّة والتحذير من الشرك والابتداع، وانتشرت جمعيّات تحفيظ القرآن الكريم، ولكن أُهْمِلَ تدبّره وتبليغه.

وكثر طَلَبُ وعَرَضُ وسائل نشر التدين الفكري من كتب وتسجيلات ولقاءات وندوات ومهرجانات ومحاضرات، وقلّت دروس العلم. وكثر الخطباء والمحاضرون والمفتون والواعظون من القُصّاص، وقلّ الإقبال على العلماء بشرع الله وعلى فتاوى العلم الشرعي ودروسه.

وكما مضت سنّة الأولين عاد الأقْلون من الناس شيئاً وشبّاناً إلى الحق واليقين (من الوحي والفقه فيه)، واتجه الأكثرون شبّاناً وشيئاً إلى الفكر والعاطفة والظن، كما قال خالقهم عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾.

وسعت الحركات والجماعات والأحزاب الموصوفة بالإسلاميّة منذ البداية للاستفادة من هذا الحدث العظيم في تكثير عدد أفرادها وتحقيق ظهورها وغلبتِها، وكانت (جماعة الإخوان المسلمين) في ولاية إنديانا من الولايات المتحدة الأمريكيّة - بعد (جماعة المسلمين السّود) - أول من تنبّه للحدث وحاول استغلاله لصالح حزبه، ولعلّ هذا هو السبب في اختيار فكر

سید قطب فی البلاد العربیة وفکر المودودی فی البلاد الأعجمیة - وهما وَجْهان لِعُمَلَةٍ واحدة - منهاجًا للتّوجّه الجدید إلى التّدین بحسن نية وسوء عمل. وفکر سید قطب ومثله - بدرجة أقلّ - فِکر المودودی تجاوز الله عنّا وعنهما صالحٌ لاجتذاب الناس - وبخاصّة الشباب - إلى التّدین عامّة، ولكنه قاصر - بدرجة مخزیه - عن قیادتهم إلى الدین الحق - كما أوحى الله به، وسنّه رسوله، وفقّهه مُتَّبِعُوا سُنَّتَهُ، ولم یکن أيُّ منهما مسلّح بالعلم الشرعی ولا بالمنهاج الشرعی لتبلیغه، ولم یکن أكبر هَمَّهما - فیما یظهر من منهاج وإنتاج کلٍّ منهما - نَشْرُ التّوْحید والسنة والعمل بأحكام الشریعة ولا العلم بها، ولا محاربة الشّرك والبدع المسيطرة على القلوب والأعمال والمساجد فی بلديهما. كان أكبر هَمَّهما فی إطار الأحكام الشرعیّة عامّة ما سُمّي بالحاكمیة وهي جزء من توحید الربوبیة أُسِیء عَرَضُهُ وَوُضِعَ فی غیر موضعه الذي اختاره الله له، ویُذکّر بشعار الخوارج الأول: (لا حکم إلاّ الله).

وكان أهمّ وسائلهما - ومن تبعهما - التّفْسیر والسیرة. والتّفْسیر الحديث - فی أحسن أحواله -: تکرار واختصار وتهذیب لمؤلّفات المفسرین الأوائل، وهو فی أسوأ أحواله: قول على الله بغير علم؛ ومنه تفسیرهما. والسیرة یختلط فیها الصّحیح والضّعیف والحقیقة والخیال، وهما - وأتباعهما - غیر مؤهلین لتمحیصها وتمییزها.

وكان لابد - والحال على ما ذكرت - من أن تنزلق (الصّحوة الإسلامیة) فی مزالق الفكر السّیاسی العنیف ووسائله العلنیة والسّریّة. وكان

من أبرزها: التكفير والاعتزال والمهجرة، والتعصب لمنهاج الحزب والإعجاب به وانتقاص غيره، والاغتيال والتفجير، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، من المسلمين أو من غيرهم، وزعزعة الأمن، وبث الرعب ونشر الفتنة.

وكان أبرز مطية لهذا الفساد في الأرض: قضية فلسطين؛ ركبها الموصوفون بالإسلاميين، كما ركبها القوميون والشيوعيون والنصارى. وبدأت التفجيرات في أوروبا، واختطاف الطائرات الأوروبية والأمريكية وتدميرها، وساءت سمعة العرب وهي أهون النتائج سوءاً.

وركبت (الصّحوة الإسلامية والقومية) مطايا أكثر إغراقاً في الخيال:

١ - العمّال الكوريّون الذين أشاع قادة الصّحوة أنهم جنود مدرّبون أعدّتهم أمريكا لاحتلال حقول النفط، ولا تسأل: لماذا تحتاج أمريكا لذلك أو أوروبا؟ وهم من اكتشف النفط واستخرجوه واستعمله لمصلحة الجميع، فالعقل عند الحركيين مثل الشرع في إجازته.

٢ - وجاء الخميني، وأعلنت وسائل إعلامه أن من أهمّ أهدافه: تحرير فلسطين، وتسابق الحركيون لتأييده طمعاً - فيما يظهر - في الحصول على نصيب من نجاحه في الاستيلاء على الحكم باسم الدين، ولما خذلهم سعوا لتقليد حركته: أتباع جهيمان في البلد الحرام، والإخوان في سوريا، وجبهة الإنقاذ في الجزائر - بالوسيلة الديمقراطية ثم بالاغتيالات -.

٣ - وجاءت قضية الخلاف على الأرض والسلطة في أفغانستان، ثم (البوسنيا هرترزكوفينا) ثم (الشيشان)، وتسابق الحركيون لاستغلالها، ولم

تتحرك قلوبهم - فيما ظهر منهم - ولا جوارحهم من قبل لإصلاح المعتقد والدعوة إلى السنة ومحاربة الأوثان والبدع التي يتقرب بها المجاهدون إلى الله من قبل ومن بعد.

٤ - واحتل البعث العراقي الكويت بحجة تحرير فلسطين، وفرح الحركيون بنكبة الكويت، ودعوا الله في خطب الجمعة أن تمتد النكبة إلى جيرانها، وأعلنوا ولاءهم لصدّام (الدين) حسين حامي حزب البعث (ومعلّمه الأول ميشيل عفلق النصرائي)، مع أنهم يحكمون على الحزب في سوريا وعلى المعلم نفسه بالإلحاد. وخذّلهم صدّام (الدين) فلم يعطهم نصيباً في الحكم، ولكن كافأهم ببعض المظاهر (الإسلامية) مثل كتابة (الله أكبر) على العلم ليجدوا عذراً في تأييده، وبقي نائبه الأوّل نصرائياً ونائبه الثاني صوفيّاً أكثر مناهضةً لمنهاج النبوة في الدين والدعوة، وبقي حزب البعث يحكم (الأغلبية الشيعية، والأقلية المنتسبة إلى السنة، واليزيدية والصابئة والنصارى) بعقيدته ومنهاجه. ونعق الحركيون بدعوى حزب البعث أن القوّات الدولية (التي سخرها الله لردّ عدوانه) إنما جاءت للتّنصير والاحتلال، كأنهم يجهلون أنها علمانية - في وصفهم لها - وأن الاحتلال العسكري انقضى قبل عشرات السنين، ولم ينكروا بقاء الأوثان تملأ السهل والجبل في بلاد العرب والعجم؛ في العراق وأفغانستان والبوسنيا والشيشان، وهي أكبر الكبائر؛ لا توجههم إلى اختراع هدف خيالي لحروبهم المبتدعة. والحرب آخر مراحل الدّعوة المنسيّة لا أولها.

٥ - وجاءت القوّات الدّولية مرة أخرى ونجحت في تحرير العراق من

طغيان صدام (الدين) وحزبه وبطانته، وعاد الحركيون يرددون إشاعة (هولاكو الجديد) القديمة المتجددة بأن هذه القوات جاءت للتنصير والاحتلال، وعدّوا قتالها من الجهاد في سبيل الله.

٦ - أضيفت أسماء جديدة للأشباح الذين يرفعهم الحركيون أعلامًا وقدوة من المعتصم تجاوز الله عنه الذي تولّى كبره في فرض فتنة وبدعة خلق القرآن وسجن الإمام أحمد وتعذيبه، إلى محمد الدرة، طفل قُتل في أحد الاشتباكات بين اليهود والمتفضين عليهم، لا يُدرى أيُّهم قتله، ولم يكن هو ولا والده من المشاركين في الانتفاضة، ولما وجد المصور أن آله التقطت مشهد موته، عرف أنه عثر عن كنز من كنوز الإثارة والمنفعة، وأخيرًا خرافة (منقاش) في سلسلة الأشباح التي يحرك الجهاديون المبتدعة بها عواطف الغوغاء ويسيرونها في طريقهم المنحرف.

ولا تعجب إذا دافع أحد المعلمين الجامعيين عن هذا التخريف والخداع بحجة التشجيع والإلهام؛ واستدلّ بإعجاب العرب بخرافة (وامعتصماه) منذ أكثر من عشرة قرون، (رغم أنه لا أحد يملك القدرة على إثبات الرواية)؛ وهذه نتيجة عدم الردّ إلى الكتاب والسنة والفقه عند التنازع بل إلى العقل والفكر حتى اتّحد المعلمون والمتعلمون في الضلال والخيال والابتداع وتنافسوا في الظنّ والهوى والتّيه.

٧ - وحتى تستمرّ مكيدة الشيطان والنفس والهوى صرّف الثلاثة الحركيين وأتباعهم عن علماء الأمة فاختراروا بعض طلبة العلم القاصرين عن

مَرَاقِيهِ الْعَالِيَةِ (وإن حملوا ألقابه أو لم يحملوها)، وكافأهم هؤلاء بالفتاوى التي ترضيهم تعدّيًا على شرع الله وتجاوزًا لحدوده.

وختامًا أرجو الله أن يتجاوز عن الجميع ويردّهم إلى دينه ردًّا جميلًا.
وعلى كبار علماء التّوحيد والسنة - لا المثقفين ولا المفكرين - تحمّل مسؤولياتهم وأداء الأمانة التي حمّلوها (وسيحاسبون عليها) والسّعي حثيثًا لتصحيح التّوجّه الدّيني وبيان الحقّ للنّاس - ولو غضب أكثرهم - ومحاولة صرفهم - بالجدّ والمثابرة - عن الفكر والظنّ والخيال إلى الوحي واليقين.
وعلى ولاة أمر المسلمين أن يطهّروا وسائل الإعلام العامّة والخاصّة من الفكر المنحرف ولو وُصف زورًا بالإسلامي، ومن دعائه المخدوعين أو المخادعين به، ومن تدخّل غير علماء الأمة المعتدّ بهم في أمور الدين من فتوى وتأويل وانتقاد، استجابة لأمر الله وشرعه.

وهدى الله الجميع لأقرب من هذا رشدًا.

١٤٢٤/٣/٢١ هـ

حقوق الراعي والرعية

هذه موازنة موجزة بين حقوق الراعي وحقوق الرعية (تساهم في بيان ما اختلف فيه من الحق)، مستنبطة من كتاب الله وسنة رسوله وفقه أئمة الهدى في نصوصهما، عملاً بقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾، وعلى الكاتب أن لا يُخفى نصاً يخالف رأيه، وعلى القارئ التسليم راضياً مطمئناً؛ لأمر الله وشرعه.

١ - حق الراعي على رعيته: طاعته فيما ليس فيه معصية، والدعاء له، والنصح له، قال الله تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: "من خرج من الطاعة وفارق الجماعة فمات؛ مات ميتة جاهلية" [رواه مسلم] وقال ﷺ: "الدين النصيحة؛ لله ورسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم".

ومن النصيحة للجميع: الدعاء للراعي بالصلاح والتوفيق والهداية، قال الإمام أحمد بن حنبل لما ذكر ولي الأمر - في عهده - وجوره وفسقه: (إني لأدعو له بالصلاح والعافية، لئن حدث به حدث لَتَنْظُرَنَّ ما يحلّ بالإسلام). [كتاب السنة للخلال ص ٨٤].

وقال البرهاري: (إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى، وإذا سمعته يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة.. فَأَمْرُنَا أَنْ ندعو لهم ولم نؤمر أن ندعو عليهم وإن جاروا وظلموا، لأن جورهم وظلمهم

على أنفسهم، وصلاحتهم لأنفسهم وللمسلمين). [شرح السنة ص ٥١].

٢ - وحقّ الرّعية على الراعي: النصّح لرعيّته في أمور الدين أولاً، ثم في أمور الدنيا ثانياً؛ بنشر الاعتقاد الصحيح والسّنة، بالتعليم والحكم والدعوة إلى الله على بصيرة، وبمنع البدع وأعظمها بناء المساجد على أوثان الأضرحة والمقامات والمشاهد والمزارات، وما دونها من سائر بدع العبادات. وللرعيّة على الراعي حق الإحسان والرعاية، وألاّ يكلفهم ما لا يطيقون، وأن يوفرّ لهم من الخدمات المعيشية ما يطيق، وأن يكون قدوة صالحة في الدين والدنيا، قال الله تعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ﴾، وقال رسول الله ﷺ: "ما من عبد يسترعيه الله رعية، يموت يوم يموت وهو غاشٌّ لرعيّته إلا حَرَّمَ الله عليه الجنة" [رواه البخاري]؛ فلا يختصُّ الأمر بالسلطان وحده؛ بل "كلكم راعٍ وكلُّ مسؤول عن رعيّته".

٣ - وموجز القول لمن قَبِلَ حكم الله في كتابه وسنة رسوله: على الرّعية طاعة الرّاعي وإن ظلم وجار، وإن فسق وفجر، إلا أن يأمر أحداً من رعيّته بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، قال النبي ﷺ: "عليك السمع والطاعة في عُسرِكَ ويُسرِكَ ومنشطِكَ ومكرهِكَ وأثرَةٍ عَلَيْكَ" [رواه مسلم]، وقال ﷺ: "إنها ستكون بعدي أثرٌ وأمور تنكرونها" قالوا: كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال: "تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم" [متفق عليه]، وقال ﷺ: "من يطع الأمير فقد أطاعني ومن يعص الأمير فقد عصاني" [متفق عليه]. بل قال ﷺ: "يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهدي ولا

يَسْتَنُونَ بِسَنَّتِي"، قال حذيفة: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال ﷺ: "تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ وَإِنْ ضَرَبَ ظَهْرَكَ وَأَخَذَ مَالَكَ فَاسْمَعْ وَأَطِعْ" [رواه مسلم]. بل قال ﷺ: "كيف أنت إذا كانت عليك أمراء يؤخّرون [أو يُمَيِّتُونَ] الصلاة عن وقتها؟" قال أبو ذر: فما تأمرني؟ قال ﷺ: "صَلِّ الصَّلَاةَ لَوَقْتُهَا، فَإِنْ أَدْرَكْتَهَا مَعَهُمْ فَصَلِّ فَإِنَّهَا لَكَ نَافِلَةٌ" [رواه مسلم]، ومع ظهور المعاصي من الشرك فما دونه في مسلمي اليوم إلا من رحم الله؛ لم يُؤَمَّرْ أَحَدٌ باقترافها. ولو حدث ذلك وجبت طاعة الرّاعي في طاعة الله ومعصيته في معصية الله كما قال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أحد رواة الحديث عن ذلك. وصلى الله عليه وسلم على محمد وآله وصحبه.

رأي في بيان الحركيين

كتب عدد من المواطنين في دولة أُسِّست من أوّل يوم على الدعوة إلى التوحيد والسّنة ومحاربة الشرك والبدعة (وهو ما لم يحدث في تاريخ المسلمين منذ انتهاء القرون المفضّلة وقيام دولة الفاطميين ثم العثمانيين غير الرّاشدة وغير المهدية وما بينهما؛ كتبوا ما أسموه (رؤية لحاضر الوطن ومستقبله).

ومع حسن الظنّ بنية الكاتبيين، فقد رأيت أن من واجب البلاغ إبداء رأي في هذه الرؤية وبيان ما أدين الله به من موافقة أو مخالفة لها:

وبما أن المعيار الصحيح الوحيد (للحكم عليها أوّلها) الذي يقرّه شرع الله ويجب أن يقبله كل مسلم هو الكتاب والسنة بفهم فقهاء الأمة في القرون المفضّلة؛ فإن هذه (الرؤية) تخالف هذا المعيار أكثر مما توافقه:

١ - لم تتضمّن (الرؤية) من أدلة الكتاب والسنة والفقه فيها غير حديث واحد حُذِفَ منه أهم ما فيه (معياره) "لله ولكتابه ولرسوله" فكان حديث (الرؤية) المبتور: "الدين النصيحة.. لأئمة المسلمين وعامّتهم".

٢ - لغة (الرؤية) بعيدة عن لغة الكتاب والسنة، وقريبة جدّاً من لغة الجريدة والإذاعة الدّارجة، بل هي في الغالب مقتبسة من لغة النّظم العلميّة: الدّستور، القانون، الانتخاب، حقوق الإنسان، السّلطة، النقابات، المجتمع، الثقافة، المؤتمر الوطني، العدالة الاجتماعيّة، الشّفافية.

٣ - كاتبوا (الرؤية) خليط عجيب من البشر: الإسلامي (كما يصف

نفسه) والشيوعي والقومي، تجمعهم صفة الحزبية، ويفقد بينهم الداعي إلى الله على منهاج النبوة.

٤ - رأوا أن بناء (دولة المؤسسات الدستورية) يقوم - أولاً - على (تطبيق الشرع فيما نصّ عليه من أمور العبادات والمعاملات) ونسوا ما هو أهم من العبادات والمعاملات: الاعتقاد، وفاتهم أن أساس الشرع: الوحي من الله عزّ وجلّ على أنبيائه، وأساس الدستور ومؤسّساته: فكر البشر؛ اليهود والنصارى والملحدون والوثنيون.

٥ - ورأوا أن بناء (دولة المؤسسات الدستورية) يقوم - ثانياً - على رضا مواطنيها، وفاتهم أن رضا الناس غاية لا يمكن إدراكها؛ فهذه أمريكا أكبر وأقوى وأغنى دولة مؤسسات دستورية لم يرض عنها كثيرٌ من مواطنيها بل قتلوا وحاولوا قتل عدد من رؤسائها.

بل هذه دولة الإسلام في عصر الخلافة الراشدة المهدية لم يرض عنها من مواطنيها من (تقرّب إلى الله) بقتل الخليفة الثالث والرابع ممن شهد لهم النبي ﷺ بالرّشد والهدى والجنة. وفاتهم أن الطريق الوحيد لرضا الخلق هو إرضاء الخالق كما نزل بذلك الوحي.

وليس (الدستور ولا مؤسّساته) من هدي الله ولا من سنّة رسوله ولا من سبيل المؤمنين في القرون المفضّلة، وإنما هو التقليد الشكلي للعلمانية.

٦ - ورأوا أن (العدل أساس الملك)، وهذه جملة يحفظها الأطفال قبل أن تسقط أسنان الرضاع، وقد أمر الله بالعدل مع المسلم والكافر، والعدل إنما يكون

بشريعة الله لا بتقليد المغضوب عليهم والضالين عنها: قال الله تعالى: ﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾.

أما (العدالة الاجتماعية) المأخوذة من فكر سيد قطب تجاوز الله عنا وعنه فليست مما (أوجب الله) ولا (عدّها من قواعد الملّة) كما ادّعى كاتبوا (الرؤية) ولا سنّها رسوله ﷺ بقوله ولا فعله ولا تقريره ولا نطق بها أحد من صحابته أو تابعيهم أو أي من فقهاء الأمة في أي عصر قبل أن يذرّ قرن الفكر الإسلامي التائه عن شرع الله.

٧ - ورأوا (تشكيل مجلس الشورى بالانتخاب المباشر ليجسّد سلطة أهل الحل والعقد التشريعية الذين يُردُّ لهم الأمر بعد الله ورسوله لأنهم يمثلون إجماع الأمة).

ولم يصدر عن رسول الله ﷺ قول ولا فعل ولا تقرير يوافق هذه (الرؤية)، ولم يرد لفظ الانتخاب على لسانه (مباشراً أو غير مباشر)، ولم يعرفه أو يعمل به أحد من خلفائه ولا صحابته ولا متبّعي سنته.

وليس لهذه (الرؤية) مرجع في هذا الأمر غير التقليد الذي بدأه اليونان الوثنيون قبل ثلاثة آلاف سنة وعمل به الأوربيون النصاري في القرنين الأخيرين، ولم يضمن الحق ولا العدل في اليونان، ولا في البلاد التي قلّدتهم، وبخاصّة بلاد المسلمين التي تراوحت فيها نتيجة الانتخاب في الغالب بين ٨٥ و ١٠٠٪ لصالح الحزب أو الفرد الحاكم دائماً أبداً.

وفي شريعة الله: (أهل الحلّ والعقد) هم العلماء بشرع الله وهم النخبة

القليلة المؤهلة للحلّ والعقد، ولا يجوز وصفهم بالسلطة التشريعية ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ﴾.

وحكم الأغلبية الانتخابية حكم الطاغوت أجنبي عن شرع الله فقد وصف الله الأكثرية من الناس بأنهم: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ﴾ و﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ و﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، بينما وصف عباده الصالحين بالقلّة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

٨- وليست الشورى من أركان الإسلام ولا أركان الإيمان، ولا من العبادات المفروضة، ونتيجتها ليست ملزمة للنبي ﷺ كما ادّعى أهل (الرؤية) ولا لأحد من متبّعي سنته، فقد قال الله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ (فهذه الله سبحانه إلى إمضاء ما يريد بعد المشاورة متوكلاً على الله لا على عزمه ولا مشورة غيره)، وعمل بذلك خليفته الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه فلم يعمل بنتيجة المشاورة بل برأيه المخالف لها في قتال مانعي الزكاة، واختلف علماء الأمة في وجوب الشورى أو نذّبها على قولين أرجحهما النّدب.

٩- وكان من خير ما تضمّنت (الرؤية): (استقلال ما سُمّي بالسلطة القضائية وذلك مقرر نظرياً)، وشمولها (اللجان شبه القضائية وهيئة الادعاء العام). ولكن شابها المطالبة (بتدوين الأحكام وتوحيدها وتقنين التعزيرات) ثم مناقضة ذلك بالمطالبة (بتوسيع وتعميق برامج إعداد القضاة ليكونوا أكثر قدرة على حلول عملية للمشكلات المتداخلة المستجدة).

وإنما عارض علماء الأمة منذ الإمام مالك رحمه الله (توحيد وتقنين

الأحكام) لئلا يضيّقوا ما وسّع الله فيه وليكون القضاة أكثر قدرة على اختيار الحكم المناسب في مكانه وزمانه من بين اجتهادات علماء الأمة وفقههم في الدين.

١٠ - من أسوأ ما تضمّنته الرؤية: (كفالة ممارسة الحقوق العامة في

حرية الرأي والتعبير والتّجمّع وسائر حقوق الإنسان التي أقرها الإسلام قبل أن تصبح قرارات دولية)؛ فادّعاء (إقرار الإسلام حرية الرأي والتّعبير والتّجمّع وسائر حقوق الإنسان التي أصبحت قرارات دولية) افتراءً على الله وعلى رسوله وعلى فقهاء الأمة الأوّل وعلى دين الإسلام.

والرأي والتعبير والتّجمع مقيّد بأحكام الشريعة في الاعتقاد والعبادة والمعاملة؛ قال الله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ﴾، والرأي من الهوى إذا لم يَنْقَدْ ويتقيّد بشرع الله، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا﴾، وقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِذَا تَنَجَّيْتُمْ فَلَا تَنَجَّوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ﴾.

١١ - ورأى أصحاب (الرؤية): (مشروعية قيام مؤسسات المجتمع المدني كالنّوادي والجمعيات والنقابات المهنية والثقافية والاجتماعية والاقتصادية). ومما ميّز الله به هذه البلاد المباركة خلّوها من الجماعات والأحزاب وبخاصة الدينية التي حذر الله عباده (المتقين غضبه الراجين ثوابه) منها: ﴿فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾، ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَارَقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا فَعَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ وَتَذَهَبَ رِجْزُهُمْ﴾.

و(النقابات والاتحادات) مثل (المظاهرات والاضرابات) وسيلة لفرض رأي أو مصلحة فئة من الناس على الأغلبية، ومن المظاهر الحضارية الفاسدة.

١٣ - وتضمنت (الرؤية) اقتراحات (نظرية) لعلاج المشكلات الاقتصادية، منها ما هو صالح ومنها ما هو دون ذلك، ولكن يجمعها ألا جديد فيها فالجميع يرددونها؛ كل يطلبها من الآخر وينسى نفسه.

وينسى الكتبة السبب الأول للمعاناة الاقتصادية العالمية: الإسراف الذي نهى الله عباده عنه وبيّن أنه لا يحبه سواء تعلّق بالدين أو بالدنيا: ﴿يَنْبَىٰ ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾؛ فالإسراف حرام في الحلال والحرام، في الدين والدنيا، ولكن الغالبية من البشر غارقون فيه إلى آذانهم؛ الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والعالم والجاهل، والغني والفقير؛ إسراف في المركب وفي الطعام والشراب واللباس والأثاث، وإسراف في تشييد المساجد، وإسراف في زخرفة المصاحف، وإسراف في العبادة والمحبة (تقرباً إلى الله بمعصيته)، وإسراف في الترف وفي استهلاك الخدمات العامة وبخاصة: الماء والكهرباء والهاتف، والمطاليون بالإصلاح لا يقلّون عن غيرهم مساهمة في الإفساد؛ المهم مجرد المطالبة.

فهل يقبل أصحاب (الرؤية) الحل الشرعي: "القصد في الفقر والغنى"؟ لا يبدو ذلك من (رؤيتهم) فهم يطالبون مرّة بترشيد الإنفاق نظرياً ومرة بزيادته عملياً - بحجة (ضمان المواطن حقوقه الحيائية)، وبالتالي: فقد الحافز على العمل لكسب عيشه في بلد يؤمّه قريب من ٣٥٪ من عدد مواطنيه وافدين

من أدنى الأرض وأقصاها يَكْفُون أكثر المواطنين مؤونة الحركة لخدمة أنفسهم وأهلهم والضرب في الأرض وابتغاء فضل الله.

١٢ - وتتضمن (الرؤية): (دورًا أكبر للمرأة في الشأن العام) بحجة أنها (نصف المجتمع). ودورها (الذي كفلته الشريعة) هو في الشأن الخاص، أما أن تزاحم الرجال وتنافسهم فيما خصّهم الله به فهو خروج عن الشريعة والفطرة؛ فأعظم وظيفة لها: رعاية بيتها لتكون سَكَنًا لزوجها ومربية لأطفالها، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾، وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾، وقال النبي ﷺ: "فالرجل راعٍ في أهله ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيتها ومسؤولة عن رعيته" [رواه البخاري ومسلم]، وقال لنساء المؤمنين: "صلاتكن في دوركن أفضل من صلاتكن في مسجد الجماعة" [رواه ابن خزيمة، صحيح الترغيب]، فكيف بخروجها لما هو دون الصلاة من هو أو عمل لم يضطرّها الله له وبعض الرجال عاطلين. وليست مثل الرجل عقلاً ولا جسماً ولا عاطفة ولا وظيفة، قال الله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَى﴾ وقال تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾.

والذين يُرْجَفُونَ بأن (نصف المجتمع معطل) من أصحاب (الرؤية) أو غيرهم من الصحفيين والممثلين والمهرجين يعلمون أن المرأة عاملة في كل زمان ومكان في الوظيفة التي خلقها الله لها وفطرها عليها وأعدّها لتحملها، ولكنهم يختارون لها وظيفة أخرى تُرضي به (المظهر الحضاري) وتُسخط الله وتعصي سُنّة رسوله، وتُخالف شرعه وفطرته، وتُغيّر خلقه، وتهمل الوظيفة الأهم

(للشأن الخاص) وبالتالي (للشأن العام).

١٤ - وأخيرًا، تتضمن (الرؤية): العفو العام وإعادة الحقوق لمن تسميهم دعاة الإصلاح المهتمين بالشأن العام)، ولكن ما يظنه (كتاب الرؤية) إصلاحًا يراه الدعاة إلى الله (على بصيرة من وحي الله والفقہ فيه) إفسادًا: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾، وفق الله الراعي والرعية إلى التزام شرعه وأعادهم من نزغات الشيطان ووساوسه وأعوانه، وهداهم لأقرب من هذا رشدًا، وصلى الله وسلم على محمد وآله وأتباعه.

حقوق البلد الحرام

اطَّلعت على رسالة أو خُطبة جمعة بعنوان: (الإعلام بقدسيّة البلد الحرام) وبدالي ما يلي:

١ - تحرّى الكاتب السجع في العنوان وغيره، ولا أعرف عنواناً مسجوعاً لأئمة الفقه في الدّين في القرون المفضّلة، ولم يَرِدْ في كتب الفقه والاعتقاد والتفسير وغيرها من العلوم الشرعيّة شيء من السّجع المتكلّف إلا بعد مرحلة الضّعف في التدين والاهتمام بالشكل.

٢ - استشهد ص ٢، بيت من النظم على أن محمداً ﷺ وخاتم الرسل وترك الاستدلال بالآية المحكمة: «وخاتم النبيين» وترك الحديث الصحيح، وهما الأولى فيما يتعلق بالدّين.

وفي كونه ﷺ أفضل الخلق خلاف؛ فجبريل عليه السلام رسول الله تعالى إليه وإنّما ثبت في الحديث الصحيح أنه ﷺ: "سيد ولد آدم يوم القيامة". والأوّلَى ألا يوصف الله ورسوله إلا بما نزل به الوحي، وإلا فلا حُجّة لأهل السنة على أهل البدعة في أوصافهم المبتدعة للنبي ﷺ مثل: (خدّه التفاح شامي، بطنه طيّ الحرير حين يشتدّ الزفير، خدّه أحمر مورّد، ريقه سكر مكرّر، ذو الوجه الأنور والجبين الأزهر)..الخ.

٣ - وكما أن أوصاف الله ورسوله يجب أن تنزّه عن الغزل والعشق الصّوفي؛ فكذلك - في رأيي - بيته الحرام (ومسجد رسوله صلى الله عليه

وسلم).

وفي ص ٧ أورد أبياتاً من ميمية الإمام ابن القيم العاطفية تصف المسجد الحرام، وميميته رحمه الله من أجود شعر العلماء وما ذلك - في رأيي - إلا لأنه حين قالها كان حديث عهد بالتصوّف فكان شيطانها الشعري أقوى، وللتأكد تُقَارَنُ الميمية باللامية في ذم المتصوّفة وبالنونية الكافية الشافية فشيطانها الشعري ضعيف.

وفي بداية الميمية استعمل - رحمه الله - ما يشبه الغزل الصوفي الديني المبتدع، بل مرّ على ذكر (الأوتاد) وهم مثل الأقطاب من الوصف الصوفي لأوليائهم.

٤ - أكثر من (يسكب العبرات على العرصات) ص ٧، هم المبتدعة بالشرك الأكبر فما دونه، ولم أر في الكتاب ولا في السنة ولا في فقه الأئمة الأولى فيهما أن هذا من شعائر الحج أو العمرة فرضاً ولا نفلاً.

٥ - وُصِفَ المسجد الحرام آخر ص ٥، وأوّل ص ٦، بأنه - من لدن إبراهيم - (لم يعلّ فيه راية غير راية التوحيد، ولم يرتفع فيه شعار يناهض الملة الحنيفية والإيمان)؛ غير صحيح؛ فقد ارتفعت فيه بدع ورايات وشعارات وأصوات الوثنيين من قريش ثم من المتمين للإسلام زمن الفاطميين والعثمانيين ومن بينهما، وأحيط بالأصنام والأنصاب زمناً طويلاً، ولو اعتمدنا على الكتاب والسنة والفقهاء فيهما بدلاً من السجع والنظم والمحسنات والزخارف اللفظية لما اختلفنا في وصف بيت الله الحرام.

٦ - (وبنفي) عدم (قول القائل: محاسنه هيولى كل حُسنٍ، ومغناطيس أفئدة الرجال) ص ٩، كَم من العرب أو العجم يعرف كلمة (هيولى)؟ أما المغناطيس فمعروف ولكن ليس من كلمات الله ولا كلام رسوله ولا الفقه في الدين ولا من لغة العرب.

٧ - وهذه الرسالة غير صالحة شرعاً لأن تكون خطبةً لصلاة الجمعة في المسجد الحرام ولا في غيره، فخطبة صلاة الجمعة إنما فرضها الله لتعليم الناس الدين وتذكيرهم بالله وبآلائه وأيامه وشرعه، ولم تلتزم خطبة النبي ﷺ سجّاً ولم تتضمّن شعراً ولم تخرج عن الوحي إلى الفكر ولا عن اليقين إلى الظن والعاطفة، ولا عن الثوابت الشرعية إلى الأحداث الطّائرة.

جزى الله الكاتب خير الجزاء على اهتمامه بتوجيه الحجاج والمعتمرين وسكّان مكة المباركة، وعلى صبره على ملحوظات أخيه.

وصلّى الله وسلم على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنته.

٧ / ٥ / ١٤٢٤ هـ

وظيفة المرأة

في العدد ١٢٩٩٢ من جريدة عكاظ في ٩/١/١٤٢٣ هـ مقال لصحفي جاهل بشرع الله عن أحوال المرأة في بلاد التوحيد والسنة، ولو كان لوالده العالم الربّاني رحمه الله أن يتقلّب في قبره لما قرّله قرار حين يعلم أن أحد أبنائه ينقض غزله التربوي الشرعي وجُهدَه لإقامة بيته وبيوت المسلمين في البلد الحرام مهبط الوحي ومهد الرسالة على شرع الله تعالى وسنة نبيه ﷺ.

وأيّ فرق بين الوالد - أحد كبار الدعاة إلى السنّة وخطباء المسجد الحرام - وبين الولد الذي ينقم على الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر وعلى رئاسة تعليم البنات (إعلاء أسوار المدارس)، ويعدّ الحجاب الشرعي الذي ميّز الله به هذه البلاد وهذه الدولة المباركة - مع مميزات عظيمة أخرى كلها دينيّة - يعدّه: (عادات قديمة تبدو نشأًا في القرن العشرين) مصدرها: (الهوس الرّجالي والنّظرة القاصرة للمرأة وعقدة فرويد) ونتيجتها: (تعطيل نصف المجتمع أو إلغاؤه)، ولا يظهر له هدف إلا إبراز اسمه بشذوذ فكره.

ويتجاوز الصحفي حدود مهنته وفكره؛ فيدخل في خلاف العلماء حول مشروعية الحجاب أو حدوده، ويأمل أن (ما حدث في نيويورك في متندى (دافوس) دليلٌ على السّير في طريق الشفاء من عقدة المرأة) خاب أمله.

وسبب اهتمامه بما يسمّيه: (إعادة النظر في بعض هذه المسلّمات والخروج من أسرها): الرغبة في (أن نسير بمحاذاة الحياة المعاصرة لا أن نتخلّف عنها)،

والتخلف عن السير بمحاذاة الهاوية أمرٌ من الشرع والعقل.
وعلماء الشريعة المعتدّ بهم اختلفوا في حكم تغطية الوجه والكفين،
ولكنهم لم يختلفوا في حكم ترك المرأة وظيفتها الشرعية والطبيعية: رعاية بيتها
وزوجها وأولادها للاشتراك في المؤتمرات العالمية أو المحلية والأعمال العامة
فيما لا ضرورة له - وبخاصة في وقت يشكو الرجال - الذين وصفهم خالقهم
بأنهم قوامون على النساء - يشكون البطالة.

وقد قال الله تعالى لقدوة النساء: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ
الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾.

وقال النبي ﷺ لنساء المؤمنين: "صلاتكن في دوركن خيرٌ من صلاتكن
في مسجد الجماعة" [صحيح الترغيب والترهيب].

ومع أنه ﷺ رخص للمرأة في الخروج إلى المسجد - رخصة لا عزيمة -
ونهى عن منعها منه؛ فقد اشترط عدم التزيّن، وقال: "وبيوتهن خير لهن".

والذي يظنّ أن فرض الحجاب على المسلمة تعطيل أو إلغاء لوظيفتها
في الحياة، فإنما أتى من ضلاله أو جهله بوظيفة المرأة التي اختارها الله لها وهيأها
لها؛ قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ
إِلَيْهَا﴾. وبعدها الله وحكمته ورحمته قسم بينهما وظائف الحياة: للرجل القوامه:
﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ
أَمْوَالِهِمْ﴾، ولا تتم القوامه إلا بعمل الرجل خارج بيته ضارباً في الأرض مبتغياً
من فضل الله، وللمرأة الحمل والولادة والتربية وإعداد البيت ليكون كما

وصفه الله ﴿سَكَنًا﴾ صالحًا. قال النبي ﷺ "... والمرأة راعية في بيتها وهي مسؤولة عن رعيته" [متفق عليه]، ولن تقوم بهذه المسؤولية العظيمة - وكفى بها وظيفة - إلا بعملها داخل البيت؛ فالحقيقة - شرعًا وعقلًا - أن الذين يشجعون المرأة على الخروج من بيتها (لتقوم بواجب العمل العام والتواصل بالعالم بالمؤتمرات الدولية) - كما قال الصحفي نفسه في مقال سابق - هم الذين يعطلون وظيفتها الشرعية والطبيعية أو يلغونها، ويَجْنُون على المرأة والزَّوج والولد والأمة والدين والمسلمين.

ولم ير الصحابة رضي الله عنهم أنَّ على المرأة - أو أنَّ لها - مشاركة أئمة الرجال وأعفهم وأعلمهم في شورى السقيفة - مثلاً - لاختيار خليفة لرسول الله ﷺ بعد موته، ولم ير عمر رضي الله عنه أنَّ على المرأة - أو أنَّ لها - أن تكون من بين من وُكِّل إليهم اختيار الخليفة من بعده، وفي النساء - يومئذ - أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وأمثالها ممن هنَّ أفقه في دين الله من أكثر الرجال.

أما قضية الحجاب فأمر آخر، ورغم الخلاف فيها فلم يقل أحد من العلماء المذكورين في المقال السابق أو اللاحق أنه يجوز للمرأة كشف وجهها عند خوف الفتنة، ولن يشكَّ عاقل بأن احتمال الفتنة اليوم أكثر منه في عصر النبوة عندما حذر النبي ﷺ من فتنة النساء، وأن احتمال الافتتان بكشف الوجه أكبر من احتمال الافتتان بكشف الركبة، الأمر الذي اتَّفَقُوا على تحريمه.

وقد استدل الصحفي بآية ليست في كتاب الله: (أَفَلَا تَدَّبَّرُونَ)، في سياق يقتضي الاستشهاد بآية: ﴿أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾، ولكن الله تعالى يقول: ﴿أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ

الْقُرْآنَ أَمَرَ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿١﴾، وكل ما في القرآن يهدي إلى شرع الله وفطرته التي فطر الناس عليها، وليس من الشرع ولا من الفطرة إخراج المرأة من أمن بيتها وإبعادها عن رعيّتها التي سيسألها الله عنها، ولم يُعرف ذلك في بلاد المسلمين قبل أن ينادي (قاسم أمين) تجاوز الله عنا وعنّه بكشف وجه المرأة وكفّيتها بحجّة الخلاف بين العلماء في حكمه، والنتيجة معروفة لمن تفكّر وتدبّر.

إن الله قد ميّز هذه البلاد وهذه الدولة المباركة بتأسيسها من أول يوم على الدّعوة إلى الكتاب والسنة، وميّزها براية التوحيد، وميّزها بتحكيم شرع الله، وميّزها بخدمة الحرمين وتطهيرهما من المحدثات والفتن والشبهات والشهوات، على هذا تعاهد الإمامان محمد بن عبد الوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله، وعلى هذا قام مُلك عبد العزيز رحمه الله وذريته من بعده ثبّتهم الله بالقول الثابت في الحياة الدّنيا وفي الآخرة، وبهذا أهّلهم الله لقيادة الأمم إلى الحق والعدل، ونزّههم عن اتباع كل ناعق يُحْكَم هواه أو هوى غيره (ممن لا خلاق لهم في الدنيا ولا في الآخرة) ويتنكب حُكم الله، وهو يحسب أنه على هدى، قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَخَذُوا الشَّيْطِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ﴾.

ردّ الله الجميع إلى دينه ردّاً جميلاً، وهداهم لأقرب من هذا رشداً.

مداواة الغلو بدائه

قرأت مقدمة الشيخ زهير الشاويش لرسالة الشيخ محمد شقره: (سيد قطب بين الغالين فيه والجافين عليه) وبدأت لي أكثر من ملحوظة عليها:

١ - الرسالة صغيرة وحديثة وكاتبها معروف وهو ينفي رضاه بهذه المقدمة، فما الدافع إلى كتابتها؟ الدفاع عن حسن البناء، وسيد قطب رحمها الله وعن الإخوان المسلمين هداهم الله؛ إذن فالرسالة خيرٌ من المقدمة في التحذير من الغلو والجفاء في هذا الأمر وغيره، ولم تفعل المقدمة أكثر من تشويه هدف الرسالة حيث مالت إلى الغلو في أفراد وجفت آخرين.

٢ - والمقدمة تخالف الرسالة في المنهاج مع أنها جاءت - افتراضاً - تأييداً لها؛ تقول المقدمة: (إن سيداً معذور في [عدم فهمه] توحيد الله لعدم وجود قواعد ثابتة عنده يومها) ص ١١.

وتقول الرسالة: (فليس يُعذر سيد رحمه الله بخفاء جوانب من التوحيد الصحيح بدعوى أن الفترة: الزمنية التي عاش فيها).. الخ (ص ٣٥ - ٤٠).

٣ - والمقدمة يخالف بعضها بعضاً: ص ٥ تقول: بأن الذين شنقوا سيداً وقتلوا حسن البناء (محاربون للدين صراحة)، وهم يُعلنون الإسلام ويظهرون أداء بعض شعائره الظاهرة، وص ٩، تقول بأنه: (لا يجوز أن نزن بمسلم تبني العقائد المباينة للإسلام ولو أخطأ في الفهم أو قصر في التطبيق)، ومحاربة الإسلام أعظم من (تبني) غيره - والله وحده يعلم إن كان الخلاف على

السُّلطة - كما أظن - أو على الإسلام - كما يدّعي الحزبيون - ولم يُعرف عن أيٍّ منهم الاهتمام بأعظم ما فرض الله على عباده: نشر توحيد العبادة والتحذير من الشرك فيها.

٤- ومع أن المقدمة توافق الرسالة في التحذير من الغلو بدا لي أنها وقعت فيه بقطعها بالشهادة لحسن وسيّد رحمهما الله، وقد بَوَّب البخاري رحمه الله في صحيحه فقال: (لا يقال فلان شهيد) وساق أكثر من حديث صحيح يثبت ذلك (٥٦ - ٧٧). وَوَقَّعت المقدمة في الغلو بدعواها: (أن نصيب حسن البنا - رحمه الله - من التصوف ذِكْرُه لله في الحادية عشرة من عمره مع بعض المصلّين الذين تبَيَّن له بَعْدُ أنهم من الخلوتية ولم يتنسب إليها) ص ٧٠، وهذا مخالف لما أثبتته حسن البنا نفسه: يقول رحمه الله في كتابه: (مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٧، ٣٤ ط الزهراء للإعلام العربي ١٤١٠ - ١٩٩٠: (وظلّت مُعلّق القلب بالشيخ [عبد الوهاب الحصافي شيخ الطريقة الحصافية] حتى التحقت بمدرسة المعلّمين الأوّلية بدمنهور وفيها مدفن الشيخ وضريحه وقواعد مسجده الذي لم يكن تمّ حينذاك، وتمّ بعد ذلك، فكنت مواظبًا على زيارته كل يوم تقريبًا)، (وواظبت على الحضرة [الصوفية] في مسجد التوبة كل ليلة، فرجوته [بسيوني العبد] أن يأذن لي يأخذ العهد [الصوفي] عليه فقبل.. وحضر السيد عبد الوهاب [الحصافي] إلى دمنهور وتلقيت الحصافية الشاذلية عنه وأذنني بأدوارها ووظائفها، وكانت أيّام دمنهور ومدرسة المعلمين أيّام الاستغراق في عاطفة التصوف والعبادة، وكانت سنّي إذا ذاك من الرابعة عشر

إلا أشهرًا إلى السابعة عشر إلا أشهرًا، ويشهد له الشيخ أبو الحسن الندوي رحمه الله أنه استمر في هذا الطريق إلى آخر حياته (التفسير السياسي للإسلام) ص ١٣٨ - ١٣٩.

ويشهد الشيخ حسن نفسه أنه اختار شد الرحال إلى القاهرة: (حيث دار العلوم وحيث المقر الرئيسي لشيخنا السيد عبد الوهاب الحصافي)، مذكرات الدعوة والداعية ص ٥٢، فيقول: (كنت سعيدًا بالحياة في القاهرة هذا العام.. كما كنت أجد متعة كبرى في الحضرة [الصوفية] عقب صلاة الجمعة من كل أسبوع في منزل الشيخ الحصافي، ثم في منزل الخليفة الأول للشيخ الحصافي علي أفندي غالب) ص ٥٥، (وأذكر أنه كان من عادتنا أن نخرج في ذكرى مولد النبي ﷺ بالموكب بعد الحضرة كل ليلة من أول ربيع الأول إلى الثاني عشر منه) ص ٥٨. ولم تكن علاقته - رحمه الله بالتصوّف مجرد اشتراك في الذكر الصوفي وإعجاب بالذاكرين على طريق غير طريق رسول الله ﷺ ثم بيعة صوفية على الأوراد والموالد، بل دراسة للتصوّف - كما يقول حسن البنّا - مع ثاني مؤسس الجماعة الإخوان المسلمين: أحمد السّكري، حيث كانوا يجتمعون ليلة الجمعة في منزل الشيخ شلبي الرّحال بعد الحضرة (حيث نتدارس فيها كتب التصوّف من (الإحياء)، ونسمع (أحوال الأولياء)، و(الياقوت)، و(الجواهر) وغيرها، ونذكر الله إلى الصباح، كانت من أقدس مناهج حياتنا) ص ٣٩.

وأثناء دراسته في دار العلوم يقول: (خصّصت جزءًا من كتبي (كالإحياء) للغزالي، و(الأنوار المحمدية) للنبهاني، و(تنوير القلوب في معاملة

علام الغيوب) للشيخ الكردي، وبعض كتب المناقب والسِّيَر، لتكون مكتبة دورية خاصة بهؤلاء الإخوان يستعIRON أجزاءها يحضرون موضوع الخطب والمحاضرات منها) ص ٦١.

من هنا أُثبِتَتْ أكثر الجماعات الموصوفة زورًا بالإسلامية: تأخذ منهاج دعوتها من كتب التَّصَوُّف والابتداع والخرافة والتاريخ ولا تأخذه من نصوص الوحي والفقه فيها؛ منهاج رسول الله ﷺ وخلفائه وصحابته وتابعيه بإحسان إلى يوم الدين.

ويبين الشيخ حسن رحمه الله أنه لم يتجنَّب محاباة طريقته الحصفية التي بايع عليها بسبب أنها بدعة منكرة لم يكن عليها أمر رسول الله ﷺ ولا أئمة القرون المفضلة، ولكنه لم يشأ أن يحصر جماعة الإخوان في طريقة واحدة: (لم أكن متحمسًا لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها: أني لا أريد الدخول في خصومة مع أبناء الطُّرُق الأخرى، ومع هذا أكرمت الشيخ عبد الرحمن [سعد خليفة الشيخ الحصافي] وأحسنت استقباله ودعوت الراغبين في الطريق [الصوفي] إلى الأخذ عنه) ص ٨٨، ٨٩.

ويؤيد هذا قوله في مجموعة رسائله طباعة المؤسسة الإسلامية للطباعة والصحافة والنشر في بيروت، أن الحركة: (دعوة سلفية وطريقة سنّية وحقيقة صوفيّة وهيئة سياسية وجماعة رياضية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية) ص ١٥٦، ١٥٧، وقوله ص ٨٩ - ١٠٠: (ونظام الدعوة في هذه المرحلة - مرحلة التكوين - صوفيٌّ بَحْتُ من الناحية الرّوحية، وعسكريٌّ بَحْتُ من

الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج). وحقيقة هذه الدعوة أنها: حقيقة صوفية وهيئة سياسية وجماعة رياضية وشركة اقتصادية وفكرة اجتماعية، أما أنها دعوة سلفية وطريقة سنية ففي ذلك نظر، بل هناك تباين واضح بين الدعوتين والطريقتين:

١ - الدعوة السلفية والطريقة السنية منذ أرسل الله أول رسله حتى أرسل خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين تبدأ وتنتهي بالأمر بإفراد الله بالعبادة والتحذير من إشراك الأولياء معه: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّغُوتَ﴾.

أما الشيخ حسن رحمه الله فلم يكن في دعوته مكان يذكر لهذا الأمر العظيم، ومع أنه أوصى تابعيه (بتخفيف شرب الشاي والقهوة) ضمن واجباتهم العملية للبيعة الإخوانية المبتدعة، وأوصى ولاية الأمر (بتنظيم المصايف وتوحيد الزي) (مجموعة رسائله ص ٧٦، ٧٧ - ٢٧٧، لم يجعل من الواجبات العملية للبيعة، ولا من وصاياه للولاية، تحذير الرعية ولا الرعاية في بلاد المسلمين من أوثان الأضرحة والمزارات والمشاهد والمقامات ولا تحذيرهم من البدع الشركية الأخرى التي عايشها من المهد إلى اللحد.

ومع أن سيد قطب وحده - رحمه الله - تنبه إلى هذا النقص الفاضح في منهج الشيخ حسن وأتباعه فقال: (الحركات الإسلامية تشغل نفسها بالاستغراق في الحركات السياسية المحدودة كمحاربة معاهدة أو اتفاقية وكمحاربة حزب أو تأليب خصم في الانتخابات عليه، كما أنها تشغل نفسها

بمطالبة الحكومات بتطبيق النظام الإسلامي والشريعة الإسلامية بينا المجتمعات ذاتها قد بَعُدَتْ عن فهم مدلول العقيدة الإسلامية؛ لأن المجتمعات البشرية اليوم بما فيها المجتمعات في البلاد الإسلامية قد صارت إلى حالة مشابهة كثيراً أو مماثلة لحالة المجتمعات الجاهلية يوم جاءها الإسلام فبدأ معها من العقيدة والخلق لا من الشريعة والنظام). لماذا أعدموني ص ٢٩، ٣٤، إلا أنه رحمه الله لم يكن يفقه معنى "لا إله إلا الله" ولا الفرق بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فضلاً عما دون ذلك من علم الشريعة؛ يقول رحمه الله: ("لا إله إلا الله" كما كان يُدْرِكها العربي العارف بمدلولات لُغته: لا حاكمية إلا لله)، ص ١٠٠٦ دار الشروق. ويقول: (والإله هو المستعلي المستولي المتسلط) ص ٤٠١٠، ويقول: (فقضية الألوهية لم تكن محل خلاف، إنما قضية الربوبية هي التي كانت تواجهها الرسالات) ص ١٠٠٦، والله تعالى يقول: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۖ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ۚ﴾، ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ مَن خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ﴾.

وبعد هذا ألا يجب أن نميّز بين (بحر علم سيد) كما وصفه الشيخ زهير، وفخّ أسلوبه الصحفي الذي خُدِعَ به كثير من الناس فظنوه ماء وما هو إلا السراب؛ عفا الله عنا وعنه لقد قال على الله بغير علم فساهم في صرف الناس عن اليقين إلى الظن في تفسير القرآن، مثل كثير من المثقفين الجهلة بشرع الله، عفا الله عن الجميع، وردّنا وردّ المسلمين إلى دينه الحق ردّاً جميلاً.

بدعة الانشغال بالإعجاز الظني عن التدبر اليقيني

كتب رئيس تحرير جريدة الرياض مقالاً بعنوان: (القرآن بلغة العلم) في العددین ١٢٦٠٧ و ١٢٦٠٨ عام ١٤٢٣هـ حول فرحته بمنهاج جديد في الدِّين دلَّه عليه د . (زغلول النجار)، فرأيت تنبيهه وقرأ جريدته إلى ما يلي:

١ - الواجب في مثل هذا الأمر الرجوع إلى وحي الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وفقه أئمة القرون المفضلة فيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ﴾.

٢ - د. زغلول هداانا الله وإياه ليس بأول من قال على الله بغير علم فقد سبقه (رشاد خليفة) الذي بهر عقول أشباه العوام من المثقفين بادّعاءه أن كل سور القرآن تنقسم على رقم ١٩ أو مضاعفاته، وشجّعه ذلك على التنبؤ بيوم القيامة، ثم اتّهم بادّعاء النبوة والانتفاء إلى فرقة ضالّة تقدّس الرقم (١٩) واغتيل.

وقبل ذلك سبقه (الكواكبي ت ١٣٢٠هـ) للابتداع في التأويل.

ثم تبعه الشيخ (طنطاوي جوهري ت ١٣٥٨هـ) في تفسيره (الجواهر).

وكل من ولّع في تفسير كلام الله اليقيني بالظن في هذا العصر من (الكواكبي) إلى (زغلول النجار) ليس لهم من الإحاطة بشرع الله وبالعلوم الطبيعية ما يعذرهم في القول على الله والانحراف عن منهاج النبوة وفقه القرون المفضلة فيه.

ولكن اثنان من العلماء سبقوا متأخري المفكرين تجاوز الله عنا وعنهم

جميعاً؛ فكما فتح (الغزالي - ت ٥٠٥هـ) الباب للخلط بين التصوف والإسلام، فتح الباب للخلط بين الفقه والفكر في فهم نصوص الوحي في كتابه: (إحياء علوم الدين) وكتابه (جواهر القرآن) وتبعه (الفخر الرازي - ت ٦٠٦هـ) في تفسيره (مفتاح الغيب)، والاثنان من أئمة الانحراف في الاعتقاد والتأويل.

٣ - يُظَلِّمُ العلم الشرعي بدعواكم: أن زغلول النجار: (تمتكن من العلوم الشرعيّة)؛ فلم يُعرَف عنه تمكّن - بل - ولا اهتمام بالعلم الشرعي ولا دعوة إلى إفراد الله بالعبادة ونفيها عن أوثان المقامات والمزارات والمشاهد التي أحاط بها وأحاطت به أكثر سنوات عمره خلافاً لمنهج كل رسل الله وكل رسالاته، ولا حاول قطّ نشر السنة ولا التحذير من البدع.

أما لقب الدكتوراه في الجيولوجيا فلا يجيز له وأمثاله الاعتداء على تأويل كلام الله تعالى الذي أَسْقَطَ عن مثله صفة العلم اليقيني الشرعي وإن كان له نصيب من العلم الظنّي الدنيوي: ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ * يَعْلَمُونَ ظَهَرَ مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ .

٤ - دعواه: (خَطَأَ حَضَرَ التّعليم الديني بعلوم فقهية محدودة) ودليله: (أن علماء الدين الأوائل فيهم الطبيب والفيزيائي والفلكي) ناتجة عن انحرافه عن منهاج العلم الشرعي وبُعدّه عن الفقه في دين الله، وبالتالي: وجوب إبعاده عن منابر الإعلام الديني والدعوة إلى الله وبخاصة في بلاد الدعوة إلى منهاج النبوة في الدين والدعوة، فليس بين علماء الأمة المعتدّ بهم في القرون المفضلة طبيب ولا فيزيائي ولا فلكي ولا فيلسوف، وكانوا يحصرون العلم والتعليم

الديني في الاعتقاد والعبادات والمعاملات من الوحي في الكتاب والسنة وفقه السلف في نصوصهما، ولم يلتفت المسلمون إلى المهن والفنون التي ذكرها إلا بعد مرحلة الضعف والانبهار بالفكر اليوناني والاهتمام بترجمته ثم النّسج على منواله في الفكر المنسوب إلى الدين.

وما مثله إلا كمثّل سيد قطب تجاوز الله عنا وعنهم جميعاً عندما خُيّل له (نقص مناهج التفسير في القرون المفضلة لانشغال المفسرين بالأهداف الدينية التي تناولها عن إظهار الجمال الفني في القرآن التصوير الفني في القرآن) ص ٢٧، ٣١، ٢٣٩، ط ٩ دار الشروق؛ فاستدرك سيّد قطب النقص الذي تخيّل في القرون المفضلة؛ فوصف آيات الله وكلماته بالسحر (ص ١٧، و ٢٥)، وبالعرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاها العسكرية (ص ٩٧)، وبما يشبه الشعر (ص ١٠٢ - ١٠٥)، وبالفن والتصوير والرسم، وبالتعوّيزة وما فيها من خفاء وهينمة وغموض وإبهام، وبالمشاهد المسرحية والسينمائية (ص ١١٤، ١١٥)، واستعان بموسيقى (ص ١٠٢) ورسم (ص ١١٤) لضبط المصطلحات الفنيّة في وصفه كتاب الله بلُغة اللّهُ.

٥ - (الاجتهاد السلفي الواحد) الذي أبدى الكاتب (أسفه لاكتفائنا به) هو وحده الحق، لقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾، وخطّ رسول الله ﷺ خطأً مستقيماً وخطوطاً خارجة عنه، مبيّناً أن على المسلم اتباع الخطّ (الواحد) وتجنّب الخطوط الأخرى، وقال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ

أَلْهَدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى ۖ وَهَؤُلَاءِ هُمُ السَّلَفُ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ، وَهُمْ وَحْدَهُم الَّذِينَ يُؤْخَذُ عَنْهُمْ حَتَّى تَتَّحِدَ الْأُمَّةُ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ فَلَا تَتَفَرَّقَ بِهِمْ سُبُلُ الْفِكْرِ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ، وَهُمْ الْأَقْرَبُ إِلَى عَصْرِ النُّبُوَّةِ وَهُمْ أَعْرَفُ بِاللُّغَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا كِتَابُ اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَفَرَّقَ لُغَةٌ وَسَائِلُ الْإِعْلَامِ - فِي هَذَا الْعَصْرِ - الْمُسْلِمِينَ عَنْهَا، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: "خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ".

٦ - آيات الكتاب المبين: إمّا محكمة، عرف السلف الصالح معانيها وعملوا بها، ولن يأتي عالم - فضلاً عن جيولوجي أو كاتب أو طبيب - بخير مما هداهم الله له، وإمّا متشابهة، فلا يجوز البحث عن معانيها، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ ۚ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ۚ﴾.

٧ - لقد سبق النصارى إلى مثل هذا الانحراف - كالعادة - كما أخبر النبي ﷺ: "لتتبعن سنن من كان قبلكم" متفق عليه، فحاولوا الاستدلال على صحة الإنجيل بموافقته للنظريات الكونية، ولما تغيرت النظريات سقطت في أيديهم ورأوا أنهم قد ضلّوا، وأصيب التدين النصراني المحرّف بنكسة لم يُفَقَّ منها إلا اليوم إذ قدّر الله حدوث ما يُسمّى بالصحة الدينية لسبب وغاية لا يعلمها إلا الله.

وآخر ما أطلعت عليه في هذا الطريق المعوّج استدلال اليهود على صحة التوراة بما ظهر من التنقيب في وادي الأردن مبيناً أن ثمن الرقيق في عهد

موسى موافق لما نُصّ عليه في التوراة المحرّفة.

والظن بأن اليهودي الذي ذكره الكاتب (سيغّر من ثوابته العدائية للإسلام) إذا ادّعى زغلول النجار أن رقم سورة الحديد في المصحف ٥٧ هو الوزن الذري للحديد، وأن آخر آية في السورة مع البسملة هي العدد الذري للحديد - كما ذكر في المجلة العربية عدد ٢٩٦ - إنما هو الوهم والاثم، ولكن قد يُرضي اليهود والنصارى متابعة المسلم لهم في تحريف كتاب الله بتأويله بما يخالف سبيل رسول الله ﷺ وصحابته وتابعيه رضي الله عنهم؛ قال الله تعالى:

﴿وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

وتأويل زغلول النجار قوله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾، مجرد ترديد لما قاله مصطفى محمود وأمثاله لا يقوله عالم بكتاب الله، ولو قرأ الآية قبلها لَعَلِمَ أن ذلك في الآخرة: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾. والآية: ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۖ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا﴾، والآية: ﴿وَيَوْمَ تُسِيرُ الْجِبَالُ﴾.

وقبل أن (يشيع أن الأرض كروية) اتضح لعلماء التفسير واللغة المعتدّ بهم بل لطلاب العلم: أن للشمس كل يوم مطلع ومغرب، وفسروا به ذكر المشارق والمغارب جمعًا وتثنيةً وإفرادًا، فكلّ ما يقوله (زغلول) إنما هو من زخرف القول وغروره، إضافة إلى ادّعاءاته التي تبهر الصحفيين والعوام وأشباههم فينشرونها دون تثبّت عن (عدد الذين أسلموا) لما سمعوا تفسيرًا يهجر يقين الوحي ويأخذ بظن الفكر العلماني، وعن العالم الأوروبي المجهول في (ذكر الشواهد القرآنية عن علم الأجنة).

وكفى بالمسلم ضلالاً تفسير اليقين الإلهي بالظنّ البشري من غير مسلم
أو من مسلم جاهل بشرع الله..

لا أشكّ ولا أشكّك في نيّته وأمثاله، ولكن من الواضح أن الشيطان
يركبهم مطايا في الصّدّ عن التدبّر الذي أنزل كتاب الله لأجله: ﴿كَتَبَ أَنْزَلْنَاهُ
إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لَيْدُبُرُوءًا ءَايَاتِهِ﴾.

٨ - لا يجوز المساواة بين الشيخ (علي الطنطاوي) رحمه الله وبين
(د. زغلول النجار)، فالأول - خلافاً للثاني - عالمٌ بشرع الله وداعٍ إلى الله على
بصيرة ومعروف بصحة المعتقد وصحة العبادة، ومهنته القضاء الشرعي
والدعوة، وهوايته الأدبية لم تخرج به عن منهاج النبوة في الدين والدعوة فيما
يتعلق بأصول الدين، ولم يأت بجديد في المنهاج ولا في الوسيلة، ولكن الله
وهبه لساناً وقلماً يذكر بمزامير آل داود يجذب القارئ والمستمع إليه.

ولا جديد في الدين منذ انقطع الوحي بموت محمد ﷺ إلى قيام الساعة
قال الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ
الْإِسْلَامَ دِينًا﴾، وقال النبي ﷺ: "تركتم فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا:
كتاب الله وسنتي" وقال: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من
بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كلّ محدثة بدعة
وكلّ بدعة ضلالة".

وقبول الفكر الجديد المنحرف في التأويل استدراك على الله وعلى شرعه
واتّهام لرسوله بالتّقصير في البيان واتّهام لخيار أمته بالتّقصير في الفقه.

٩ - هذا الفكر المنحرف في التأويل - مع افتراض حسن النية - تسويل من النفس ووسوسة من الشيطان لصرف الناس بالفكر عن الوحي وبالظن عن اليقين وبالفتن الدنيوية عن علوم الشريعة وعلماؤها، وصرف للناس عن الإيمان بالغيب إلى الإيمان بالشهادة والله أعلم بما يُصلح عباده قال الله تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾، وقال الله تعالى: ﴿إِنْ نَشَأْ نُزِلْ عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾.

١٠ - ظنّ (أحمد ديدات) قبل (زغلول النجار) تجاوز الله عنهما أن إحاطته بالإنجيل تغنيه عن الإحاطة بشرع الله ومنهاج نبيه في تبليغه، وظنّ كثير من الصحفيين والعوام، وظنّ أشباههم من طلاب العلم أنّه آتٍ بما لم تستطعه الأوائل، ولم يسألوا عن اعتقاده ولا عن مدى التزامه بالسنة في الدين والدعوة ومخالفته لأعدائها، وخالف نصوص كتاب الله وأوامره تجاوز الله عنه في مجادلة أهل الكتاب خاصة: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وغيرهم عامة: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾، وكانت النتيجة أن تحرك مناظروه من النصارى للردّ عليه وعلى دين الإسلام فاتّهموا كتاب الله بالتناقض والركاكة وآلّفوا سوراً يدّعون أنها مثله ردّاً على اتّهامه الإنجيل بمثل ذلك.

لم يقع (زغلول النجار) في المجادلة بالأسوأ ولم يقع (أحمد ديدات) في التأويل المنحرف فيما أعلم، ولكنّ كلاهما خالف ما يسمّيه تركي السديري (الاجتهاد السلفي الواحد) ويسميه أهل العلم: صراط الله المستقيم: نصوص

الوحي بفهم أئمة السلف، وهو وحده الذي يتّحد به المسلمون وبدونه يتفرق المسلمون على دين الله ووحيه وكلماته يتفرّق وتعدّد واختلاف المعايير الفكرية: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾. والله ولي التوفيق.

وسلطنة عُمان تضربُ مثلاً

كتبتُ من قبل بعنوان: (آيرلندا تَضْرِبُ مثلاً) لدولة ترتفع من أسفل منحدرات الانهيار الاقتصادي إلى قِمَمِ النّمو الاقتصادي خلال عقدين من الزّمان بأسباب في متناول الجميع وأهمّها: تعاون الرّعية مع الرّاعي في الأخذ بأسباب الإصلاح وتحمل عواقبه والصبر على مخالفته لهوى الأنفس الأمّارة بالسّوء (من الإسراف والشحّ والكسل وتقديم المصلحة الخاصّة والعاجلة على المصلحة العامّة والآجلة).

ثم زُرْتُ سلطنة عُمان في آخر شهر من عام ١٤٢٤هـ وفوجئت بِمَثَلٍ قريب غير بعيد، عربي غير أعجمي، في منطقة تُصَنَّف مع العالم الثالث، لا الثاني ولا الأوّل، ومع دُول الشّرق والجنوب، لا الشمال ولا الغرب، وخارج نطاق الحضارة الصّناعية لا داخله.

لقد زرت كثيراً من أهمّ الدّول والمدن العربيّة والأعجميّة، وأشهد شهادة حقّ أنني لم أر (ولم أحلم بأن أرى) في البلاد العربيّة والمسلمة ما رأيته في سلطنة عُمان من تكاتف صفات الخير الخُلُقِيّة والإداريّة، الجبليّة والمُكتسبة، وسأحاول فيما يلي عرض أهمّ ما ظهر لي من آثارها بإيجاز:

أ - أوّل ما يظهر للزّائر عند وصوله الحدود الدّوليّة العُمانيّة حُسن المعاملة من المواطن الإداري وحُسن الخلق من المواطن العادي. ومع أن الله

وهب المواطن الخليجي نصيباً متميّزاً عن غيره في اللّين والهدوء والسّماحة -
فيما ظهر لي - فإن نصيب العُماني من فضل الله في هذا الجانب كان الأوفى،
وكان هو الأحقّ به وهو أهله.

ب - تبذل الدّولة جهداً واضحاً ومثمراً في إدارة البلاد تخطيطاً وتنظيماً
وصيانة، وأكثر الدّول تبذل مثل هذا الجهد، ولكنّ ما يميّز سلطنة عمان طاعة
الرّعيّة وتقديدهم بالأنظمة والتزامهم بتنفيذها؛ فلا تكاد ترى شيئاً يعكّر صفو
النّظام والنظافة مما بُلِيَتْ به أكثر البلاد العربيّة والمسلمة : الكتابة على الجدران
واللّوحات المروريّة، مخلفات البناء، الأوراق والمناديل والأكياس، هدر المياه،
التّسابق على حقّ (أو عدم حقّ) المرور. ولا تكاد تسمع شيئاً يعكّر صفو الهدوء
والأمن مما بُلِيَتْ به أكثر البلاد العربيّة والمسلمة: أبواق السيّارات، مزامير
مركبات الشرطة، صياح الدّعايات الدّينيّة والدّنيويّة، ضجيج صغار السنّ
وصغار العقول.

ج - ونتيجة لتوفّر القاعدة الشرعيّة والعقليّة للعلاقة الصّحيحة بين
الرّاعي والرّعيّة: (الطّاعة في المعروف والتّعاون على تحقيق المصلحة العامة) لا
يكاد الزّائر يرى مظهرًا من مظاهر الإجبار على تنفيذ النّظام؛ لا الجيش ولا
الشرطة ولا منظّمي المرور ولا الحواجز الأمنيّة الطّائرة، في هذا الزمن الذي
ابتُني فيه المسلمون (وغيرهم) بظهور رؤوس الفتن والإرهاب، والتّكفير

والتفجير، وتحكيم الأهواء باسم الإصلاح الديني أو الدنيوي.

ولكن أهم ما يميز الشعب العُماني - كما أشرت من قبل: الخُلُق الفِطْرِي الذي يصعب تعليمه أو اكتسابه؛ فلم نتكلم مع عُمانِيٍّ إلا ظهر لنا فَرْحُهُ بالاستجابة، وكرمه بنفسه وماله وجهده ووقته، وصدق رسول الله ﷺ في خبره بأن الله تعالى قسم على عباده الأخلاق كما قسم عليهم الأرزاق، ومن فضل الله ومنه وجوده أعطى العُمانيّين نصيباً موفوراً من القسمتين: الأخلاق العملية بالحيلة، والأرزاق بالكد والجهد في الداخل والخارج ثم بما فتح لهم الله من خزائن الأرض.

هـ - وأخيراً.. أخصّ بالذكر أمرين تميّزت بهما سلطنة عُمان بين أمم الأرض مرتبطين بصفة شرعية يحبّها الله من عباده ويكره ما يناقضها: "القصد في الفقر والغنى": ﴿إِنَّهُ لَا تَحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾:

١ - الالتزام بنظام المرور ومراعاة حقوق الآخرين فيه: جعل من النادر مشاهدة حادث مروري، أو أثره على السيارات، أو تعرّقل حركة المرور بسببه، فكلّ السيارات نظيفة وخالية من الخدوش، وأهم من ذلك كلها صغيرة الحجم اقتصاداً في النفقة وفي الوقود، بعيدة عن مظاهر التّفاخر والتّعاضم الغيبي الكاذب على حساب نعمة الله بالمال ﴿لِيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ وحساب المنتجين في الخارج ممّن يُطالب الحركيون - سفهاً - بمقاطعتهم فيما لم يشرع الله

تعالى ولا يَحْكُمُ العقل بمقاطعتهم فيه.

٢ - ولأنَّ سلطنة عُمان مثل كلِّ بلاد العالم تعاني من نقص الماء ظهر اهتمام واضح بالاقتصاد في صرفه، وفي الأماكن العامّة التي زرتها أدوات مستوردة ومتقنة لتحقيق هذا الغرض لم أرها في أي مكان آخر من هذا العالم.

أرجو الله أن يزيد العُمانيين من فضله دينًا ودنيا، وإيمانًا وأمنًا، وطاعة لله تعالى وإتباعًا لسنة نبيه ﷺ ليقبوا قدوة صالحة في أمور الدنيا، وليكونوا قدوة صالحة في أمور الدين، وأن يردَّ الجميع إلى دينه ردًّا جميلًا، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه ومتّبعي سنّته، والدّعاة على منهاجه، اللهم واجعلنا منهم.

المقال	الصفحة
الفكر الإسلامي قد يخالف الوحي والفقه	٥
أولية الاعتقاد في الدين والدعوة	١٠
باب الشرك الأكبر	١٨
سدّ ذرائع الشرك	٢٣
تعذّر الجماعات الدينية خروج عن الجماعة	٢٨
داء الشقاق من القدر الكوني	٣٣
رأس الدعوة إلى الفتنة	٣٦
الدعوة بالجهل والابتداع	٤٤
الدعوة إلى الله أهم وظائف المعلم	٤٩
من ضلال الفكر (١)	٥٣
من ضلال الفكر (٢)	٥٦
من ضلال الفكر (٣)	٦٠
من ضلال الفكر (٤)	٦٥
الحدائث الإسلامية (١)	٧٦
الحدائث الإسلامية (٢)	٨٠
خطبة الجمعة الفكرية	٨٩
خطبة الجمعة الصحفية	٩٢
كل بدعة ضلالة	٩٥

المقال	الصفحة
كفى الله المسلمين شرّ الفتن والبدع	٩٩
التصوّف شرع لم يأذن به الله	١٠٥
حقوق للمرأة لم يشرعها الله	١١١
لا يقال فلان شهيد	١١٣
لزوم ما لا يلزم في التعليم	١١٦
إنما يلتبس الإصلاح عند أهله	١١٩
لغة الجرايد ووهم الإصلاح	١٢٥
مطاردة الخيال	١٣١
حقوق الراعي والرعيّة	١٣٩
رأي في بيان الحركيّين	١٤٢
حقوق البلد الحرام	١٥٠
وظيفة المرأة	١٥٣
مداواة الغلوّ بدائه	١٥٧
بدعة الانشغال بالإعجاز الظنّي عن التدبّر اليقيني	١٦٣
وسلطنة عُمان تضرب مثلاً	١٧١